المنقذ من الضلال

والموصل إلى ذي العزة والجلال

ويليه

إلجام العوام عن علم الكلام

(للامام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي)

ويليهما

تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب

ويليها

تحفة العشاق

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة

HAKİKAT KİTÂBEVİ

HAKİKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: bilgi@hakikatkitabevi.com
Fâtih-İSTANBUL
KASIM-2005

اَلْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلاَلْ

وَالْمُوصِلُ إِلَى ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلاَلْ

ويليه

إِلْجَامُ الْعَوَامِ عَنْ عِلْمِ اْلكَلاَمِ

(للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي)

ويليهما

تُحْفَةُ اْلأَرِيبِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الصَّلِيبِ

ويليها

تُحْفَةُ الْعُشَّاقِ

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة

HAKÎKAT KİTÂBEVİ

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٥	١٣٩٢	٢٠١٤

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**)

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين[1]

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر — **الحقيقة** — في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة، والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرسالة، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة.

أما بعد: فقد سألتني أيها الأخ في الدين، أن أبثّ إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يفَاع الاستفسار، وما استفدته أولاً من علم الكلام، وما اجتَوَيْتُه ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لَدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد، مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي بنيسابورَ بعد طول المدة، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك، بعد الوقوف على صدق رغبتك، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه، ومستوثقاً منه، وملتجئاً إليه:

اعلموا - أحسن الله (تعالى) إرشادكم، وألاَنَ للحق قيادكم - أن اختلاف الخلق في الأديان والملل، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب، على كثرة الفرق وتباين الطرق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجي، و (**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** * الروم: ٣٢) وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين، صلوات الله عليه، وهو الصادق الصدوق حيث قال: (**ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة الناجية منها واحدة**) فقد كان ما وعد أن يكون.

ولم أزل في عنفوان شبابي (وريعان عمري)، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ

العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجّة هذا البحر العميق، وأخوض غَمرَتهُ خَوْضَ الجَسُور، لا خَوْضَ الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأهجّم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة؛ لأميز بين مُحق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيًّا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهريّاً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جِبِلّتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا؛ إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوءٌ إلا على التنصُر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام. وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث قال: (**كل مولودٍ يولدُ على الفطرةِ فأبواهُ يُهوّدانه وينُصّرانه ويُمجِّسَانه**) فتحرك باطني إلى (طلب) حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات، وأوائلها تلقينات، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات، فقلت في نفسي:أولاً إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلا بُد من طلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك؛ بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً؛ فإني إذا علمت أن العشرة

أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل: لا، بل الثلاثة أكثر [من العشرة] بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشك بسببه في معرفتي، و لم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه! فأما الشك فيما علمته، فلا.

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه، فليس بعلم يقيني.

مَدَاخِلُ السَفْسَطة وجَحْد العُلوم

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات. فقلت: الآن بعد حصول اليأس، لا مطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليَّات، وهي الحسيات والضروريات، فلا بد من إحكامها أولاً لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات، وأماني من الغلط في الضروريات، من جنس أماني الذي كان من قَبلُ في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محققٌ لا غدر فيه ولا غائلة له؟ فأقبلت بجد بليغ أتأمل المحسوسات والضروريات، وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها، فانتهي بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً، وأخذت تتسع للشك فيها وتقول: من أين الثقة بالمحسوسات، وأقواها حاسة البصر؟ وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة؟ ثم، بالتجربة والمشاهدة، بعد ساعة، تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة «واحدة» بغتة، بل على التدريج ذرة ذرة، حتى لم يكن له حالة وقوف. وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار. هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته. فقلت: قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات، كقولنا: العشرة أكثر من الثلاثة، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً، موجوداً معدوماً، واجباً محالاً. فقالت المحسوسات: بم تأمن أن

تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقاً بي، فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي ذلك الإدراك، لا يدل على استحالته. فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلاً، وأيدت إشكالها بالمنام، وقالت: أما تراك تعتقد في النوم أموراً، وتتخيل أحوالاً، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً، ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل؛ فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك [التي أنت فيها]؛ لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك، كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها! فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها، ولعل تلك الحالة ما يدعيه **الصوفية** أنها حالتهم: إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي (لهم)، إذا غاصوا في أنفسهم، وغابوا عن حواسهم، أحوالاً لا توافق هذه المعقولات. ولعل تلك الحالة هي الموت، إذ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**الناسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا**) فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة. فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: (**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** * ق: ٢٢) فلما خطرت لي هذه الخواطر، (و) انقدحت في النفس، حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر، إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية، فإذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل. فأعضل هذا الداء، ودام قريباً من شهرين أنا فيهما على مذهب السَفْسَطَة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين؛ ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن

الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله [تعالى] الواسعة؛ ولما سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن (الشرح) ومعناه في قوله تعالى: (**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ** * الأنعام: ١٢٥) قال: «هو نور يقذفه الله تعالى في القلب» فقيل: «وما علامته؟» فقال: «التجافي عن دار الغُرُورِ والإنابة إلى دارِ الخُلُود». وهو الذي قال صلّى الله عليه وسلّم فيه: (**إن الله تعالى خلق الخلقَ في ظُلْمةٍ ثم رشَّ عليهمْ من نُورهِ**) فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحايين، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام: (**إن لربكم في أيامِ دهركم نفحاتٌ ألا فتعرضُوا لها**).

والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد في الطلب، حتى ينتهي إلى طلب ما لا يطلب. فإن الأوليات ليست مطلوبة، فإنها حاضرة. والحاضر إذا طلب فقد واختفى. ومن طلب ما لا يطلب، فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب.

أصْنَافُ الطَّالبين

ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جوده، انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق:

١- **المتكلمون**: وهم يدَّعون أنهم أهل الرأي والنظر.

٢- **الباطنية**: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

٣- **الفلاسفة**: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.

٤- **الصوفية**: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.

فقلت في نفسي: الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذَّ الحق عنهم، فلا يبقى في درك الحق مطمع، إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته؛ و (من) شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد، فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده، وهو شعب لا يرأب، وشعث لا يلم بالتلفيق

والتأليف، إلا أن يذاب بالنار، ويستأنف له صنعة أخرى مستجدة.

فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق. مبتدئاً بعلم الكلام. ومثنياً بطريق الفلسفة، ومثلثاً بتعلم الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية.

١- عِلْمُ الكَلاَم: مَقْصُوده وحَاصِله

ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصَّلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي؛ وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة [على أهل السنة] وحراستها عن تشويش أهل البدعة. فقد ألقى الله (تعالى) إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها. فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة، على خلاف السنة المأثورة؛ فمنه نشأ علم الكلام وأهله. ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله (تعالى) إليه، فأحسنوا الذب عن السنة، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة؛ ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطرهم إلى تسليمها: إما التقليد، أو إجماع الأمة، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار. وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم. وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً (أصلاً)، فلم يكن الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً. نعم، لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذبّ (عن السنة) بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها. ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق؛

ولا أبعدُ أن يكون قد حصل ذلك لغيري! بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات!

والغرض الآن حكاية حالي، لا الإنكار على من استشفى به، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء. وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر!

٢ – الفَلسْفَة

ثم إني ابتدأت، بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً، أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل [ذلك] العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقّاً. ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك ولم يكن في كتب «المتكلمين» من كلامهم، حيث اشتغلوا بالرد عليهم، إلا كلمات معقدة مبددة، ظاهرة التناقض والفساد، لا يظن الاغترار بها بغافل عامي، فضلاً عمن يدعي دقائق العلوم. فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والإطلاع على كنهه رمي في عماية، فشمرت عن ساق الجد، في تحصيل ذلك العلم من الكتب، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية، وأنا ممنو بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد. فاطلعني الله سبحانه [وتعالى] بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلسة، على منتهى علومهم في أقل من سنتين. ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة، أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطَّلعت على ما فيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل، اطلاعاً لم أشك فيه.

فاسمع الآن حكايتهم وحكاية حاصل علومهم؛ فإني رأيتهم أصنافاً، ورأيت علومهم أقساماً؛ وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه.

أَصْنَاف الفَلاَسِفةَ وشُمول وَصْمَة الكُفِر كافَّتهمُ

اعلم: أنهم، على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون.

الصنف الأول: الدهريون، وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً **وهؤلاء هم الزنادقة**.

والصنف الثاني: الطبيعيون، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته، فاضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها. ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع، إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان؛ لا سيما بنية الإنسان. إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة، ظهر عندهم –لاعتدال المزاج – تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به. فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم. ثم إذا انعدمت، فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا. فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار، [والحشر والنشر]، والقيامة والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام.

وهؤلاء أيضاً زنادقة: لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر. وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته.

والصنف الثالث: الإلهيون، وهم المتأخرون منهم، [مثل]: سقراط، وهو أستاذ أفلاطون، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس، وأرسطاطاليس هو الذي رتب [لهم] المنطق، وهذَّب لهم العلوم، وحرّر لهم ما لم يكن محرراً من قبلُ، وأنضَجَ لهم ما كان فِجّاً من علومهم، وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية،

وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم. (**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** * الأحزاب: ٢٥) بتقاتلهم. ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط، ومن كان قبلهم من الإلهيين، ردّاً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم؛ إلا أنه استبقى أيضاً من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للتروع عنها، فوجب تكفيرهم، وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين، كابن سينا والفارابي و غيرهم. على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين. وما نقله غيرهما ليس يخلو من تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم. وما لا يُفهم كيف يُرد أو يقبل؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس، بحسب نقل هذين الرجلين، ينحصر في ثلاثة أقسام:

١- قسم يجب التفكير به.

٢- وقسم يجب التبديع به.

٣- وقسم لا يجب إنكاره أصلاً فلنفصله:

أَقْسَامُ عُلومِهم

أعلم: أن علومهم - بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه - ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية.

١- **أما الرياضية**: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم، وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفياً وإثباتاً، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها. وقد تولدت منها آفتان:

احداهما: ان من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة، ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح [وفي] وثاقة البرهان كهذا العلم. ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول: لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم! فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق

هو الجحد والإنكار للدين. وكم رأيت من ضل عن الحق بهذا العذر ولا مستند له سواه! وإذا قيل له: الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً في كل صناعة، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقاً في الطب، ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلاً بالنحو، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها [رتبة] البراعة والسبق. وإن كان الحمق والجهل (قد) يلزمهم في غيرها. فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني، وفي الإلهيات تخميني؛ لا يعرف ذلك إلا من جرّبه وخاض فيه. فهذا إذا قرر على هذا الذي ألحَدَ بالتقليد، لم يقع منه موقع القبول، بل تحمله غلبة الهوى، والشهوة الباطلة، وحب التكايس، على أن يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها.

فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم، فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين، ولكن لما كانت من مبادئ علومهم، سرى إليه شرهم وشؤمهم، فقل من يخوض فيها إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى.

الآفة الثانية: نشأت من صديق للإسلام جاهل، ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم: فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع. فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع، لم يشك في برهانه، ولكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع، فازداد للفلسفة حبّاً وللإسلام بغضاً. ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية. وقوله، صلّى الله عليه وسلّم: (**إن الشمس والقمر آيتان من آياتِ الله تعالى لا ينخسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله تعالى وإلى الصلاة**). ليس في هذا ما يوجب إنكار علم الحساب المعرف بمسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص. أما قوله (عليه السلام): (**لكن الله إذا تجلى لشيء خضع لهُ**) فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلاً. فهذا حكم الرياضيات وآفتها.

٢- **وأما المنطقيات**: فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً، بل هي النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه. وأن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان؛ وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو (من) جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات، وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات، ومثال كلامهم فيها قولهم: إذا ثبت أن كل «أ» «ب» لزم أن بعض «ب» «أ» أي إذا ثبت أن كل إنسان حيوان، لزم أن بعض الحيوان إنسان. ويعبرون عن هذا بأنه الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية. وأي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر؟ فإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر، بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار. نعم، لهم نوع من الظلم في هذا العلم، وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل تساهلوا غاية التساهل، وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيد بمثل تلك البراهين، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية.

فهذه الآفة أيضاً متطرقة إليه.

٣- وأما (علم) **الطبيعيات**: فهو بحث عن عالم السماوات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة: كالماء والهواء والتراب والنار، وعن الأجسام المركبة: كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها. وذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة، وأسباب استحالة مزاجه. وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب، فليس من شرطه أيضاً إنكار ذلك العلم، إلا في مسائل معينة، ذكرناها في كتاب «تهافت الفلاسفة». وما عداها مما يجب المخالفة فيها؛ فعند التأمل يتبين أنها مندرجة تحتها، وأصل جملتها: أن تعلم

أن الطبيعة مسخرة لله تعالى، لا تعمل بنفسها، بل هي مستعملة من جهة فاطرها. والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فعل لشيءٍ منها بذاته عن ذاته.

٤- وأما **الإلهيات:** ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها. ولقد قرب مذهب أرسطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين، على ما نقله الفارابي وابن سينا. ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر. ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين، صنفنا كتاب «التهافت». أما المسائل الثلاث، فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين وذلك في قولهم:

١) إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقَب هي الأرواح المجردة، (والمثوبات) والعقوبات روحانية لا جسمانية؛

ولقد صدقوا في إثبات الروحانية، فأنها ثابتة أيضاً، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به.

٢) ومن ذلك قولهم: «إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات»؛

وهذا أيضاً كفر صريح، بل الحق أنه: (**لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي ٱلْأَرْضِ** * سبأ: ٣)

٣) ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل.

وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات، وقولهم إنه عالم بالذات، لا بعلم زائد (على الذات) وما يجري مجراه، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك. وقد ذكرنا في كتاب «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» ما يتبين به فساد رأي من يتسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه.

٥- وأما **السياسيات:** فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية (والإيالة) السلطانية، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء،

ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء.

٦- وأما **الخلقية**: فجميع كلامهم (فيها) يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية، وهم المتألهون المواظبون على ذكر الله تعالى، وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذِّ الدنيا. وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النفس وعيوبها، وآفات أعمالها ما صرحوا بها، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم، توسلاً بالتجمل بها إلى ترويج باطلهم. ولقد كان في عصرهم، بل في كل عصر، جماعة من المتأهلين، لا يُخلي الله [سبحانه] العالم عنهم، فأنهم أوتاد الأرض، ببركاتهم تنزل الرحمة على أهل الأرض كما ورد في الخبر حيث قال صلّى الله عليه وسلّم: (**بهم يمطرون وبهم يرزقون ومنهم كان أصحاب الكهف**). وكانوا في سالف الأزمنة، على ما نطق به القرآن، فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان: آفة في حق القابل وآفة في حق الراد:

١) أما **الآفة التي في حق الراد فعظيمة**: إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مُدوَّناً في كتبهم، وممزوجاً بباطلهم، ينبغي أن يُهجر ولا يُذكر بل يُنكر على [كل] من يذكره، إذ لم يسمعوه أولاً إلا منهم، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل، لأن قائله مُبطل؛ كالذي يسمع من النصراني قول: «لا إله إلا الله عيسى رسول الله» فينكره ويقول: «هذا كلام النصارى» ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا القول، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد عليه الصلاة والسلام!؟ فإن لم يكن كافراً إلا باعتبار إنكاره، فلا ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر مما هو حق في نفسه، وإن كان أيضاً حقاً عنده. وهذه عادة ضعفاء العقول، يعرفون الحق بالرجال، لا الرجال بالحق. والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي،[١] رضي الله عنه حيث قال: «لا تعرف الحق بالرجال (بل) اعرف الحق تعرف أهله» و

---

(١) علي رضي الله تعالى عنه توفي سنة ٤٠ هـ. [٦٦٠ م.].

(العارف) العاقل يعرف الحق، ثم ينظر في نفس القول: فإن كان حقاً، قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً؛ بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال، عالماً بأن معدن الذهب الرغام. ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب، وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج، مهما كان واثقاً ببصيرته؛ وانما يزجر عن معاملة القلاب القرويُّ، دون الصيرفي (البصير)؛ ويمنع من ساحل البحر الأخرقُ، دون السباح الحاذق؛ ويُصد عن مس الحية الصبي دون المعزِّم البارع.

ولعمري! لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة، وكمال العقل (وتمام الآلة) في تمييز الحق عن (الباطل، والهدى عن) الضلالة، وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلال ما أمكن، إذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها (أصلاً) وإن سلموا عن (هذه) الآفة التي ذكرناها.

ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في أسرار علوم الدين، طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم، ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم، وزعمت أن تلك الكلمات من كلام الأوائل، مع أن بعضها من مولدات الخواطر - ولا يبعد أن يقع الحافر على الحافر - وبعضها يوجد في الكتب الشرعية، وأكثرها موجود معناه في كتب الصوفية. وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم، فإذا كان ذلك الكلام معقولاً في نفسه، مؤيداً بالبرهان، ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة، فلِمَ ينبغي أن يهجر ويترك؟ فلو فتحنا هذا الباب، وتطرقنا إلى أن يهجر كل حق سبق إليه خاطر مبطل، للزمنا أن نهجر كثيراً من الحق، ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن وأخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية، لأن صاحب كتاب «إخوان الصفا» أوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله؛ ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه كتبهم. وأقل درجات العالم: أن يتميز عن العامي الغُمر، فلا يعاف العسل، وإن وجده في محجمة الحجَّام، ويتحقق أن المحجمة

لا تغير ذات العسل، فإن نفرة الطبع عنه مبنية على جهل عامي منشؤه أن المحجمة، إنما صنعت للدم المستقذَر، فيظن أن الدم مستقذر لكونه في المحجمة، ولا يدري أنه مستقذر لصفة في ذاته؛ فإذا عدمت (هذه) الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة، فلا ينبغي أن يوجب له الاستقذار، وهذا وهم باطل، وهو غالب على أكثر الخلق. فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم، قبلوه وإن كان باطلاً؛ وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقاً. فأبداً يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق، وهو غاية الضلال! هذه آفة الرد.

٢) **والآفة الثانية آفة القبول:** فإن من نظر في كتبهم «كإخوان الصفا» وغيره، فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية، والكلمات الصوفية، ربما استحسنها وقبلها، وحسن اعتقاده فيها، فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به، لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه، وذلك نوع استدراج إلى الباطل.

ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر. وكما يجب صون من لا يحسن السباحة على مزالق الشطوط، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب. وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيَّات، يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزِّم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل، إذا علم أنه سيقتدي به ويظن أنه مثله، بل يجب عليه أن يحذّره [منه]، بأن يحذر هو [في] نفسه [ولا يمسها] بين يديه، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله. وكما أن المعزّم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم، واستخرج منها الترياق وأبطل السم فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج إليه. وكذا الصراف الناقد البصير إذا أدخل يده في كيس القَلاّب، وأخرج منه الإبريز الخالص، واطّرح الزيف والبهرج، فليس له أن يشح بالجيد المرضي على من يحتاج إليه؛ فكذلك العالم. وكما أن المحتاج إلى الترياق، إذا اشمأزت نفسه منه، حيث علم أنه مستخرج من الحية التي هي مركز السم [وجب تعريفه]، والفقير المضطر إلى المال، إذا نفر عن

قبول الذهب المستخرج من كيس القلاّب، وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض، هو سبب حرمانه الفائدة التي هي مطلبه، وتحتم تعريفه أن قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفاً، كما لا يجعل الزيف جيداً، فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل، لا يجعل الحق باطلاً، كما لا يجعل الباطل حقاً.

فهذا (مقدار) ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها.

٣- مَذْهَبُ التَّعلِيم وغَائِلَتُه

ثم إني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه وتزييف ما يزيف منه، علمت أن ذلك أيضاً غير وافٍ بكمال الغرض، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات. وكان قد نبغت نابغة التعليمية، وشاع بين الخلق تحديهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق، فعنّ لي أن أبحث في مقالاتهم، لأطّلع على ما في كنانتهم. ثم اتفق أن ورد عليّ أمر جازم من حضرة الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف [عن] حقيقة مذهبهم. فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثاً من خارج، ضميمة للباعث الأصلي من الباطن، فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم. وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر، لا على المنهاج المعهود من سلفهم. فجمعت تلك الكلمات، (ورتبتها) ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها، حتى أنكر بعض أهل الحق (مني) مبالغتي في تقرير حجتهم، فقال: «هذا سعي لهم، فأنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها، وترتيبك إياها». وهذا الإنكار من وجه حق، فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي (رحمهما الله)،[١] تصنيفه في الرد على المعتزلة؛ فقال الحارث: «الرد على البدعة فرض» فقال أحمد: «نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها؛ فبمَ تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه؟».

---

(١) الحارث المحاسبي توفي سنة ٢٤٣ هـ. [٨٧٧ م.] في البصرة

وما ذكره أحمد بن حنبل[١] حق، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر. فأما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب [عنها] إلا بعد الحكاية. نعم، ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم [يتكلفوها]؛ ولم أتكلف أنا ذلك، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين إليّ، بعد أن كان قد التحق بهم؛ وانتحل مذهبهم، وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم، بأنهم لم يفهموا بعد حجتهم. ثم ذكر تلك الحجة وحكاها عنهم، فلم أرض لنفسي أن يظن بي الغفلة عن اصل حجتهم، فلذلك أوردتها، ولا أن يظن بي أني –وإن سمعتها– لم أفهمها فلذلك قررتها. والمقصود، أني قررت شبهتهم إلى أقصى الإمكان، ثم أظهرت فسادها [بغاية البرهان].

والحاصل: أنه لا حاصل عند هؤلاء، ولا طائل لكلامهم. ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل، لما انتهت تلك البدعة - مع ضعفها - إلى هذه الدرجة؛ ولكن شدة التعصب، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم، وإلى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به، فجاحدوهم في دعواهم: «الحاجة إلى التعليم والمعلم.» وفي دعواهم أنه: «لا يصلح كل معلم، بل لا بد من معلم معصوم». وظهرت حجتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم، وضعف قول المنكرين في مقابلته، فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه؛ بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم، وأنه لا بد وأن يكون (المعلم) معصوماً، ولكن معلمنا المعصوم (هو) محمد صلّى الله عليه وسلّم فإذا قالوا: «هو ميت»، فنقول: «ومعلمكم غائب»، فإذا قالوا: «معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل». فنقول: «ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى: (**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** * المائدة: ٣)

---

(١) أحمد ابن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد

وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته.

فبقي قولهم: «كيف تحكمون فيما لم تسمعوه أبالنص و لم تسمعوه أم بالإجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف؟» فنقول: «نفعل ما فعله معاذ إذ بعثه رسول الله عليه السلام إلى اليمن: أن نحكم بالنص، عند وجود النص وبالإجتهاد عند عدمه. (بل) كما يفعله دعاتهم إذا بعدوا عن الإمام إلى أقاصي البلاد، إذ لا يمكنه أن يحكم بالنص فإن النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير المتناهية، ولا يمكنه الرجوع في كل واقعة إلى بلدة الإمام، وإلى أن يقطع المسافة ويرجع فيكون المستفتي قد مات، وفات الانتفاع بالرجوع. فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق إلا أن يصلي بالاجتهاد، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة فيفوت وقت الصلاة. فإذن جازت الصلاة إلى غير القبلة بناء على الظن. ويقال: «إن المخطئ في الاجتهاد له أجرٌ واحدٌ وللمُصيبِ أجران». فكذلك في جميع المجتهدات، وكذلك أمر صرف الزكاة إلى الفقير، فربما يظنه فقيراً باجتهاده وهو غني باطناً بإخفائه ماله، فلا يكون مؤاخذاً به وإن أخطأ، لأنه لم يؤاخذ إلا بموجب ظنه. فإن قال: «ظن مخالفهِ كظنه» فأقول: «هو مأمور باتباع ظن نفسه، كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه وإن خالفه غيره.» فإن قال: «فالمقلد يتبع أباحنيفة[١] والشافعي[٢] (رحمهما الله) أم غيرهما» فأقول: «فالمقلد في القبلة عند الاشتباه، اذا اختلف عليه المجتهدون، كيف يصنع؟» فسيقول: «له مع نفسه إجتهاد في معرفة الأفضل الأعلم بدلائل القبلة، فيتبع ذلك الاجتهاد؛ فكذلك في المذاهب».

فردّ الخلق إلى الاجتهاد -ضرورة- الأنبياءُ والأئمة مع العلم بأنهم (قد) يخطئون، بل قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**). أي أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود، وربما أخطأوا فيه. ولا سبيل إلى الأمن من الخطأ للأنبياء في مثل هذه المجتهدات، فيكف يطمع في ذلك؟

---

(١) أبو حنيفة نعمان توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد

(٢) محمد بن ادريس الشافعي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨٢٠ م.] في القاهرة

ولهم ها هنا سؤالان: أحدهما قولهم: «هذا وإن صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد، إذ المخطئ فيه غير معذور، فكيف السبيل إليه؟» فأقول: «قواعد العقائد» يشتمل عليها الكتاب والسنة؛ وما وراء ذلك من التفصيل، والمتنازع فيه، يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم. وهي الموازين التي ذكرها الله (تعالى) في كتابه، وهي خمسة ذكرتها في كتاب «القسطاس المستقيم». فإن قال: «خصومك يخالفونك في ذلك الميزان». فأقول: «لا يتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه [إذ لا يخالف فيه] أهل التعليم، لأني استخرجته من القرآن وتعلمته منه، ولا يخالف فيه أهل المنطق، لأنه موافق لما شرطوه في المنطق، غير مخالف له؛ ولا يخالف فيه المتكلم لأنه موافق لما يذكره في أدلة النظريات، وبه يعرف الحق في الكلاميات». فإن قال: «فإن كان في يدك مثل هذا الميزان فلمَ لا ترفع الخلاف بين الخلق؟» فأقول: «لو أصغوا إلي لرفعت الخلاف بينهم؛ وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب «القسطاس المستقيم»، فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعاً لو أصغوا ولا يصغون [إليه] بأجمعهم! بل قد أصغى إلي طائفة، فرفعت الخلاف بينهم. وإمامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم إصغائهم، فلمَ لم يرفع إلى الآن؟ ولمَ لم يرفع علي رضي الله عنه، وهو رأس الأئمة؟ أو يدعي أنه يقدر على حمل كافتهم على الإصغاء قهراً، فلمَ لم يحملهم إلى الآن؟ ولأي يوم أجله؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته إلا زيادة خلاف وزيادة مخالف؟ نعم! كان يخشى من الخلاف نوع الضرر لا ينتهي إلى سفك الدماء، وتخريب البلاد وأيتام الأولاد، وقطع الطرق، والإغارة على الأموال. وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف [من الخلاف] ما لم يكن بمثله عهد». فإن قال: «ادعيت أنك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة، والاختلافات المتقابلة، لم يلزمه الإصغاء إليك دون خصمك، وأكثر الخصوم يخالفونك، ولا فرق بينك وبينهم».

وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول: «هذا أولاً ينقلب عليك، فإنك إذا دعوت هذا

المتحير إلى نفسك فيقول المتحير بما صرت أولى من مخالفيك وأكثر أهل العلم يخالفونك؟ فليت شعري! بماذا تجيب، أتجيب بأن تقول: إمامي منصوص عليه؟ فمن يصدقك في دعوى النص، وهو لم يسمع النص من الرسول؟ وإنما يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك. ثم هب أنه سلم لك النص، فإن كان متحيراً في أصل النبوة، فقال: هب أن إمامك يدلي بمعجزة عيسى عليه السلام فيقول: الدليل على صدقي أني أحيي أباك، فأحياه، فناطقني بأنه محق، فبماذا أعلم صدقه؟ و لم يعلم كافة الخلق صدق عيسى عليه السلام بهذه المعجزة، بل عليه من الأسئلة المشكلة ما لا يدفع إلا بدقيق النظر العقلي؛ والنظر العقلي لا يوثق به عندك، ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر والتمييز بينه وبين المعجزة، وما لم يعرف أن الله لا يضل عباده. - وسؤال الإضلال وعسر [تحرير] الجواب عنه مشهور- فبماذا تدفع جميع ذلك؟ و لم يكن إمامك أولى بالمتابعة من مخالفه!» فيرجع إلى الأدلة النظرية التي ينكرها، وخصمه يدلي بمثل تلك الأدلة وأوضح منها. وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلاباً عظيما، لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جواباً لم يقدروا عليه.

وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم، فلم يشتغلوا بالقلب، بل بالجواب. وذلك مما يطول فيه الكلام، وما لا يسبق سريعاً إلى الإفهام، فلا يصلح للإفحام. فإن قال قائل: «فهذا هو القلب، فهل عنه جواب؟» فأقول: «نعم! جوابه أن المتحير لو قال: أنا متحير، و لم يعين المسألة التي هو متحير فيها، يقال له: أنت كمريض يقول: أنا مريض ولا يعين مرضه، ويطلب علاجه. فيقال له: ليس في الوجود علاج للمرض المطلق، بل لمرض معين: من صداع أو إسهال أو غيرهما. فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه؛ فإن عين المسألة عرّفته الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة، التي لا يفهمها أحد إلا ويعترف بأنه الميزان الحق، الذي يوثق بكل ما يوزن به، فيفهم الميزان، ويفهم منه أيضاً صحة الوزن، كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب، وكون المحاسب المعلم عالماً بالحساب وصادقاً فيه». وقد

أوضحت ذلك في كتاب «القسطاس المستقيم» في مقدار عشرين ورقة؛ فليتأمل.

وليس المقصود الآن بيان فساد مذهبهم، فقد ذكرت ذلك في كتاب «المستظهري» أولاً؛ وفي كتاب «حجة الحق» ثانياً، وهو جواب كلام لهم عُرض عليّ ببغداد؛ وفي كتاب «مفصل الخلاف» الذي هو اثنا عشر فصلاً ثالثاً؛ وهو جواب كلام عُرض عليّ بهمدان؛ وفي كتاب «الدرج» المرقوم «بالجداول» رابعاً، وهو من ركيك كلامهم الذي عُرض عليّ بطوس؛ وفي كتاب «القسطاس المستقيم» خامساً، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغناء عن الامام [المعصوم] لمن أحاط به.

بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء، بل هم، مع عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام، طال ما جاريناهم فصدقناهم في الحاجة إلى التعليم وإلى المعلم المعصوم وأنه الذي عينوه، ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها، فضلاً عن القيام بحلّها! فلما عجزوا أحالوا [على] الإمام الغائب، وقالوا: «(إنه) لا بد من السفر إليه». والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به، ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً، كالمتضمّخ بالنجاسة، يتعب في طلب الماء حتى إذا وجده لم يستعمله، وبقي متضمخاً بالخبائث.

ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم، فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس: وهو رجل من قدماء الأوائل، ومذهبه أرك مذاهب الفلسفة، وقد رد عليه أرسطاطاليس، بل استركَّ كلامه واسترذله، وهو المحكي في كتاب «إخوان الصفا»، وهو على التحقيق حشو الفلسفة.

فالعجب ممن يتعب طول العمر في تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث، ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم! فهؤلاء أيضاً جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم؛ فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام، وضعفاء العقول

ببيان الحاجة إلى المعلم، ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفحم، حتى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلم مساعد، وقال: «هات علمه وأفدنا من تعليمه!» وقف وقال: «الآن إذا سلمت لي هذا فاطلبه، فإنما غرضي هذا القدر فقط». إذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى الإشكالات، بل عجز عن فهمه، فضلاً عن جوابه.

فهذه حقيقة حالهم فأخبرهم تَقْلُهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم (أيضاً).

٤- طُرُق الصُّوفِيَّة

ثم إني، لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل؛ وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس. والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل (بها) إلى تخلية القلب عن غير الله (تعالى) وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر عليّ من العمل. فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي[١] (رحمه الله) وكتب «الحارث المحاسبي»، والمتفرقات المأثورة عن «الجنيد»[٢] و «الشبلي» و «أبي يزيد البسطامي» [قدس الله أرواحهم]، وغيرهم من المشايخ؛ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع. فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعان؟ وبين أن تعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن تكون سكران! بل السكران لا يعرف حدّ السكر وعِلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء! والصَّاحي يعرف حدّ

---

(١) أبو طالب المكي توفي سنة ٣٨٦ هـ. [٩٩٦ م.] في بغداد

(٢) جنيد البغدادي توفي سنة ٢٩٨ هـ. [٩١١ م.] في بغداد

السُكر واركانه ومَا معه من السكر شيء. والطبيب في حالة المرض يعرف حدّ الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة. فكذلك فرقٌ بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا!

فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبقَ إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك. وكان (قد) حصل معي - من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها، في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية- إيمانٌ يقينيٌ بالله تعالى، وبالنبُوّة وباليوم الآخر. فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، لا بدليل معين محرر بل بأسبابٍ وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلُها.

وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع (لي) في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله، قطعُ علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكُنه الهمة على الله تعالى. وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق.

ثم لاحظت أحوالي؛ فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من الجوانب؛ ولاحظت أعمالي - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة.

ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت؛ فتيقنت أني على شفا جُرُف هار، وأني قد أشفيت على النار، إن لم أشتغل بتلافي الأحوال.

فلم أزل أتفكر فيه مدة، وأنا بعدُ على مقام الاختيار، أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً، وأحل العزم يوماً، وأقدم فيه رجلاً وأؤخر عنه أخرى. لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية. فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام،

ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل! الرحيل! فلم يبق من العمر إلا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل! فإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد؟ وإن لم تقطع الآن [هذه العلائق] فمتى تقطع؟ فعند ذلك تنبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار.

ثم يعود الشيطان ويقول: «هذه حالة عارضة، إياك أن تطاوعها، فأنها سريعة الزوال؛ فإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض، والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفتت إليه نفسك، ولا يتيسر لك المعاودة».

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطييباً لقلوب المختلفة [إليّ]، فكان لا ينطق لساني بكلمة [واحدة] ولا أستطيعها البتة، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب، بطلت معه قوة الهضم قدم الطعام والشراب: فكان لا ينساغ لي شربة، ولا تنهضم (لي) لقمة؛ وتعدى إلى ضعف القوى، حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج وقالوا: «هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج، إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم».

ثم لما أحسست بعجزي، وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي «يجيب المضطر إذا دعاه»، وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال (والأهل والولد والأصحاب)، وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أدبّر في نفسي سفر الشام حذراً أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي على المقام في الشام؛ فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبداً. واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة، إذ لم يكن

فيهم من يجوز أن يكون للإعراض عما كنت فيه سبب دينيّ، إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين، وكان ذلك مبلغهم من العلم.

ثم ارتبك الناس في الاستنباطات، وظن من بعُد عن العراق، أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة؛ (وأما من قرب من الولاة): فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكباب عليَّ، وإعراضي عنهم، وعن الالتفات إلى قولهم، فيقولون: «هذا أمر سماوي، وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة أهل العلم».

ففارقت بغداد، وفرقت ما كان معي من المال، ولم أدخر إلا قدر الكفاف، وقوت الأطفال، ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح، لكونه وقفاً على المسلمين. فلم أر في العالم مالاً يأخذه العالم لعياله أصلح منه.

ثم دخلت الشام، وأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة؛ والرياضة والمجاهدة، اشتغالاً بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله (تعالى)، كما كنت حصلته من كتب الصوفية. فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي.

ثم رحلت منها إلى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأغلق بابها على نفسي.

ثم تحركت فيَّ داعية فريضة الحج، والاستمداد من بركات مكة والمدينة. وزيارة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله وسلامه عليه؛ فسرت إلى الحجاز.

ثم جذبتني الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه. فآثرت العزلة [به] أيضاً حرصاً على الخلوة، وتصفية القلب للذكر.

وكانت حوادث الزمان، ومهمات العيال، وضرورات المعاش، تغير فيَّ وجه المراد، وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو [لي] الحال إلا في أوقات متفرقة. لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها، فتدفعني عنها العوائق، وأعود إليها. ودمت على ذلك مقدار عشر سنين؛ وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها،

والقدر الذي أذكره لينتفع به: إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله (تعالى) خاصة، وأن سيرهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جُمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من (نور) مشكاة النبوة؛ وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة، طهارتها -وهي أول شروطها- تطهير القلب بالكلية عما سوى الله (تعالى)، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله؟ وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها. وهي على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه.

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات (والمشاهدات)، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة. ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ. وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب «المقصد الأسنى»؛ بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

وكان ما كان مما لستُ أذكره * فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ!

وبالجملة، فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق، فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم، وكرامات الأولياء، [هي] على التحقيق، بدايات الأنبياء، وكان ذلك أول حال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حين أقبل إلى جبل «حراء»، حيث كان يخلو فيه بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: «إن محمداً عشق ربه!».

وهذه حالة، يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها. فمن لم يرزق الذوق، فيتيقنها بالتجربة والتسامع، إن أكثر معهم الصحبة، حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقيناً. ومن جالسهم، استفاد منهم هذا الإيمان. فهم القوم لا يشقى جليسهم. ومن لم يرزق صحبتهم، فليعلم إمكان ذلك يقيناً بشواهد البرهان، على ما ذكرناه في كتاب «عجائب القلب» من كتب «إحياء علوم الدين».

والتحقيق بالبرهان علم، وملابسة عين تلك الحالة ذوق، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان.

فهذه ثلاث درجات: (**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أوُتوُا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** * المجادلة: ١١) ووراء هؤلاء قوم جهال، هم المنكرون لأصل ذلك، المتعجبون من هذا الكلام، يستمعون ويسخرون، ويقولون: العجب! إنهم كيف يهذون! وفهيم قال الله تعالى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ حَتَّى اِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا اُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا اَهْوَآءَهُمْ** * محمّد: ١٦) (**فَاَصَمَّهُمْ وَاَعْمَى اَبْصَارَهُمْ** * محمّد: ٢٣).

ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم، «**حقيقة النبوة وخاصيتها**». ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة إليها.

حَقيقَة النُبُوَّة واضطِرار كَافةِ الخَلق إليهَا

اعلم: أن جوهر الإنسان في أصل الفطرة، خلق خالياً ساذجاً لا خبر معه من عوالم الله (تعالى) والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى كما قال: (**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ***المدثر:٣١) وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك، وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات، ونعني بالعوالم، أجناس الموجودات.

فأول ما يخلق في الإنسان حاسة **اللمس**، فيدرك بها أجناساً من الموجودات: كالحرارة، والبرودة، والرطوبة واليبوسة، واللين والخشونة، وغيرها. واللمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعاً، بل هي كالمعدوم في حق اللمس.

ثم تخلق له [حاسة] **البصر**، فيدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عوالم المحسوسات. ثم ينفتح فيه **السمع**، فيسمع الأصوات والنغمات.

ثم يخلق له **الذوق**. وكذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه **التمييز**، وهو قريب من سبع سنين، وهو طور آخر من أطوار وجوده: فيدرك فيه أموراً زائدة على (عالم) المحسوسات، لا يوجد منها شيء في عالم الحس.

ثم يترقى إلى طور آخر، فيخلق له **العقل**، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، وأموراً لا توجد في الأطوار التي قبله.

ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل، وأموراً أُخر، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز. وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها، وذلك عين الجهل: إذ لا مستند لهم إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه، فيظن أنه غير موجود في نفسه. والأكمه، لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكي له ذلك ابتداءً، لم يفهمها ولم يقرّ بها. وقد قرب الله تعالى على خلقه بأن أعطاهم نموذجاً من خاصية النبوة، وهو النوم: إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب، إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير. وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه - وقيل له: «إن من الناس من يسقط مغشيئا عليه كالميت، ويزول (عنه) إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب». - لأنكره، وأقام البرهان على استحالته، وقال: «القوى الحساسة أسباب الإدراك، فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها، فبأن لا يدرك مع ركودها أولى وأحق». وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة. فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي، يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات، والحواس معزولة عنها، فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب، وأمور لا يدركها العقل.

والشك في النبوة، إما أن يقع: في إمكانها، أو في وجودها ووقوعها، أو في حصولها لشخص معين.

ودليل إمكانها وجودها. ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل، كعلم الطب والنجوم؛ فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله (تعالى)، ولا سبيل إليها بالتجربة. فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا في كل ألف سنة مرة، فكيف ينال ذلك بالتجربة؟ وكذلك خواص الأدوية. فتبين بهذا البرهان أن في الإمكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل - وهو المراد بالنبوة - لا أن النبوة عبارة عنها فقط، بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل إحدى خواص النبوة، ولها خواص كثيرة سواها. وما ذكرنا، فقطرة من بحرها؛ إنما ذكرناها لأن معك أُنموذجاً منها، وهو مدركاتك في النوم؛ ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم، وهي معجزات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، ولا سبيل إليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلاً.

وأما ما عدا هذا من خواص النبوة، فإنما يدرك بالذوق، من سلوك طريق **التصوف**؛ لأن هذا إنما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم، ولولاه لما صدقت به. فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها أنموذج، ولا تفهمها أصلاً، فكيف تصدق بها؟ وإنما التصديق بعد الفهم: وذلك الأنموذج يحصل في أوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس (إليه). فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النبوة.

فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا، فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع؛ فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم؛ ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي (رحمه الله) فقيهاً، وكون جالينوس طبيباً، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير، [بل] بأن تتعلم شيئاً من الفقه

والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما. فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضروري بكونه صلّى الله عليه وسلّم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، وكيف صدق صلّى الله عليه وسلّم في قوله: (**من عمل بما علم ورثهُ الله علم ما لم يعلم**) وكيف صدق في قوله: (**من أعان ظالماً سلطهُ الله عليهِ**) وكيف صدق في قوله: (**من اصبح وهُمُومُهُ همٌّ واحدٌ كفاه الله (تعالى) هُمُومَ الدنيا والآخرةِ**). فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف، حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه. فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعباناً، وشق القمر، فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، وربما ظننت أنه سحر وتخييل، وأنه من الله تعالى إضلال فأنه (**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** * فاطر: ٨).

وترد عليك أسئلة المعجزات، فإذا كان مستند إيمانك إلى كلام منظوم في وجه دلالة المعجزة، فينجزم إيمانك بكلام مرتب في وجه الإشكال والشبهة عليها، فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك، حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين، بل من حيث لا يدري، ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد. **فهذا هو الإيمان القوي العلمي**.

وأما **الذوق** فهو كالمشاهدة والأخذ باليد، ولا يوجد إلا في طريق الصوفية. فهذا القدر من حقيقة النبوة، كاف في الغرض الذي أقصده الآن، وسأذكر وجه الحاجة إليه.

سَبَب نشر العِلْم بعَدْ الإعرَاضِ عَنه

ثم إني، لما واظبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين، بان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها، مرة بالذوق، ومرة بالعلم البرهاني، ومرة بالقبول

الإيماني: أن الإنسان خلق من بدن وقلب - وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله، دون اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة -، وأن البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه؛ وأن القلب كذلك له صحة وسلامة، ولا ينجو (**إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** * الشعراء: ٨٩)؛ وله مرض فيه هلاكه الأبدي الأخروي، كما قال تعالى: (**فِي قُلوُبِهِمْ مَرَضٌ** * البقرة: ١٠) وأن الجهل بالله سم مهلك؛ وأن معصية الله، بمتابعة الهوى، داؤه الممرض، وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيي، وطاعته بمخالفة الهوى، دواؤه الشافي؛ وأنه لا سبيل إلى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته، الاّ بأدوية؛ كما لا سبيل إلى معالجة البدن إلا بذلك. وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها، لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء، فكذلك بان لي، على الضرورة، بأن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الأنبياء، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء، بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة، لا ببضاعة العقل. وكما أن الأدوية تركبت من (أخلاط مختلفة) النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص، فكذلك العبادات التي هي أدوية داء القلوب، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار، حتى أن السجود ضعف الركوع، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار؛ ولا يخلو عن سر من الاسرار، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة. ولقد تحامق وتجاهل جداً من أراد أن يستنبط، بطريق العقل، لها حكمة، أو ظن أنها ذكرت على الاتفاق، لا عن سر إلهي فيها، يقتضيها بطريق الخاصية. وكما أن في الأدوية أصولاً هي أركانها، وزوائد هي متمماتها، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات.

وعلى الجملة: فالأنبياء عليهم السلام أطباء أمراض القلوب، وإنما فائدة العقل

وتصرفه أن عرّفنا ذلك وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة، وأخذ بأيدينا وسلمنا (إليها) تسليم العميان إلى القائدين، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين. فإلى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك، إلا عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه.

فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة، في مدة الخلوة والعزلة.

ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة، ثم في حقيقة النبوة، ثم في العمل بما شرحته النبوة، وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق؛ فنظرت إلى أسباب فتور الخلق، وضعف إيمانهم، فإذا هي أربعة:

١- سبب من الخائضين في **علم الفلسفة**؛

٢- وسبب من الخائضين في **طريق التصوف**؛

٣- وسبب من المنتسبين الى **دعوى التعليم**؛

٤- وسبب من معاملة **الموسومين بالعلم** فيما بين الناس.

فإني تتبعت مدةً آحاد الخلق، أسألُ من أن يقصر منهم في متابعة الشرع (واسأله) عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره وقلت له: «ما لك تقصر فيها فإن كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا، فهذه حماقة! فإنك لا تبيع الاثنين بواحد، فكيف تبيع ما لا نهاية له بأيام معدودة؟ وإن كنت لا تؤمن، فأنت كافر! فدبر نفسك في طلب الإيمان، وانظر ما سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطناً، وهو سبب جرأتك ظاهراً، وإن كنت لا تصرح به تجملاً بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع!».

فقائل يقول: «إن هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه، لكان العلماء أجدر بذلك؛ وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي، وفلان يشرب الخمر، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة! وهلم جراً إلى أمثاله.»

وقائل ثان: يدعي (علم) التصوف، ويزعم أنه قد بلغ مبلغاً ترقّى عن الحاجة

إلى العبادة!. **وقائل ثالث**: يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة! وهؤلاء هم الذين ضلوا عن طريق التصوف.

وقائل رابع: لقي أهل التعليم فيقول: «الحق مشكل، والطريق إليه متعسر، والاختلاف فيه كثير، وليس بعض المذاهب أولى من بعض، وأدلة العقول متعارضة، فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي إلى التعليم متحكم لا حجة له فكيف أدع اليقين بالشك»

وقائل خامس يقول: «لست أفعل هذا تقليداً، ولكني قرأت علم الفلسفة وأدركت حقيقة النبوة، وإن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة، وأن المقصود من تعبداتها: ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف، وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها، مستغن فيها عن التقليد!».

هذا منتهى إيمان من قرأ (مذهب) فلسفة الإلهيين منهم؛ وتعلم ذلك من كتب ابن سينا[١] وأبي نصر الفارابي.[٢] وهؤلاء هم المتجملون بالإسلام.

وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن، ويحضر الجماعات والصلوات، ويعظم الشريعة بلسانه، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر، وأنواعاً من الفسق والفجور! وإذا قيل له: «إن كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي؟» فربما يقول: «لرياضة الجسد، ولعادة أهل البلد وحفظ المال والولد!» وربما قال: «الشريعة صحيحة والنبوة حق!» فيقال: «فلمَ تشرب الخمر؟» فيقول: «إنما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء وأنا بحكمتي محترز عن ذلك وإني أقصد به تشحيذ خاطري». حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها: أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا، وأن يعظم الأوضاع الشرعية، ولا يقصر في العبادات الدينية، ولا يشرب تلهياً بل تداوياً وتشافياً؛ فكان منتهى حالته في صفاء الإيمان والتزام العبادات أن استثنى شرب الخمر لغرض التشافي.

---

(١) ابن سينا حسين توفي سنة ٤٢٨ هـ. [١٠٣٧ م.]

(٢) محمد الفارابي مات سنة ٣٣٩ هـ. [٩٥٠ م.] في الشام

فهذا إيمان من يدعي الإيمان منهم. وقد انخدع بهم جماعة، وزادهم انخداعاً ضعف اعتراض المعترضين عليهم، إذ اعترضوا بمجاحدة علم الهندسة والمنطق، وغير ذلك مما هو ضروري لهم، على ما بينا علته من قبل.

فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب، ورأيت نفسي ملبة بكشف هذه الشبهة، حتى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء، لكثرة خوضي في علومهم [وطرقهم] - أعني [طرق] الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء-، انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت، محتوم. فماذا تغنيك الخلوة والعزلة، وقد عم الداء، ومرض الأطباء، وأشرف الخلق على الهلاك؟ ثم قلت في نفسي: «متى تشتغل أنت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة، والزمان زمان الفترة، والدور دور الباطل، ولو اشتغلت بدعوة الخلق، عن طرقهم إلى الحق، لعاداك أهل الزمان بأجمعهم، وأنى تقاومهم فكيف تعايشهم، ولا يتم ذلك إلا بزمان مساعد، وسلطان متدين قاهر؟» فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللاً بالعجز عن إظهار الحق بالحجة. فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج. فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور، لتدارك هذه الفترة. وبلغ الإلزام حداً كان ينتهي، لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة. فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق، و لم ترخص لنفسك عُسْرَ معاناة الخلق، والله سبحانه وتعالى يقول: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ *** العنكبوت: ١-٣) الآية ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه: (**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَاُوذُوا حَتَّى اَتَيهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَبَاءِ الْمُرْسَلِينَ *** الأنعام: ٣٤) ويقول عز وجل: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**...) إلى قوله (**اِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ**

اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ * يس:١-١١) فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة، والخروج من الزاوية؛ وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدّرها الله سبحانه على رأس هذه المائة؛ فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظنّ بسبب هذه الشهادات وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة. ويسّر الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مائة. وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وبلغت مدة العزلة إحدى عشر سنة. وهذه حركة قدّرها الله تعالى (وهي) من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال مما خطر إمكانه أصلاً بالبال؛ والله تعالى مقلب القلوب والأحوال و (**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابعِ الرحمن**). وأنا أعلم أني، وإن رجعت إلى نشر العلم، فما رجعت! فإن الرجوع عَودٌ إلى ما كان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكتسب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي. وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يُترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه.

هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي؛ يعلم الله ذلك مني؛ وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أأصِل إلى مرادي أم أُخترم دون غرضي؟ ولكني اومن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله (العلي العظيم)؛ وأني لم أتحرك، لكنه حركني؛ وإني لم أعمل، لكنه استعملني؛ فأسأله أن يصلحني أولاً، ثم يُصلح بي، ويهديني، ثم يهدي بي؛ وأن يريني الحق حقاً، ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلاً، ويرزقني اجتنابه. ونعود الآن إلى ما ذكرناه من أسباب ضعف الإيمان بذكر طريق إرشادهم وإنقاذهم من مهالكهم:

أما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من أهل التعليم، فعلاجهم ما ذكرناه في كتاب «القسطاس المستقيم» ولا نطول بذكره (في) هذه الرسالة.

وأما ما توهمه أهل الإباحة، فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كتاب «كيمياء السعادة».

وأما من فسد إيمانه بطريق الفلسفة، حتى أنكر أصل النبوة، فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة، بدليل وجود (علم) خواص الأدوية والنجوم وغيرهما. وإنما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك. وأنما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم، لأنه من نفس علمهم. ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم، كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات، مثلاً من نفس علمه، برهان النبوة.

وأما من أثبت النبوة بلسانه، وسوى أوضاع الشرع على الحكمة، فهو على التحقيق كافر بالنبوة، وإنما هو مؤمن بحكم له طالع مخصوص، يقتضي طالعه أن يكون متبوعاً؛ وليس هذا من النبوة في شيء. بل الإيمان بالنبوة: أن يقر بإثبات طور وراء العقل، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة، والعقل معزول عنها، كعزل السمع عن إدراك الألوان، والبصر عن إدراك الأصوات، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات. فإن لم يجوّز هذا، فقد أقمنا البرهان على إمكأنه، بل على وجوده. وإن جوز هذا، فقد أثبت، أن ههنا أموراً تسمى خواص، لا يدور تصرف العقل حواليها أصلاً، بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها. فإن وزن دانق من الأفيون، سم قاتل لأنه يجمد الدم في العروق لفرط برودته. والذي يدعي علم الطبيعة، يزعم أن ما يبرد من المركبات، إنما يبرد بعنصري الماء والتراب؛ فهما العنصران الباردان. ومعلوم أن أرطالاً من الماء والتراب لا يبلغ تبريدها في الباطن إلى هذا الحد. فلو أخبر طبيعي بهذا ولم يجربه، لقال: «هذا محال، والدليل على استحالته أن فيه نارية وهوائية، والهوائية والنارية لا تزيدها برودة؛ فنقدر الكل ماء وتراباً، فلا يوجب هذا الإفراط في التبريد. فإن انضم إليه حارّان فبأن لا يوجب ذلك أولى». ويقدر هذا برهاناً! وأكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات، مبني على هذا الجنس! فإنهم تصوروا الأمور على قدر ما وجدوه وعقلوه، وما لم يألفوه قدروا استحالته، ولو لم

تكن الرُّؤْيا الصادقة مألوفة، وادعى مدعٍ، أنه عند ركود الحواس، يعلم الغيب، لأنكره المتصفون بمثل هذه العقول. ولو قيل لواحد: «هل يجوز أن يكون في الدنيا شيء، هو بمقدار حبة، يوضع في بلدة فيأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يُبقي [شيئاً] من البلدة وما فيها، ولا يبقى هو نفسه؟» لقال: «هذا محال وهو من جملة الخرافات!» وهذه حالة النار، ينكرها من لم يرَ النار إذا سمعها. وأكثر [إنكار] عجائب الآخرة هو من هذا القبيل. فنقول للطبيعي: «قد اضطررت إلى أن تقول: في الأفيون خاصية في التبريد، ليست على قياس المعقول بالطبيعة. فلمَ لا يجوز أن يكون في الأوضاع الشرعية من الخواص، في مداواة القلوب وتصفيتها، ما لا يدرك بالحكمة العقلية، بل لا يبصر ذلك إلا بعين النبوة؟» بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما أوردوه في كتبهم، وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق، بهذا الشكل:

ب	ط	د
ز	هـ	ج
و	ا	ح

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

يكتب على خرقتين لم يصبهما ماء، وتنظر إليهما الحامل بعينها، وتضعهما تحت قدميها، فيسرع الولد في الحال إلى الخروج. وقد أقروا بإمكان ذلك وأوردوه في «عجائب الخواص»؛ وهو شكل فيه تسعة بيوت، يرقم فيها رقوم مخصوصة، يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر، قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو على التأريب. فيا ليت شعري! من يصدق بذلك، ثم لا يتسع عقله للتصديق، بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين، والظهر بأربع، والمغرب بثلاث، هو لخواص غير معلومة بنظر الحكمة؟ وسببها اختلاف هذه الأوقات. وإنما تدرك هذه الخواص بنور النبوة. والعجب أنا لو غيرنا العبارة إلى عبارة المنجمين، لعقلوا اختلاف هذه الأوقات، فنقول: «أليس يختلف الحكم في الطالع، بأن تكون الشمس في وسط

السماء، أو في الطالع، أو في الغارب، حتى ينبوا على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج، وتفاوت الأعمار والآجال، ولا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء، ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب، فهل لتصديق ذلك سبب؟» إلا أن ذلك يسمعه بعبارة منجم، لعله جرب كذبه مائة مرة. ولا يزال يعاود تصديقه، حتى لو قال المنجم [له]: «إذا كانت الشمس في وسط السماء، ونظر إليها الكوكب الفلاني، والطالع هو البرج الفلاني، فلبست ثوباً جديداً في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب!» فأنه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت، وربما يقاسي فيه البرد الشديد، وربما سمعه من منجم وقد عرف كذبه مرات!.

فليت شعري! من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص -معرفتها معجزة لبعض الأنبياء- فيكف ينكر مثل ذلك، فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات، لم يعرف قط بالكذب! (ولم لا يتسع لإمكانه!).

فإن أنكر فلسفي إمكان هذه الخواص في أعداد الركعات، ورمي الجمار، وعدد أركان الحج، وسائر تعبدات الشرع، لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقاً أصلاً. فإن قال: «قد جربت شيئاً من النجوم وشيئاً من الطب، فوجدت بعضه صادقاً، فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من قلبي استبعاده ونفرته؛ وهذا لم أجربه، فبم أعلم وجوده وتحقيقه؟» وإن أقررت بإمكانه، فأقول: «إنك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم، فاسمع أقوال الأنبياء فقد جربوا وشاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع، واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك».

على أني أقول: «وإن لم تجربه، فيقضي عقلك بوجوب التصديق والإتباع قطعاً. فإنا لو فرضنا رجلاً بلغ وعقل ولم يجرب (المرض)، فمرض، وله والد مشفق حاذق بالطب، يسمع دعواه في معرفة الطب منذ عقل، فعجن له والده دواء، فقال: «هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك». فماذا يقتضيه عقله، إن كان الدواء مراً

كريه المذاق، أن يتناول؟ أوَ يَكذب ويقول: «أنا [لا] أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء، ولم أجربه!» فلا شك أنك تستحمقه إن فعل ذلك! وكذلك يستحمقك أهل البصائر في توقفك! فإن قلت: «فبَم أعرف شفقة النبي صلّى الله عليه وسلّم ومعرفته بهذا الطب؟» فأقول: «وبم عرفت [شفقة أبيك] وليس ذلك أمراً محسوساً؟ بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مصادره وموارده علماً ضرورياً لا تتمارى فيه».

ومن نظر في أقوال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق، وتلطفه في جرّ الناس بأنواع الرفق واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم، حصل له علم ضروري، بأن شفقته صلّى الله عليه وسلّم على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده.

وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال، وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه في القرآن على لسانه وفي الأخبار، وإلى ما ذكره في آخر الزمان، فظهر ذلك كما ذكره، علم علماً ضرورياً أنه بلغ الطور الذي وراء العقل، وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب الذي لا يدركه إلا الخواص، والأمور التي لا يدركها العقل.

فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بتصديق النبي صلّى الله عليه وسلّم. فجرب وتأمل القرآن وطالع الأخبار، تعرف ذلك بالعيان.

وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة، ذكرناه لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان.

وأما السبب الرابع –وهو ضعف الإيمان بسبب سوء سيرة العلماء– فيداوي هذا المرض بثلاثة أمور:

أحدها: أن تقول: «إن العالم الذي تزعم أنه يأكل الحرام ومعرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر [ولحم الخنزير] والربا، بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة، وأنت تعرف ذلك وتفعله، لا لعدم إيمانك بأنه معصية، بل لشهوتك الغالبة عليك؛ فشهوته كشهوتك، وقد غلبته كما غلبتك، فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به

عنك، لا يناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعين. «وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد، وإن زجره الطبيب عنه! ولا يدل ذلك على أنه غير ضار، أو على ان الإيمان بالطب غير صحيح، فهذا مجمل هفوات العلماء».

الثاني: أن يقال للعامي: «ينبغي أن تعتقد أن العالم اتخذ علمه ذخراً لنفسه في الآخرة، ويظن أن علمه ينجيه، ويكون شفيعاً له حتى يتساهل معه في أعماله، لفضيلة علمه. وإن جاز أن يكون زيادة حجة عليه، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له، وهو ممكن. فهو، وإن ترك العمل، يدلي بالعلم. وأما أنت أيها العامي! إذا نظرت إليه وتركت العمل وأنت عن العلم عاطل، فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك!»

الثالث: وهو الحقيقة، أن العالم الحقيقي، لا يقارف معصية إلا على سبيل الهفوة، ولا يكون مصراً على المعاصي أصلاً. إذ العلم الحقيقي ما يعرّف أن المعصية سمٌ مهلك وأن الآخرة خير من الدنيا. ومن عرَف ذلك لا يبيع الخير بما هو أدنى [منه].

وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر الناس. فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم إلا جرأة على معصية الله تعالى. وأما العلم الحقيقي، فيزيد صاحبه خشية وخوفاً [ورجاءً]، وذلك يحول بينه وبين المعاصي إلا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات، وذلك لا يدل على ضعف الإيمان. فالمؤمن مفتنٌ توّابٌ، وهو بعيدٌ عن الإصرار والإكباب.

هذا ما أردت أن أذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما وآفات من أنكر عليهما، لا بطريقه.

نسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن آثره واجتباه، وأرشده إلى الحق وهداه، وألهمه ذكره حتى لا ينساه، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد إلا إياه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إِلْجَامُ الْعَوَامِ عَنْ عِلْمِ اْلكَلاَمِ

تأليف

العلامة الامام حجة الإسلام
أبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي
قدس الله سره وجعل الفردوس مقره

توفي سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.]

الجام العوام عن علم الكلام

للإمام الغزالي قدس سره

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتاهت عقول الطالبين في بيداء كبريائه وقص اجنحة الافكار دون حمى عزته وتعالى بجلاله عن ان تدرك الافهام كنه حقيقته واستوفى قلوب اوليائه وخاصته واستغرق ارواحهم حتى احترقوا بنار محبته وبهتوا في اشراق انوار عظمته وخرست السنتهم عن الثناء على جمال حضرته الاّ بما اسمعهم من اسمائه وصفاته وانبأهم على لسان رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم خير خليقته وعلى اصحابه وعترته (أما بعد) فقد سألتني ارشدك الله عن الاخبار الموهمة للتشبيه عند الرعاع والجهال من الحشوية الضلال حيث اعتقدوا في الله وصفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم والنزول والانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراه مما اخذوه من ظواهر الاخبار وصورها وانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقد السلف وأردت ان اشرح لك اعتقاد السلف وان ابين ما يجب على عموم الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف فيه الغطاء عن الحق واميز ما يجب البحث عنه عما يجب الامساك والكف من الخوض فيه فاجبتك الى طلبتك متقربا الى الله سبحانه وتعالى باظهار الحق الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة على تعصب لمذهب ذي مذهب فالحق اولى بالمراقبة والصدق والانصاف اولى بالمحافظة عليه واسأل الله التسديد والتوفيق وهو باجابة داعيه حقيق وها انا ارتب الكتاب على ثلاثة ابواب: (باب) في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار (وباب) في البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف وان من خالفهم فهو مبتدع (وباب) في فصول متفرقة نافعة في هذا الفن:

(الباب الأول) في شرح اعتقاد السلف في هذه الآخبار

(إعلم) أنّ الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعني مذهب الصحابة والتابعين وها أنا اورد بيانه وبيان برهانه (فأقول) حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة امور (التقديس) ثم التصديق، ثم الإعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الكف، ثم الإمساك، ثم التسليم لأهل المعرفة (وأما التقديس) اعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (وأما التصديق) فهو الايمان بما قاله صلّى الله عليه وسلّم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله واراده (وأما الإعتراف بالعجز) فهو ان يقرّ بان معرفة مراده ليست على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه وحرفته (وأما السكوت) فان لا يسئل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه في خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر (وأما الإمساك) فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والإعراب والتصريف والصيغة (وأما الكف) فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه (وأما التسليم) لأهله فان لا يعتقد ان ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم او على الأنباء او على الصديقين والأولياء فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لا ينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيء منها فلنشرحها وظفية وظيفة ان شاء الله تعالى.

(الوظيفة الاولى التقديس)

ومعناه انه اذا سمع اليد والأصبع وقوله صلّى الله عليه وسلّم **(إن الله خمر طينة آدم بيده)** **(وإن قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرّحمن)** فينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين (أحدهما) وهو الوضع الاصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم

وعصب واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة اعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الا بان يتنحي عن ذلك المكان (وقد يستعار هذا اللفظ) أعني اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم اصلا كما يقال البلدة في يد الأمير فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي ان يتحقق قطعا ويقينا ان الرسول عليه السلامّ لم يرد بذلك جسما هو عضو مركب من لحم ودم وعظم وان لذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعطاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كفرا لأنه مخلوق وكان مخلوقا لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الأئمة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب او لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما كالأرض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب او مشفا لا لون له كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي والسماء او صغيرا كالذرة والهباء او جمادا كالحجارة او حيوانا كالإنسان فالجسم صنم فبان يقدر حسنه وجماله او عظمه او صغره او صلابته وبقاؤه لا يخرج عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده واصبعه فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جلّ جلاله عما يوجب الحدوث ليعتقد بعده انه عبارة عن معنى من المعاني ليس بجسم ولا عرض في جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى فان كان لا يدري ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه في ذلك تكليف اصلا فمعرفته تأويله ومعناه ليس بواجب عليه بل واجب عليه ان لا يخوض فيه كما سأتي مثال آخر اذا سمع الصورة في قوله عليه السلام (**إنّ الله خلق آدم على صورته**) (**وإني رأيت ربي في احسن صورة**) فينبغي ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في اجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيبا مخصوصا مثل الانف والعين والفم والخد التي هي اجسام وهي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب في اجسام كقولك

عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة في حق الله لم يطلق لارادة المعنى الأول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من أنف وفم وخد فان جميع ذلك اجسام وهيآت في اجسام وخالق الاجسام والهيآت كلها متره عن مشابهتها وصفاتها واذا علم هذا يقينا فهو مؤمن فان خطر له انه ان لم يرد هذا المعنى فما المعنى الذي اراده فينبغي ان يعلم ان ذلك لم يؤمر بل امر بان لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي ان يعتقد انه اريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض في جسم مثال آخر اذا قرع سمعه الترول في قوله صلّى الله عليه وسلّم **(يترل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا)** فالواجب عليه ان يعلم ان الترول اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه الى ثلاثة اجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل كذلك وجسم منتقل من السافل الى العالي ومن العالي الى السافل فاذا كان عبارة عن انتقال جسم من علو الى اسفل فان كان من اسفل الى علو سمي صعودا وعروجا ورقيا وان كان من علو الى اسفل سمي نزولا وهبوطا وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر فيه الى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى **(وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ اْلاَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ اَزْوَاجٍ** * الزمر: ٦) وما رؤي البعير والبقر نازلا من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة في الارحام ولانزالها معنى لا محالة كما قال الشافعي رضي الله عنه دخلت مصر فلم يفهموا كلامي فترلت ثم نزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده الى اسفل فتحقق المؤمن قطعا ان الترول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول وهو انتقال شخص وجسد من علو الى اسفل فان الشخص والجسد الاجسام والرب جلّ جلاله ليس بجسم فان خطر له انه ان لم يرد هذا فما الذي اراد فيقال له انت اذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فانت عن فهم نزول الله تعالى اعجز فليس هذا يعنيك فادرج واشتغل بعبادتك او حرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى من المعاني التي يجوز ان يراد بالترول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وان كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته مثال آخر اذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى **(وَهُوَ**

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ * الأنعام: ١٨) وفي قوله تعالى (**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ** * النحل: ٥٠) فليعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما نسبة جسم الى جسم بان يكون احدهما اعلى والآخر اسفل يعني ان الاعلى من جانب رأس الاسفل وقد يطلق لفوقية الرتبة وبهذا المعنى يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير وكما يقال العلم فوق العلم والاول يستدعي جسما ينسب الى جسم (والثاني) لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول غير مراد وانه على الله تعالى محال فانه من لوازم الاجسام او لوازم اعراض الاجسام واذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لما ذا اطلق وما ذا اريد فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره.

(الوظيفة الثانية الايمان والتصديق)

وهو ان يعلم قطعا ان هذه الالفاظ اريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته وان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صادق في وصف الله تعالى به فليؤمن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق وما اخبر عنه حق لا ريب فيه وليقل آمنا وصدقنا وان ما وصف الله تعالى به نفسه او وصفه به رسوله فهو كما وصفه وحق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه الذي قاله وان كنت لا اقف على حقيقته فإن قلت التصديق انما يكون بعد التصور والايمان انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم العبد معانيها كيف يعتقد صدق قائله فيها فجوابك ان التصديق بالامور الجملية ليس بمحال وكل عاقل يعلم انه اريد بهذه الالفاظ معان وان كل اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى فيمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه فهذا معقول على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ امور جملية غير مفصلة ويمكن التصديق كما اذا قال في البيت حيوان امكن ان يصدق دون ان يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال فيه شيء امكن تصديقه وان لم يعرف ما ذلك الشيء فكذلك من سمع الاستواء على العرش فهم على الجملة انه اريد بذلك نسبة خاصة الى العرش فيمكنه بالتصديق قبل ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة الاستقرار

عليه او الاقبال على خلقه او اتحاده والاستيلاء عليه او معنى آخر من معاني النسبة فامكن التصديق به وإن قلت فاي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك انه قصد بهذا الخطاب تفهيم من هو اهله وهم الاولياء والرساخون في العلم وقد فهموا وليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهم الصبيان والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين ولكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما يفهموهم وعلى البالغين ان يجيبوا الصبيان بان هذا ليس من شأنكم ولستم من اهله فخوضوا في حديث غيره فقد قيل للجاهل فاسألوا اهل الذكر فان كانوا يطيقون فهمه فهموهم والاّ قولوا لهم وما اوتيتم من العلم الاّ قليلا فلا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم ما لكم ولهذا السؤال هذه معاني الايمان بها واجب والكيفية مجهولة اي مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب فاذن الايمان بالجمليات التي ليست مفصلة في الذهن ممكن ولكن تقديسه الذي هو نفي للمحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا فان المنفي هي الجسمية ولوازمها ونعني بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل العريض والعميق الذي يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الذي يدفع ما يطلب مكانه ان كان قويا ويندفع ويتنحي عن مكانه بقوة دافعة ان كان ضعيفا وانما شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به.

(الوظيفة الثالثة الإعتراف بالعجز)

ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها و لم يعرف تأويلها والمعنى المراد به ان يقر بالعجز فان التصديق واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون في العلم والعارفون من الاولياء ان جاوزوا في المعرفة حدود العوام وجالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فما بقى لهم مما لم يبلغوه وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوى عنهم إلى ما كشف لهم لكثرة المطوي

وقلة المكشوف بالإضافة إليه والإضافة إلى المطوي المستور قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه (**لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك**) وبالاضافة الى المكشوف قال صلوات الله عليه (**اعرّفكم بالله اخوّفكم لله وأنا اعرفكم بالله**) ولاجل كون العجز والقصور ضروريا في آخر الامر بالاضافة الى منتهى الحال قال سيد الصديقين «العجز عن درك الادراك ادراك» فاوائل حقايق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها بالاضافة الى خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز.

(الوظيفة الرابعة السكوت عن السؤال)

وذلك واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه وخايض فيما ليس اهلا له فان سأل جاهلا زاده جوابه جهلا وربما ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سأل عارفا عجز العارف عن تفهيمه بل عجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه إلى المكتب بل عجز الصائغ عن تفهيم النجار دقايق صناعته فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن دقايق الصياغة لانه انما يعلم دقايق النجر لاستغراقه العمر في تعلمه وممارسته فكذلك يفهم الصياغة ايضا لصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل ذلك لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا وبالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة المعرضين عن الصناعات عن فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم لقصور في فطرته لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر عن تغذية الاقوياء لكن طبع الضعفاء قاصر عن التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف اللحم والخبز او مكنه من تناوله فقد اهلكه وكذلك العامي اذا طلب بالسؤال هذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضي الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهات وكما فعله صلّى الله عليه وسلّم في الانكار على قوم رآهم خاضوا في مسألة القدر وسألوا عنه فقال عليه السلام (**أفبهذا امرتم وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال**) او لفظ هذا معناه كما اشتهر في الخبر ولهذا اقول يحرم على الوعاظ على رؤس المنابر الجواب عن هذه

الاسئلة بالخوض في التأويل والتفصيل بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكره السلف وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه وانه تعالى متره عن الجسمية وعوارضها وله المبالغة في هذا بما اراد حتى يقول كل ما خطر ببالكم وهجس في ضميركم وتصور في خاطركم فالله تعالى خالقها وهو متره عنها وعن مشابهتها وان ليس المراد بالاخبار شيء من ذلك واما حقيقة المراد فلستم من اهل معرفتها والسؤال عنها فاشتغلوا بالتقوى فما امركم الله تعالى به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه ومهما سمعتم شيئا من ذلك فاسكتوا وقولوا آمنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الاّ قليلا وليس هذا من جملة ما اوتيناه.

(الوظيفة الخامسة الإمساك عن التصرف في الفاظ واردة)

ويجب على عموم الخلق الجمود على الفاظ هذه الأخبار والإمساك عن التصرف فيها من ستة اوجه التفسير والتأويل والتصريف والتفريع والجمع والتفريق (الأول) التفسير واعني به تبديل اللفظ بلغة اخرى يقوم مقامها في العربية او معناها بالفارسية او التركية بل لا يجوز النطق الاّ باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها بفارسية يطابقها ومنها ما يوجد لها فارسية يطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها ومنها ما يكون مشتركا في العربية ولا يكون في العجمية كذلك (أما الأول) مثاله لفظ الاستواء فانه ليس له في الفارسية لفظ مطابق يؤدي بين الفرس من المعنى الذي يؤديه لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا يشتمل على مزيد ايهام اذ فارسيته ان يقال راست باستاد وهذان لفظان الاول ينبيء عن انتصاب واستقامة فيما يتصور ان ينحني ويعوج (والثاني) ينبيء عن سكون وثبات فيما يتصور ان يتحرك ويضطرب واشعاره بهذه المعاني واشارته اليها في العجمية اظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا في الدلالة والاشعار لم يكن هذا مثل الاول وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له الذي لا يخالفه بوجه من الوجوه الا بما لا يباينه ولا يخالفه ولو بادنى شيء

وادقه واخفاه (المثال الثاني) ان الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة يقال لفلان عندي اصبع اي نعمة ومعناها بالفارسية انگشت وما جرت عادة العجم بهذه الاستعارة وتوسع العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع العجم بل لا نسبة لتوسع العرب الى جمود العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار له في العرب وسمج ذلك في العجم يفر القلب عن ما سمج ومجه السمع و لم يمل اليه فاذا تفاوتا لم يكن التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الاّ بالمثل (المثال الثالث) العين فان من فسره فانما يفسره باظهر معانيه فيقول هو چشم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر وبين الماء والذهب والشمس وليس للفظ چشم وهو مشترك هذا الاشتراك وكذلك لفظ الجنب والوجه يقرب منه فلاجل هذا نرى المنع من التبديل والاقتصار على العربية فإن قيل هذا التفاوت ان ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز ونان وبين قولك لحم وگوشت وان اعترف بان ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت لا عند التماثل فالجواب ان الحق ان هذا التفاوت في البعض لا في الكل فلعل لفظ اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين وفي الاشتراك والاستعارة وسائر الامور ولكن اذا انقسم إلى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس ادراك التمييز بينهما والوقوف على دقايق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحسّم الباب احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل وبين ان نفتح الباب ونقحم عموم الخلق ورطة الخطر فليت شعري اي الامرين احزم واحوط والمنظور فيه ذات الاله وصفاته وما عندي ان عاقلا متدينا لا يقر بان هذا الامر مخطر فان الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه كيف وقد اوجب الشرع على الموطوءة العدة لبراءة الرحم ولحذر من خلط الانساب احتياطا لحكم الولاية والوراثة وما يترتب على النسب فقالوا مع ذلك يجب العدة على العقيم والآيسة والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما يطلع عليه علام الغيوب فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب

النظر الى التفصيل كنا راكبين متن الخطر فايجاب العدة حيث لا علوق اهون من ركوب هذا الخطر فكما ان ايجاب العدة حكم شرعي فتحريم تبديل العربية حكم شرعي ثبت بالاجتهاد وترجيح طريق الاول ويعلم ان الاحتياط في الخبر عن الله وعن صفاته وعما اراده بالفاظ القرآن اهم واولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط الفقهاء من هذا القبيل (اما التصريف الثاني) التأويل وهو بيان معناه بعد ازالة ظاهره وهذا اما ان يقع من العامي نفسه او من العارف مع العامي او من العارف مع نفسه بينه وبين ربه فهذه ثلاث مواضع (الأول) تأويل العامي على سبيل الاشتغال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة ولا شك في تحريم ذلك وبحر معرفة الله ابعد غورا واكثر معاطب ومهالك من بحر الماء لان هلاك هذا البحر لا حياة بعده وهلاك بحر الدنيا لا يزيل الاّ الحياة الفانية وذلك يزيل الحياة الابدية فشتان بين الخطرين (الموضع الثاني) ان يكون ذلك من العالم مع العامي وهو ايضا ممنوع ومثاله ان يجر السباح الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة مضطرب القلب والبدن وذلك حرام لانه عرضه لخطر الهلاك فانه لا يقوى على حفظه في لجة البحر وان قدر على حفظه في القرب من الساحل ولو امره بالوقوف بقرب الساحل لا يطيعه وان امره بالسكون عند التطام الأمواج واقبال التماسيح وقد فغرت فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه و لم يسكن على حسب مراده لقصور طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح للعام باب التأويلات والتصرف في خلاف الظواهر وفي معنى العوام الأديب والنحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والاعمال العاملين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله تعالى لله المستحقرين للدنيا بل الآخرة والفردوس الاعلى في جنب محبة الله تعالى فهؤلاء هم

اهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظم يهلك من العشرة تسعة إلى ان يسعد واحد بالدر المكنون والسر المخزون اولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى فهم الفائزون وربك أعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون (الموضع الثالث) تأويل العارف مع نفسه في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلاثة اوجه فان الذي انقدح في سره انه المراد به من لفظ الاستواء والفوق مثلا اما ان يكون مقطوعا به او مشكوكا فيه او مظنونا ظنا غالبا فإن كان قطعيا فليعتقده وان كان مشكوكا فليجتنبه ولا يحكمن على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلّى الله عليه وسلّم من كلامه باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان كان مظنونا فاعلم ان للظن متعلقين احدهما ان المعنى الذي انقدح عنده هل هو جائز في حق الله تعالى ام هو محال (والثاني) ان يعلم قطعا جوازه لكن تردد في انه هل هو مراد ام لا (المثال الأول) تأويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذي هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فانّا لا نشك في ثبوت معناه لله تعالى لكنا ربما نتردد في ان لفظ الفوق في قوله (**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**) هل اريد به العلو المعنوي ام اريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم (والمثال الثاني) تأويل لفظ الاستواء على العرش بانه اراد به النسبة الخاصة التي للعرش ونسبته ان الله تعالى يتصرف في جميع العالم ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة العرش فانه لا يحدث في العالم صورة ما لم يحدثه في العرش كما لا يحدث النقاش والكاتب صورة وكلمة على البياض ما لم يحدثه في الدماغ بل لا يحدث البناء صورة الابنية ما لم يحدث صورتها في الدماغ فبواسطة الدماغ يدبر القلب امر عالمه الذي هو بدنه فربما نتردد في ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تعالى هل هو جائز اما لوجوبه في نفسه او لانه اجرى به سنته وعادته وان لم يكن خلافه محالا كما اجرى عادته في حق قلب الانسان بان لا يمكنه التدبير الاّ بواسطة الدماغ وان كان في قدرة الله تعالى تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت به

ارادته الازلية وحقت به الكلمة القديمة التي هي علمه فصار خلافه ممتنعا لا لقصور في ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة والعلم السابق الازلي ولذلك قال (**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً** * الأحزاب: ٦٢) وانما لا يتبدل لوجوبها وانما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة الواجب واجبة ونقيضها محال وان لم يكن محالا في ذاته ولكنه محال لغيره وهو إفضاؤه الى ان ينقلب العلم الازلي جهلا ويمتنع نفوذ المشيئة الازلية فاذا اثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش في تدبير المملكة بواسطته إن كان جائزا عقلا فهل واقع وجودا هذا مما قد يتردد فيه الناظر وربما يظن وجود هذا مثال الظن في نفس المعنى والأول مثال الظن في كون المعنى مرادا باللفظ مع كون المعنى في نفسه صحيح جائزا وبينهما فرقان لكن كل واحد من الظنين اذا انقدح في النفس وحاك في الصدر فلا يدخل تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن فان للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها و (**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا اِلاَّ وُسْعَهَا** * البقرة: ٢٨٦) لكن عليه وظيفتان احدهما ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير شعور بامكان الغلط فيه ولا ينبغي ان يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكما جازما (والثانية) انه ان ذكره لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا او المراد بالفوق كذا لانه حكم بما لا يعلم وقد قال الله تعالى (**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** * الإسراء: ٣٦) لكن يقول انا اظن انه كذا فيكون صادق في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما على صفة الله ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضميره فإن قيل وهل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به قلنا تحدثه به إنما يكون على اربعة اوجه فاما ان يكون مع نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار او مع من هو مستعد للاستبصار بذكائه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله تعالى او مع العامي فان كان قاطعا فله ان يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الاستبصار او من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له خال عن الميل الى الدنيا والشهوات

والتعصبات للمذاهب وطلب المباهات بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة لا لغرض آخر يحيك في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تأويلات فاسدة لشدة شرهه على الفرار عن مقتضى الظواهر ومنع العلم اهله ظلم كبثه الى غير اهله واما العامي فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يتصف بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من اطعام الرضيع الاطعمة القوية التي لا يطيق واما المظنون فتحدثه مع نفسه اضطرار فان ما ينطوي عليه الذهن من ظن وشك وقطع لا زال النفس يتحدث به ولا قدرة على الخلاص منه فلا منع منه فلا شك في منع التحدث به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما تحدثه مع من هو في مثل درجته في المعرفة او مع المستعد له فيه نظر فيحتمل ان يقال هو جائز ولا يزيد على ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى او في مراده من كلامه وفيه خطر واباحته يعرف بنص او اجماع او قياس على منصوص ولم يرد شيء من ذلك بل ورد قوله تعالى (**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**) فإن قيل يدل على الجواز ثلاثة امور (الأول) الدليل الذي دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يجيز الاّ عن ظنه وهو ظان (الثاني) اقاويل المفسرين في القرآن بالحدس والظن اذ كل ما قالوه غير مسموع من الرسول عليه السلام بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاول وتعارضت (والثالث) اجماع التابعين على نقل الاخبار المتشابهة التي نقلها آحاد الصحابة ولم يتواتر وما اشتمل عليه الصحاح الذي نقله العدل عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل الاّ الظن والجواب عن الاول ان المباح صدق لا يخشى منه ضرر وبث هذه الظنون لا يخلو عن ضرر فقد يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم في صفات الله تعالى بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا وجد مستروحا من المعنى ولو كان مظنونا سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون قد اعتقد في

صفات الله تعالى بما هو الباطل او حكم عليه في كلامه بما لم يرد به (وأما الثاني) وهو اقاويل المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات الله تعالى كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك في الاحكام الفقهية او في حكايات احوال الانبياء والكفار والمواعظ والامثال وما لا يعظم خطر الخطاء فيه (وأما الثالث) فقد قال قائلون لا يجوز ان يعتمد في هذا الباب الاّ ما ورد في القرآن او تواتر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم تواترا يفد العلم فاما اخبار الآحاد فلا يقبل فيه ولا نشتغل بتأويله عند من يميل الى التأويل ولا بروايته عند من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالمظنون واعتماد عليه وما ذكروه ليس ببعيد لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم قبلوا هذه الاخبار من العدول ورووها وصححوها فالجواب من وجهين (احدهما) ان التابعين كانوا قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل بالكذب لا سيما في صفات الله تعالى فاذا روى الصديق رضي الله عنه خبرا وقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول كذا فرد روايته تكذيب له ونسبة له الى الوضع او الى السهو فقبلوه وقالوا قال ابو بكر قال رسول الله عليه السلام وقال انس قال رسول الله عليه السلام وكذا في تابعي التابعين فالآن اذا ثبت عندهم بادلة الشرع انه لا سبيل الى اتهام العدل التقي من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فمن اين يجب ان لا يتهم ظنون الآحاد وان يترل الظن مترلة نقل العدل مع ان بعض الظن اثم فاذا قال الشارع (**ما اخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه وانقلوه واظهروه**) فلا يلزم من هذا ان يقال ما حدثكم به نفوسكم من ظنونكم فاقبلوه واظهروه وارووا عن ظنونكم وضمائركم ونفوسكم ما قالته فليس هذا في معنى المنصوص ولهذا نقول ما رواه غير العدل من هذا الجنس ينبغي ان يعرض عنه ولا يروى ويحتاط فيه اكثر مما يحتاط في المواعظ والامثال وما يجري مجراها (والجواب الثاني) ان تلك الاخبار روتها الصحابة لانهم سمعوه يقينا فما نقلوا الاّ ما تيقنوه والتابعون قبلوه ورووه وما قالوا قال رسول الله عليه السلام كذا بل قالوا قال فلان قال رسول الله عليه السلام

كذا وكانوا صادقين وما اهملوا روايته لاشتمال كل حديث على فوائد سوى اللفظ الموهم عند العارف معنى حقيقيا يفهمه منه ليس ذلك ظنيا في حقه مثاله رواية الصحابي عن رسول الله عليه السلام (**قوله يترل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاجيب وهل من مستغفر فاغفر له**) الحديث فهذا الحديث سبق لنهاية الترغيب في قيام الليل وله تأثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو افضل العبادات فلو ترك هذا الحديث لبطلت هذه الفائدة العظيمة ولا سبيل الى اهمالها وليس فيه الاّ ايهام لفظ الترول عند الصبي والعامي الجاري مجرى الصبي وما اهون على البصير ان يغرس في قلب العامي التتريه والتقديس عن صورة الترول بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا نداءه وقوله فما اسمعنا فاي فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش او على السماء الأعلى فهذا القدر يعرف العامي ان ظاهر الترول باطل بل مثاله ان يريد من في المشرق اسماع شخص في المغرب ومناداته فيتقدم الى المغرب باقدام معدودة واخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمع فيكون نقله الاقدام عملا باطلا وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يضطر بهذا القدر كل عامي الى ان يتيقن نفي صورة الترول وكيف وقد علم استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام كاستحالة الترول من غير انتقال فاذا الفائدة في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فاني يساوي هذا حكاية الظنون المنقدحة في الانفس فهذه سبل تجاذب طرق الاجتهاد في اباحة ذكر التأويل المظنون او المنع ولا يبعد ذكر وجه ثالث وهو ان ينظر الى قرائن حال السائل والمستمع فان علم انه ينتفع به ذكره وان علم انه يتضرر تركه وان ظن احد الامرين كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر وكم من انسان لا تتحرك داعيته باطنا الى معرفة هذه المعاني ولا يحيك في نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التأويل معه مشوش وكم من انسان يحيك في نفسه اشكال الظاهر حتى يكاد ان يسوء اعتقاده في الرسول عليه السلام وينكر قوله الموهم فمثل هذا لو ذكر معه

الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال الذي ينبؤ عنه اللفظ انتفع به ولا بأس بذكره معه فانه دواء لدائه وان كان داء في غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة من اكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان زمان السلف الاول زمان سكون القلب بالغوا في الكف عن التأويل خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالاثم اما الآن وقد فشى ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار شيء من ذلك رجاء لاماطة الأوهام الباطلة عن القلوب اظهر واللوم عن قائله اقل فإن قيل فقد فرقتم بين التأويل المقطوع والمظنون فبما ذا يحصل القطع بصحة التأويل قلنا بامرين (احدهما) ان يكون المعنى مقطوعا ثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة (والثاني) ان لا يكون اللفظ الاّ محتملا لامرين وقد بطل احدهما وتعين الثاني مثاله قوله تعالى (**وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**) فانه إن ظهر في وضع اللسان ان الفوق لا محتمل الاّ فوقية المكان او فوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان لمعرفة التقديس لم يبق الاّ فوقية الرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير فالله فوق عباده بهذا المعنى وهذا كالمقطوع به في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الاّ في هذين المعنيين اما لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش ربما لا ينحصر مفهومه في اللغة هذا الانحصار واذا تردد بين ثلاثة معاني معنيان جائزان على الله تعالى ومعنى واحد هو الباطل فتنزيله على احد المعنيين الجايزان ان يكون بالظن وبالاحتمال المجرد وهذا تمام النظر في الكف عن التأويل (التصرف الثالث) الذي يجب الامساك عنه التصريف ومعناه انه اذا ورد قوله تعالى (**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) فلا ينبغي ان يقال مستو ويستوي لان المعنى يجوز ان يختلف لان دلالة قوله هو مستو على العرش على الاستقرار اظهر من قوله (**رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** * الرعد: ٢) الآية بل هو كقوله (**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي ٱلْاَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى اِلَى السَّمَآءِ** * البقرة: ٢٩) فان

هذا يدل على استواء قد انقضى من اقبال على خلقه او على تدبير المملكة بواسطته ففي تغيير التصاريف ما يوثق في تغيير الدلالات والاحتمالات فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان تحت التصريف الزيادة والنقصان (التصرف الرابع) الذي يجب الامساك عنه القياس والتفريع مثل ان يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والعضد والكف مصيرا الى ان هذا من لوازم اليد واذا ورد الاصبع لم يجز ذكر الانملة كما لا يجوز ذكر اللحم والجسم والعصب وان كان اليد المشهورة لا ينفك عنه وابعد من هذه الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد واثبات الفم عند ورود العين او عند ورود الضحك واثبات الاذن والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة وقد يتجاسر بعض الحمقى من المشبهة الحشوية فلذلك ذكرناه (التصرف الخامس) لا يجمع بين متفرق ولقد بعد عن التوفيق من صنف كتابا في جمع هذه الاخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الرأس وباب في اثبات اليد الى غير ذلك وسماه كتاب الصفات فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول الله عليه السلام في اوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة يفهم السامعين معاني صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك المفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وايهام التشبيه وصار الاشكال في ان الرسول عليه السلام لِمَ نطق بما يوهم خلاف الحق اعظم في النفس واوقع بل الكلمة الواحدة يتطرق اليها الاحتمال فاذا اتصل به ثانية وثالثة ورابعة من جنس واحد صار متواليا يضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من الظن بقول المخبرين وثلاثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي بخبر التواتر ما لا يحصل بالآحاد ويحصل من العلم القطعي باجتماع التواتر ما لا يحصل بالآحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل والى كل واحدة من القرائن فاذا انقطع الاحتمال او ضعف فلذلك لا يجوز جمع المتفرقات (التصرف السادس) التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع بين متفرقة فلا يفرق بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة

على كلمة او لاحقة لها مؤثرة في تفهيم معناه مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**) لا تسلط على ان يقول القائل هو فوق لانه اذا ذكر القاهر قبله ظهر دلالة الفوق على الفوقية التي للقاهر مع المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لا يجوز ان يقول وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي ان يقول فوق عباده لان ذكر العبودية في وصفه في الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة اذ يحسن ان يقال زيد فوق عمرو قبل ان يتبين تفاوتهما في معنى السيادة والعبودية او غلبة القهر او نفوذ الامر بالسلطنة او بالابوة او بالزوجية فهذه الامور يغفل عنها العلماء فضلا عن العوام فكيف يسلط العوام في مثل ذلك على التصرف بالجمع والتفريق والتأويل والتفسير وانواع التغيير ولاجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد على الوجه الذي ورد وباللفظ الذي ورد والحق ما قالوه والصواب ما راوه فأهم المواضع بالاحتياط ما هو تصرفه في ذات الله وصفاته واحق المواضع بالجام اللسان وتقييده عن الجريان فيما يعظم فيه الخطر واي خطر اعظم من الكفر.

(الوظيفة السادسة في الكف بعد الامساك)

واعني بالكف كف الباطن عن التفكر في هذه الامور فذلك واجب عليه كما وجب عليه امساك اللسان عن السؤال والتصرف وهذا اثقل الوظائف واشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن ان لا يخوض غمرة البحر وان كان يتقاضاه طبعه ان يغوص في البحر ويخرج دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي ان يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن نيلها بل ينبغي ان ينظر الى عجزه وكثرة معاطبها ومهالكها ويتفكر انه ان فاته نفائس البحر فما فاته الاّ زيادات وتوسعات في المعيشة وهو مستغن عنها فان غرق او التقمه تمساح فإنه اصل الحياة فإن قلت إن لم ينصرف قلبه عن التفكر والتشوف الى البحث فما طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه بعبادة الله وبالصلاة وقراءة القرآن والذكر فإن لم يقدر فبعلم آخر لا يناسب هذا الجنس من

لغة او نحو او خط او طب او فقه فإن لم يمكنه فبحرفة أو صناعة ولو الحراثة والحياكة فإن لم يقدر فبلعب ولهو وكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر البعيد غوره وعمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية ربما كان اسلم له من ان يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى فإن ذلك غايته الفسق وهذا عاقبته الشرك (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ** * النساء: ٤٨) فإن قلت العامي اذا لم تسكن نفسه الى الاعتقادات الدينية الاّ بدليل فهل يجوز ان يذكر له الدليل فإن جوزت ذلك فقد رخصت له في التفكر والنظر واي فرق بينه وبين غيره الجواب اني اجوز له ان يسمع الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر ولكن بشرطين (احدهما) ان لا يزاد معه على الادلة التي في القرآن (والآخر) ان لا يماري فيه الاّ مراء ظاهرا ولا يتفكر فيه الاّ تفكرا سهلا جليا ولا يمعن في التفكر ولا يوغل غاية الايغال في البحث وادلة هذه الامور الاربعة ما ذكر في القرآن اما الدليل على معرفة الخالق مثل قوله تعالى (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ اَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ فَسَيَقُولُونَ الله** * يونس: ٣١) وقوله (**اَفَلَمْ يَنْظُرُوا اِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَاَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُبَارَكًا فَاَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاب لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ** * ق: ٦-١٠) (وكقوله) (**فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ اِلَى طَعَامِهِ * اَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْاَرْضَ شَقّاً * فَاَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَاَبّاً** * عبس: ٢٤-٣١) (وقوله) (**اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ اَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ اَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَاَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ اَلْفَافًا** * النبأ: ٦-١٦) وامثال

ذلك وهي قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب جواهر القرآن بها ينبغي ان يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته لا بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة فهي حادثة ثم الحادث يفتقر الى محدث فإن تلك التقسيمات والمقدمات واثباتها بادلتها الرسمية يشوش قلوب العوام والدلالات الظاهرة القريبة من الافهام على ما في القرآن يقنعهم وتسكن نفوسهم وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية فيقنع فيه بما في القرآن من قوله (**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ اِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا** * الأنبياء: ٢٢) فان اجتماع المدبرين سبب افساد التدبير (وبمثل) قوله (**لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ اِذًا لابْتَغَوْا اِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً** * الإسراء: ٤٢) وقوله تعالى (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَاكَانَ مَعَهُ مِنْ اِلَهٍ اِذًا لَذَهَبَ كُلُّ اِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** * المؤمنون: ٩١) (واما صدق) الرسول فيستدل عليه بقوله تعالى (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** * الإسراء: ٨٨) وبقوله (**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** * البقرة: ٢٣) وقوله (**قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** * هود: ١٣) وامثاله (واما اليوم الآخر) فيستدل عليه بقوله (**قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** * **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي اَنْشَأَهَآ اَوَّلَ مَرَّةٍ** * يس: ٧٨-٧٩) وبقوله (**اَيَحْسَبُ الاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدًى** * **اَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى** * **ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى** * **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَوَالاُنْثَى** * **اَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** * القيامة: ٣٦-٤٠) وبقوله (**يَآ اَيُّهَا النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الاَرْحَامِ مَا نَشَآءُ اِلَى اَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا اَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلَى اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الاَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَآ اَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ** * الحج: ٥) (**اِنَّ الَّذِي اَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى** * فصلت: ٣٩) وامثال ذلك كثير في القرآن فلا ينبغي ان يزاد عليه فإن قيل فهذه الادلة التي اعتمدها

المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم يمنعهم عن تقرير هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتأمله فإن فتح للعامي باب النظر فليفتح مطلقا او ليسد عليه طريق النظر رأسا وليكلف التقليد من غير دليل (الجواب) ان الادلة تنقسم الى ما يحتاج فيه الى تفكر وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق الى الافهام ببادي الرأي من اول النظر مما يدركه كافة الناس بسهولة لا خطر فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعه فادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون بل ادلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا ينتفع بها الصبيان اصلا ولهذا قلنا ادلة القرآن ايضا ينبغي ان يصغي اليها اصغاءه الى كلام جلي ولا يمارى فيه الامراء ظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق المنظر فمن الجلي ان من قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر كما قال هو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وان التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم في كل العالم وان من خلق علم كما قال تعالى (**اَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** * الملك: ١٤) فهذه الادلة يجري للعوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حيا وما اخذته المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال وتوجيه اشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره في حق اكثر الخلق ظاهر فهو الذي ينبغي ان يتوقى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان والتجربة وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشا صناعة الكلام مع سلامة العصر الاول من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه ايضا ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصحابة باجمعهم ما سلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا ان ذلك نافع لاطنبوا فيه ولخاضوا في تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض فإن قيل انما امسكوا عنه لقلة الحاجة فإن البدع إنما نبغت بعدهم فعظم حاجة المتأخرين وعلم الكلام راجع الى علم معالجة المرضى

بالبدع فلما قلت في زمانهم امراض البدع قلت عنايتهم بجميع طرق المعالجة فالجواب من وجهين (احدهما) انهم في مسائل الفرائض ما اقتصروا على بيان حكم الوقائع بل وضعوا المسائل وفرضوا فيها ما ينقضي الدهور ولا يقع مثله لان ذلك مما امكن وقوعه فصنفوا علمه ورتبوه قبل وقوعه اذ علموا انه لا ضرر في الخوض فيه وفي بيان حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية بازالة البدع ونزعها عن النفوس اهم فلم يتخذوا ذلك صناعة لانهم عرفوا ان الاستضرار بالخوض فيه اكثر من الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا من ذلك وفهموا تحريم الخوض لخاضوا فيه (والجواب الثاني) انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى في اثبات نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم والى اثبات البعث مع منكريه ثم ما زادوا في هذه القواعد التي هي امهات العقائد على ادلة القرآن فمن اقنعهم ذلك قبلوه ومن لم يقنع قتلوه وعدلوا الى السيف والسنان بعد افشاء ادلة القرآن وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات وتحرير طريق المجادلة وتذليل طرقها ومنهاجها كل ذلك لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه ادلة القرآن لا يقمعه الاّ السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان على اننا ننصف ولا ننكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض وان لطول الزمان وبعد العهد عن عصر النبوة تأثيرا في اثارة الاشكالات وان للعلاج طريقين (احدهما) الخوض في البيان والبرهان الى ان يصلح واحد يفسد به اثنان فان صلاحه بالاضافة الى الاكياس وفساده بالاضافة الى البله وما اقل الاكياس وما اكثر البله والعناية بالاكثرين اولى (والطريق الثاني) طريق السلف في الكف والسكوت والعدول إلى الدرة والسوط والسيف وذلك مما يقنع الاكثرين وان كان لا يقنع الاقلين وآية اقناعه ان من يسترق من الكفار من العبيد والاماء تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه حتى يصير طوعا ما كان في البداية كرها ويصير اعتقادا جزما ما كان في الابتداء مراء وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين والمؤانسة بهم وسماع كلام الله ورؤية الصالحين وخبرهم وقرائن من هذا الجنس تناسب طباعهم

مناسبة اشد من مناسبة الجدل والدليل فاذا كان كل واحد من العلاجين يناسب قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع في الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول المؤيد بروح القدس المكاشف من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير البصير باسرار عباده وبواطنهم اعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوك سبيلهم لا محالة اولى.

(الوظفة السابعة التسليم لاهل المعرفة)

وبيانه انه يجب على العامي ان يعتقد ان ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر واسرارها ليس منطويا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن الصديق وعن اكابر الصحابة وعن الاولياء والعلماء الراسخين وانه انما انطوى عنه لعجزه وقصور معرفته فلا ينبغي ان يقيس بنفسه غيره فلا تقاس الملائكة بالحدادين وليس ما يخلو عنه مخادع العجائز يلزم منه ان يخلو عنه خزائن الملوك فقد خلق الناس اشتاتا متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر فانظر الى تفاوتهما وتباعد ما بينهما صورة ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لسائر جواهر المعارف فبعضها معدن النبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن للشهوات البهيمية والاخلاق الشيطانية بل ترى الناس يتفاوتون في الحرف والصناعات فقد يقدر الواحد بخفة يده وحذاقة صناعته على امور لا يطمع الآخر في بلوغ اوائله فضلا عن غايته ولو اشتغل بتعلمه جميع عمره فكذلك معرفة الله تعالى بل كما ينقسم الناس الى جبان عاجز لا يطيق النظر إلى التطام امواج البحار وان كان على ساحله والى من يطيق ذلك ولكن لا يمكنه الخوض في اطرافه وان كان قائما في الماء على رجله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع الرجل عن الارض اعتمادا على السباحة والى من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن لا يطيق خوض البحر إلى لجته والمواضع المغرفة المخطرة والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق الغوص في عمق البحر الى مستقره الذي فيه نفائسه وجواهره فهكذا مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه مثله حذو القذة بالقذة من غير فرق (فإن قيل) فالعارفون محيطون بكمال معرفة الله سبحانه حتى لا

ينطوي عنهم شيء قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان القطعي في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى انه لا يعرف الله كنه معرفته الاّ الله وان الخلائق وان اتسعت معرفتهم وغزر علمهم فاذا اضيف ذلك الى علم الله سبحانه فما اوتوا من العلم الاّ قليلا لكن ينبغي ان يعلم ان الحضرة الالهية محيطة بكل ما في الوجود اذ ليس في الوجود الاّ الله وافعاله فالكل من الحضرة الالهية كما ان جميع ارباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من العسكر فهم من جملة حضرة السلطانية وانت لا تفهم الحضرة الالهية الاّ بالتمثيل الى الحضرة السلطانية فاعلم ان كل ما في الوجود داخل في الحضرة الالهية ولكن كما ان السلطان له في مملكته قصر خاص وفي فناء قصره ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة العتبة ودخول الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم وربما لم يطرق الى القصر الخاص الاّ الوزير وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على ما يريد ويستأثر عنه بامور لا يطلعه عليه فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق في القرب والبعد من الحضرة الالهية فالعتبة التي هي آخر الميدان موقف جميع العوام ومردّهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا حدهم استوجب الزجر والتنكيل واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدان ولهم فيه جولان على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت ما بينهم كثير وان اشتركوا في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام المفترشين واما حظيرة القدس في صدر الميدان فهي اعلى من ان يطأها اقدام العارفين وارفع من ان يمتد اليها أبصار الناظرين بل لا يلمح ذلك الجناب الرفيع صغير ولا كبير الاّ غض من الدهشة والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير فهذا ما يجب على العامي ان يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي الوظائف السبع الواجبة على عوام الخلق في هذه الاخبار التي سألت عنها وهي حقيقة مذهب السلف واما الآن فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف.

(الباب الثاني في اقامة البرهان على ان الحق مذهب السلف)

وعليه برهانان عقلي وسمعي اما العقلي فاثنتان كلي وتفصيلي اما البرهان الكلي على ان الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم اربعة اصول هي مسلمة عند كل عاقل (الأول) ان اعرف الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة الى حسن المعاد هو النبي صلّى الله عليه وسلّم فإن ما ينتفع به في الآخرة او يضر لا سبيل إلى معرفته بالتجربة كما عرف الطبيب اذ لا مجال للعلوم التجربية الاّ بما يشاهد على سبيل التكرر ومن الذي رجع من ذلك العالم فادرك بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس العقل فان العقول قاصرة عن ذلك والعقلاء باجمعهم معترفون بان العقل لا يهتدي الى ما بعد الموت ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرائع بل اقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الاّ بنور النبوة وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من امر الغيب في الماضي والمستقبل امور لا على طريق التعرف بالاسباب العقلية وهذا مما اتفق عليه الاوائل والحكماء فضلا عن الاولياء والعلماء الراسخين القاصرين نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المقرين بقصور كل قوة سوى هذه القوة (الأصل الثاني) انه صلّى الله عليه وسلّم افاض الى الخلق ما اوحي اليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم وانه ما كتم شيئا من الوحي ولا اخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الاّ لذلك ولذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن متهما فيه وعرف ذلك علما ضروريا من قرائن احواله في حرصه على اصلاح الخلق وشغفه بارشادهم إلى صلاح معاشهم ومعادهم فما ترك شيئا مما يقرب الخلق الى الجنة ورضاء الخالق الاّ دلهم عليه وامرهم به وحثهم عليه ولا شيئا مما يقربهم إلى النار والى سخط الله الاّ حذرهم منه ونهاهم عنه وذلك في العلم والعمل جميعا (الأصل الثالث) ان اعرف الناس بمعاني كلامه واحراهم بالوقوف على كنهه ودرك اسراره الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصاحبوه بل لازموه آناء الليل والنهار متشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه

بالقبول للعمل به اولا وللنقل الى ما بعدهم ثانيا وللتقرب الى الله سبحانه وتعالى بسماعه وفهمه وحفظه ونشره وهم الذين حثهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السماع والفهم والحفظ والداء فقال (**نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها**) الحديث فليت شعري أيتّهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باخفائه وكتمانه عنهم حاشا منصب النبوة عن ذلك او يتّهم اولئك الاكابر في فهم كلامه وادراك مقاصده أيتهمون في إخفائه وإسراره بعد الفهم أو يتهمون في معاندته من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بتفهيمه وتكليفه فهذه امور لا يتسع لتقديرها عقل عاقل (الأصل الرابع) انهم في طول عصرهم إلى آخر اعمارهم ما دعوا الخلق الى البحث والتفتيش والتفسير والتأويل والتعرض لمثل هذه الامور بل بالغوا في زجر من خاض فيه وسأل عنه وتكلم به على ما سنحكيه عنهم فلو كان ذلك من الدين او كان من مدارك الاحكام وعلم الدين لاقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه اولادهم واهليهم وتشمروا عن ساق الجد في تأسيس اصوله وشرح قوانينه تشمّرا ابلغ من تشمّرهم في تمهيد قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالقطع من هذه الاصول ان الحق ما قالوه والصواب ما رأوه لا سيما وقد اثنى عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال (**خير الناس قرني ثم الذين لونهم ثم الذين يلونهم**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة**) فقيل من هم فقال (**اهل السنة والجماعة**) فقيل وما اهل السنة والجماعة فقال (**ما أنا عليه الآن واصحابي**) (البرهان الثاني) وهو التفصيلي فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب السلف وان مذهب السلف هو توظيف الوظائف السبع على عوام الخلق في ظواهر الاخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل وظيفة معها فهو برهان كونه حقا فمن يخالف ليت شعري أيخالف (في قولنا الأول) إنه يجب على العامي التقديس للحق عن التشبيه ومشابهة الاجسام (او في قولنا الثاني) إنه يجب عليه التصديق والايمان بما قاله الرسول عليه السلام بالمعنى الذي اراده (او في قولنا الثالث) إنه يجب عليه الاعتراف بالعجز

عن درك حقيقة تلك المعاني (او في قولنا الرابع) انه يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما هو وراء طاقته (او في قولنا الخامس) انه يجب عليه امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان والجمع والتفريق (او في قولنا السادس) انه يجب عليه كف القلب عن الذكر فيه والفكر مع عجزه عنه وقد قيل لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق (او في قولنا السابع) انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من الانبياء والاولياء والعلماء الراسخين فهذه امور بيانها برهانها ولا يقدر احد على جحدها وانكارها ان كان من اهل التمييز فضلا عن العلماء والعقلاء فهذه هي البراهين العقلية (النمط الثاني) البرهان السمعي على ذلك وطريقه ان يقول الدليل على ان الحق مذهب السلف ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة والخوض من جهة العوام في التأويل والخوض بهم فيه من جهة العلماء بدعة مذمومة وكان نقيضه وهو الكف عن ذلك سنة محمودة فههنا ثلاثة اصول (احدها) ان البحث والتفتيش والسؤال عن هذه الامور بدعة (والثاني) ان كل بدعة فهي مذمومة (والثالث) ان البدعة اذا كانت مذمومة كان نقيضها وهي السنة القديمة محمودة ولا يمكن النزاع في شيء من هذه الاصول فاذا سلم ذلك ينتج ان الحق مذهب السلف فإن قيل فبم تنكرون على من يمنع كون البدعة مذمومة او يمنع كون البحث والتفتيش بدعة فينازع في هذين وان لم ينازع في الثالث لظهوره فنقول الدليل على اثبات الاصل الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعيير من يعرف بالبدعة وهذا مفهوم على الضرورة من الشرع وذلك غير واقع في محل الظن فذم رسول الله عله السلام البدعة علم بالتواتر بمجموع اخبار يفيد العلم القطعي جملتها وإن كان الاحتمال يتطرق الى آحادها وذلك كعلمنا بشجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم[١] وحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعائشة رضي الله عنها وما يجري مجراه فإنه علم قطعا باخبار آحاد بلغت في الكثرة مبلغا لا يحتمل كذب ناقليها

---

(١) حاتم الطائي مات قبل البعثة

وإن لم تكن آحاد تلك الاخبار متواترة وذلك مثل ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فإنّ كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**اتبعوا ولا تبتدعوا وانما هلك من كان قبلكم لما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن انبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا واضلّوا**) وقال عليه السلام (**اذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الاسلام فتحا**) وقال عليه السلام (**من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام**) وقال عليه السلام (**من اعرض عن صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة او لقيه بالبشرى او استقبله بما يسره فقد استخف بما انزل على محمد**) صلّى الله عليه وسلّم وقال صلّى الله عليه وسلّم (**ان الله لا يقبل لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ويخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية او كما تخرج الشعرة من العجين**) فهذا وامثاله مما يجاوز حد الحصر افاد علما ضروريا بكون البدعة مذمومة فإن قيل سلمنا ان البدعة مذمومة ولكن ما دليل الاصل الثاني وهو ان هذه بدعة فإن البدعة عبارة عن كل محدث فلم قال الشافعي رضي الله عنه الجماعة في التراويح بدعة وهي بدعة حسنة وخوض الفقهاء في تفاريع الفقه ومناظرتهم فيها مع ما ابدعوه من نقض وكسر وفساد وضع وتركيب ونحوه من فنون مجادلة والزام كل ذلك مبدع لم يؤثر عن الصحابة شيء من ذلك فدل ان البدعة المذمومة ما رفعت سنة مأثورة ولا نسلم ان هذا رافع لسنة ثابتة لكنه محدث ما خاض فيه الاولون إمّا لإشتغالهم بما هو اهم منه وإمّا لسلامة القلوب في العصر الاول عن الشكوك والترددات فاستغنوا لذلك وخاض فيه من بعدهم لمسيس الحاجة حيث حدثت الاهواء والبدع الى ابطالها وافحام منتحلها (الجواب) امّا ما ذكرتموه من ان البدعة المذمومة ما رفعت سنة قديمة هو الحق وهذا بدعة رفعت سنة قديمة اذ كان

سنة الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من سأل عنه والمبالغة في تأديبه ومنعه يفتح باب السؤال عن هذه المسائل والخوض بالعوام في غمرة هذه المشكلات على خلاف ما تواتر عنهم وقد صح ذلك عن الصحابة بتواتر النقل عند التابعين من نقلة الآثار وسير السلف حجة لا يتطرق اليها ريب وشك كما تواتر خوضهم في مسائل الفرائض ومشاورتهم لوقائع الفقهية وحصل العلم به ايضا باخبار آحاد لا يتطرق الشك الى مجموعها كما نقل عن عمر رضي الله عنه انه سأله سائل عن آيتين مشابهتين فعلاه بالدرة وكما روي انه سأله سائل عن القرآن أهو مخلوق ام لا فتعجب عمر من قوله فاخذ بيده حتى جاء به الى علي رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن استمع ما يقول هذا الرجل قال وما يقول يا امير المؤمنين فقال الرجل سألته عن القرآن أمخلوق هو ام لا فوجم لها رضي الله عنه وطأطأ رأسه ثم رفع رأسه وقال سيكون لكلام هذا نبأ في آخر الزمان ولو ولّيت من امره ما ولّيت لضربت عنقه وقد روى أحمد بن حنبل هذا الحديث عن ابي هريرة فهذا قول علي بحضور عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ولم يقولا له ولا احد ممن بلغه ذلك من الصحابة ولا عرف علي رضي الله عنه في نفسه ان هذا سؤال عن مسألة دينية وتعرف لحكم كلام الله تعالى وطلب معرفة لصفة القرآن الذي هو معجزة دالة على صدق الرسول بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف فلم يستوجب طالب المعرفة هذا التشديد فانظر الى فراسة علي واشرافه على ان ذلك قرع لباب الفتنة وان ذلك سينتشر في آخر الزمان الذي هو موسم الفتن ومطيتها بوعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانظر الى تشديده وقوله ولو ولّيت لضربت عنقه فمثل اولئك السادة الاكابر الذين شاهدوا الوحي والتنزيل واطلعوا على اسرار الدين وحقائقه وقد قال صلّى الله عليه وسلّم في احدهما **(لو لم ابعث لبعث عمر)** وقال في الثاني **(أنا مدنة العلم وعلي بابها)** يزجرون السائل عن مثل هذا السؤال ثم يزعم من بعدهم من المشغوفين بالكلام والمجادلة وممن **(لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مدّ احدهم ولا نصيفه)** ان الحق

والصواب قبول هذا السؤال والخوض في الجواب وفتح هذا الباب ثم يعتقد فيه انه محق وفي عمر وعلي انهما مبطلان هيهات ما ابعد عن التحصيل وما اخلى عن الدين من قاس الملائكة بالحدادين ويرجح المجادلين على الائمة الراشدين والسلف فاذا قد عرف على القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة السلف لا كخوض الفقهاء في التفاريع والتفاصيل فانه ما نقل عنهم زجر عن الخوض فيه بل امعانهم في الخوض في مسائل الفرائض عرفنا جواز الخوض واما ما ابدع من فنون المجادلات فهي بدعة مذمومة عند اهل التحصيل ذكرنا وجه ذمها في كتاب قواعد العقائد من كتب الاحياء واما مناظراتهم ان كان القصد منه التعاون على البحث عن مأخذ الشرع ومدارك الاحكام فهي سنة السلف ولقد كانوا يتشاورون ويتناظرون في مسائل الفقهية كما نقل في مسألة الجد وميراث الام مع الزوج والاب ومسائل سواها نعم ان ابدعوا الفاظا وعبارات للتنبيه على مقاصدهم الصحيحة فلا حرج في العبارات بل هي مباحة لمن يستعيرها ويستعملها وإن كان مقصدهم المذموم من النظر الافحام دون الاعلام والالزام دون الاستعلام فذلك بدعة على خلاف السنة المأثورة.

(الباب الثالث في فصول متفرقة وابواب نافعة في هذا الفن)

فصل إن قال قائل ما الذي دعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى اطلاق هذه الالفاظ الموهمة مع الاستغناء عنها أكان لا يدري انه يوهم التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى الاعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته وحاشا منصب النبوة ان يخفى عليه ذلك او عرف لكن لم يبال بجهل الجهال وضلالة الضلال وهذا ابعد واشنع لانه بعث شارحا لا مبهما ملبسا ملغزا وهذا اشكال له وقع في القلوب حتى جر بعض الخلق الى سوء الاعتقاد فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولو عرفه لما وصفه بما يستحيل عليه في ذاته وصفاته ومالت طائفة اخرى الى اعتقاد الظواهر وقالوا لو لم يكن حقا لما ذكره كذلك مطلقا ولعدل عنها الى غيرها او قرنها بما يزيل الابهام عنها فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم (الجواب) ان هذا الاشكال منحل

عند اهل البصيرة وبيانه ان هذه الكلمات ما جمعها رسول الله دفعة واحدة وما ذكرها وانما جمعها المشبهة وقد بينا ان لجمعها من التأثير في الايهام والتلبيس على الافهام ما ليس لآحادها المفرقة وانما هي كلمات ليهيج بها في جميع عمره في اوقات متباعدة واذا اقتصر منها على ما في القرآن والاخبار المتواترة رجعت الى كلمات يسيرة معدودة وان اضيفت اليها الاخبار الصحيحة فهي ايضا قليلة وانما كثرت الروايات الشاذة الضعيفة التي لا يجوز التعويل عليها ثم ما تواتر منها ان صح نقلها عن العدول فيه آحاد كلمات وما ذكر صلّى الله عليه وسلّم كلمة منها الاّ مع قرائن واشارات يزول معها ايهام التشبيه وقد ادركها الحاضرون المشاهدون فاذا نقل الالفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الايهام واعظم القرائن في زوال الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر ومن سبقت معرفته بذلك كانت تلك المعرفة ذخيرة له راسخة في نفسه مقارنة لكل ما يسمع فينسحق معه الايهام انمحاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة الاول انه صلّى الله عليه وسلّم سمى الكعبة بيت الله تعالى واطلاق هذا يوهم عند الصبيان وعند من تقرب درجتهم منهم ان الكعبة وطنه ومثواه لكن العوام الذين اعتقدوا انه في السماء وان استقراره على العرش ينمحق في حقهم هذا الايهام على وجه لا يشكون فيه فلو قيل لهم ما الذي دعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل الى السامع ان الكعبة مسكنه لبادروا باجمعهم وقالوا هذا انما يوهم في حق الصبيان والحمقى اما من تكرر على سمعه ان الله مستقر على عرشه فلا يشك عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به ان البيت مسكنه ومأواه بل يعلم على البديهة ان المراد بهذه الاضافة تشريف البيت او معنى سواه غير ما وضع له لفظ البيت المضاف الى ربه وساكنه اليس كان اعتقاده انه على العرش قرينة افاد به علما قطعيا بانه ما اريد بكون الكعبة بيته انه مأواه وان هذا انما يوهم في حق من لم يسبق الى هذه العقيدة فكذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاطب بهذه الالفاظ جماعة سبقوا الى علم التقديس ونفي

التشبيه وانه متره عن الجسمية وعوارضها وكان ذلك قرينة قطعية مزيلة للابهام لا يبقى معه شك وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تأويله وتعين المراد به من جملة ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله تعالى (المثال الثاني) اذا جرى لفقيه في كلامه لفظ الصورة بين يدي الصبي او العامي فقال صورة هذه المسألة كذا وصورة الواقعة كذا ولقد صورت للمسألة صورة في غاية الحسن ربما توهم الصبي او العمي الذي لا يفهم معنى المسألة ان المسألة شيء له صورة وفي تلك الصورة انف وفم وعين على ما عرفه واشتهر عنده اما من عرف حقيقة المسألة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا مخصوصا فهل يتصور ان فهم عينا وانفا وفما كصورة الاجسام هيهات بل يكفيه معرفته بان المسألة متزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفة نفي الجسمية عن الاله وتقدسه عنها تكون قرينة في قلب كل مستمع مفهمة لمعنى الصورة في قوله خلق آدم على صورته ويتعجب العارف بتقديسه عن الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمية كما يتعجب ممن يتوهم للمسألة صورة جسمانية (المثال الثالث) اذا قال القائل بين يدي الصبي بغداد في يد الخليفة ربما يتوهم ان بغداد بين اصابعه وانه قد احتوى عليها براحته كما يحتوي على حجره ومدره وكذلك كل عامي لم يفهم المراد بلفظ بغداد اما من علم ان بغداد عبارة عن بلدة كبيرة هل يتصور ان يخطر له ذلك او يتوهم وهل يتصور ان يعترض على قائله ويقول له لما ذا قلت بغداد في يد الخليفة وهذا يوهم خلاف الحق ويفضي الى الجهل حتى يعتقد ان بغداد بين اصابعه بل يقال له يا سليم القلب هذا انما يوهم الجهل عند من لا يعرف حقيقة بغداد فاما من علمه فبالضرورة يعلم انه ما اريد بهذه اليد العضو المشتمل على الكف والاصابع بل معنى آخر ولا يحتاج في فهمه الى قرينة سوى هذه المعرفة فكذلك جميع الالفاظ الموهمة في الاخبار يكفي في دفع ابهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله وانه ليس بجسم وليس من جنس الاجسام وهذا مما افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببيانه في اول بعثته قبل النطق بهذه الالفاظ (المثال الرابع) قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

في نسائه (**اطولكن يدا اسرعكن لحاقا بي**) فكان بعض نسوته يتعرف الطول بالمساحة ووضع اليد على اليد حتى ذكر لهن انه اراد بذلك السماحة في الجود دون الطول للعضو وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذكر هذه اللفظة مع قرينة افهم بها ارادة الجود بالتعبير بطول اليد عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن قرينته حصل الابهام فهل كان لاحد ان يعترض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في اطلاقه لفظا جهل بعضهم معناه انما ذلك لانه اطلق اطلاقا مفهما في حق الحاضرين مقرونا مثلا بذكر السخاوة والناقل قد ينقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل القرينة او كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى نقلها وان من يسمع يفهمه كما فهمه هو لما سمعه فربما لا يشعر ان فهمه انما كان بسبب القرينة فلذلك يقتصر على نقل اللفظ فبمثل هذه الاسباب بقيت الالفاظ مجردة عن قرائنها فقصرت عن التفهيم مع ان قرينة معرفة التقديس بمجردها كافية في نفي الابهام وإن كانت ربما لا يكفي في تعيين المراد به فهذه الدقائق لابد من التنبه لها (المثال الخامس) اذا قال القائل بين يدي الصبي ومن يقرب منه درجته ممن لم يمارس الاحوال ولا عرف العادات في المجالسات فلان دخل مجمعا وجلس فوق فلان ربما يتوهم السامع الجاهل الغبي انه جلس على رأسه او على مكان فوق رأسه ومن عرف العادات وعلم ان ما هو اقرب الى الصدر اعلى في الرتبة وان الفوق عبارة عن العلو يفهم منه انه جلس بجنبه لا فوق رأسه لكن جلس اقرب الى الصدر فالاعتراض على من خاطب بهذا الكلام اهل المعرفة بالعادات من حيث انه يجهل الصبيان او الاغبياء اعتراض باطل لا اصل له وامثلة ذلك كثيرة فقد فهمت على القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ الصريحة انقلبت مفهوماتها عن اوضاعها الصريحة بمجرد قرينة ورجعت تلك القرائن الى معارف سابقة ومقترنة فكذلك هذه الظواهر الموهمة انقلبت عن الابهام بسبب تلك القرائن الكثيرة التي بعضها هي المعارف والواحدة منها معرفتهم انهم لم يؤمروا بعبادة الاصنام وان من عبد جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيرا او كبيرا قبيحا او جميلا سافلا او عاليا

على الارض او على العرش وكان نفي الجسمية ونفي لوازمها معلوما لكافتهم على القطع باعلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المبالغة في التتريه بقوله (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** * الشورى: ١١) وسورة الاخلاص وقوله (**فَلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ اَنْدَاداً** * البقرة: ٢٢) وبالفاظ كثيرة لا حصر لها مع قرائن قاطعة لا يمكن حكايتها وعلم ذلك علما لا ريب فيه وكان ذلك كافيا في تعريفهم استحالة يد هي عضو مركب من لحم وعظم وكذا في سائر الظواهر لانها لا يدل الاّ على الجسمية وعوارضها لو اطلق على جسم واذا اطلق على غير الجسم علم ضرورة انه ما اريد به ظاهره بل معنى آخر مما يجوز على الله تعالى ربما يتعين ذلك المعنى وربما لا يتعين فهذا مما يزيل الاشكال فإن قيل فلم لم يذكرها بالفاظ ناصة عليها بحيث لا يوهم ظاهرها جهلا ولا في حق العامي والصبي قلنا لانه انما كلم الناس بلغة العرب وليس في لغة العرب الفاظ ناصة على تلك المعاني فكيف يكون في اللغة لها نصوص وواضع اللغة لم يفهم تلك المعاني فكيف وضع لها النصوص بل هي معاني ادركت بنور النبوة خاصة او بنور العقل بعد طول البحث وذلك ايضا في بعض تلك الامور لا في كلها فلما لم يكن لها عبارات موضوعة كان استعارة الالفاظ من موضوعات اللغة ضرورة كل ناطق بتلك اللغة كما انا لا نستغني عن ان نقول صورة هذه المسألة كذا وهي تخالف صورة المسألة الاخرى وهي مستعارة من الصورة الجسمانية لكن واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسألة وخصوص ترتيبها اسما نصا اما لانه لم يفهم المسألة او فهم لكن لم تحضره او حضرته لكن لم يضع لها نصا خاصا اعتمادا على امكان الاستعارة او لانه علم انه عاجز عن ان يضع لكل معنى لفظا خاصا ناصا لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات بالقطع يجب ان تتناهى فتبقى معاني لا نهاية لها يجب ان يستعار اسمها من الموضع فاكتفى بوضع البعض وسائر اللغات اشد قصورا من لغة العرب فهذا وامثاله من الضرورة يدعو الى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه ان يخرج عن لغتهم كيف ونحن نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتمادا على القرائن فإنّا لا نفرق

بين ان يقول القائل جلس زيد فوق عمرو وبين ان يقول جلس اقرب منه الى الصدر وان بغداد في ولاية الخليفة اوفى يده اذا كان الكلام مع العقلاء وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن افهام الصبيان والجهال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في اللفظ فإن قيل فلم لم يكشف الغطاء عن المراد باطلاق لفظ الاله ولم يقل إنّه موجود ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو في مكان ولا هو في جهة بل الجهات كلها خالية عنه فهذا هو الحق عند قوم والافصاح عنه كذلك كما افصح عنه المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته صلّى الله عليه وسلّم قصور ولا في رغبته في كشفه الحق فتور ولا في معرفته نقصان قلنا من رأى هذا حقيقة الحق اعتذر بان هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالانكار وقالوا هذا عين المحال ووقعوا في التعطيل ولا خير في المبالغة في تتريه انتجت التعطيل في حق الكافة الاّ الاقلين وقد بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم داعيا للحق الى سعادة الآخرة رحمة للعالمين كيف ينطق بما فيه هلاك الاكثرين بل امر ان لا يكلم الناس الاّ على قدر عقولهم وقال صلّى الله عليه وسلّم **(من حدث الناس بحديث لا بفهمونه كان فتنة على بعضهم)** او لفظ هذا معناه فإن قيل إن كان في المبالغة في التتريه خوف التعطيل بالاضافة الى البعض ففي استعماله الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة الى البعض قلنا بينهما فرق من وجهين احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين وهذا يعود الى التشبيه في حق الاقلين واهون الضررين اولى بالاحتمال واعم الضررين اولى بالاجتناب والثاني ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل اذ يكفي ان يقال مع هذه الظواهر (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) وانه ليس بجسم ولا هو مثل الاجسام واما اثبات موجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التتره شديد جدا بل لا يقبله واحد من الالف لا سيما الامة الامية العربية فإن قيل فعجز الناس عن الفهم هل يمهد عذر الانبياء في ان يثبتوا في عقائدهم امورا على خلاف ما هي عليها ليثبت في اعتقادهم

اصل الالهية حتى توهموا عندهم مثلا ان الله مستقر على العرش وانه في السماء وانه فوقهم فوقية المكان قلنا معاذ الله ان نظن ذلك او يتوهم بنبي صادق ان يصف الله بغير ما هو متصف به وان يلقى ذلك في اعتقاد الخلق فانما تأثير قصور الخلق في ان يذكر لهم ما يطيقون فهمه وما لا يفهمونه فيكف عنه فلا يغرقهم بل يمسك عنهم وانما ينطق به مع من يطيقه ويفهمه ويحسن في ذلك علاج عجز الخلق وقصورهم ولا ضرورة في تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما في صفات الله نعم به ضرورة في استعمال الالفاظ مستعارة ربما يغلط الاغبياء في فهمها وذلك لقصور اللغات وضرورة المحاورات فاما تفهيمهم خلاف الحق قصدا الى التجهيل فمحال سواء فرض فيه مصلحة او لم تفرض فإن قيل اهل التشبيه قد جهل جهلا يستند إلى الفاظه وعلم ان الفاظه في الظواهر يفضي الى جهلهم فمهما جاء بلفظ مجمل ملبس فرضي به لم يفترق الحال بين ان يكون مجردا قصده الى التجهيل وبين ان لا يقصد التجهيل مهما حصل التجهيل وهو عالم به وراض قلنا لا نسلم ان جهل اهل التشبيه حصل بالفاظه بل بتقصيرهم في كسب معرفة التقديس وتقديمه على النظر في الالفاظ ولو حصلوا تلك المعرفة او لا وقدموها لما جهلوها كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماعه صورة المسألة وانما الواجب عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا شكوا في ذلك ثم كف النفس عن التأويل والزامها التقديس اذا رسم لهم العلماء فاذا لم يفعلوا جهلوا وعلم الشارع بان الناس في طباعهم الكسل والتقصير والفضول بالخوض فيما ليس من شأنهم ليس رضا بذلك ولا سعيا في تحصيل الجهل لكنه رضاء بقضاء الله وقدره في قسمته حيث قال (**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِينَ** * هود: ١١٩) وقال (**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ اُمَّةً وَاحِدَةً** * هود: ١١٨) (**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** * **وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلاَّ بِاِذْنِ اللهِ** * يونس: ٩٩-١٠٠) (**وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** * **اِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** * هود: ١١٨-١١٩) فهذا هو

القهر الالهي في فطرة الخلق ولا قدرة للانبياء في تغيير سنته التي لا تبديل لها.

(فصل) لعلك تقول الكف عن السؤال والامساك من الجواب من اين يغني وقد شاع في البلاد هذه الاختلافات وظهرت التعصبات فكيف سبل الجواب اذا سئل عن هذه المسائل (قلنا) الجواب ما قاله مالك رضي الله عنه[١] في الإستواء إذ قال الإستواء معلوم الحديث فيذكر هذا الجواب في كل مسألة سأل عنها العوام لينحسم سبيل الفتنة فإن قيل فإذا سئل عن الفوق واليد والأصبع فبم نجيب (قلنا) الجواب أن يقال الحق فيه ما قاله الرسول صلّى الله عليه وسلّم وقاله الله تعالى وقد صدق حيث قال (**اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) فيعلم قطعا انه ما اراد الجلوس واستقرار الذي هو صفة الاجسام ولا ندري ما الذي اراده ولم نكلف معرفته وصدق حيث قال (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**) وفوقية المكان محال فإنه كان قبل المكان فهو الآن كما كان وما اراده فلسنا نعرفه وليس علينا وعليك ايها السائل معرفته فكذلك نقول لا يجوز اثبات اليد والاصبع مطلقا بل يجوز النطق بما نطق به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الوجه الذي نطق به من غير زيادة ونقصان وجمع وتفريق وتأويل وتفصيل كما سبق فنقول صدق حيث قال (**خمر طينة آدم بيده**) وحيث قال (**قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرّحمن**) فنؤمن بذلك ولا نزيد ولا ننقص وننقل كما روي ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب واذا قيل القرآن قديم او مخلوق قلنا هو غير مخلوق لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**القرآن كلام الله غير مخلوق**) فإن قال الحروف قديمة ام لا قلنا الجواب في هذه المسألة لم يذكرها الصحابة فالخوض فيها بدعة فلا تسألوا عنها فإن ابتلى الانسان بهم في بلدة غلبت الحشوية وكفّروا من لا يقول بقدم الحروف فيقول المضطر الى الجواب ان عنيت بالحروف نفس القرآن فالقرآن قديم وإن أردت به غير القرآن وصفات الله تعالى فما سوى الله وصفاته محدث ولا يزيد عليه لان تفهيم العوام حقيقة هذه المسألة عسر جدا

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة

فإن قالوا قد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(من قرأ حرفا من القرآن فله كذا)** فاثبت الحروف للقرآن ووصف القرآن بانه غير مخلوق فلزم منه ان الحروف قديمة قلنا لا نزيد على ما قاله الرسول صلّى الله عليه وسلّم وهو ان القرآن غير مخلوق وهذه مسألة وإن كان في القرآن حروفا هي مسألة اخرى واما ان الحروف قديمة فهي مسألة ثالثة و لم نزد عليه فلا نقول به ولا نزيد على ما قاله الرسول صلّى الله عليه وسلّم فإن زعموا انه يلزم من المسألتين السابقتين هذه المسألة الثالثة قلنا هذا قياس وتفريع وقد بينا ان لا سبيل إلى القياس والتفريع بل يجب الاقتصار على ما ورد من غير تفريق وكذلك اذا قالوا عربية القرآن قديمة لانه قال القرآن قديم وقال (**اَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** * طه: ١١٣) فالعربي قديم فنقول اما ان القرآن عربي فحق اذ نطق به القرآن واما ان القرآن قديم فحق اذ نطق به الرسول صلّى الله عليه وسلّم واما ان عربية القرآن قديمة فهي مسألة ثالثة لم يرد فيها انها قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه ويلزمهم عن القياس والقول باللوازم بل نزيد في التضييق على هذا ونقول اذا قال القرآن كلام الله غير مخلوق فهذا لا يرخص في ان يقول القرآن قديم ما لم يرد لفظ القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم اذ يقال كلام فلان غير مخلوق اي غير موضوع وقد يقال المخلوق بمعنى المختلق فلفظ غير مخلوق يتطرق اليه هذا ولا يتطرق الى لفظ القديم فبينهما فرق ونحن نعتقد قدم القرآن لا بمجرد هذا اللفظ فإن هذا اللفظ لا ينبغي ان يحرف ويبدل ويغير ويصرف بل يلزم ان يعتقد انه حق بالمعنى الذي اراده وكل من وصف القرآن بانه مخلوق من غير نقل نص فيه مقصودا فقد ابدع وزاد ومال عن مذهب السلف وحاد.

(فصل) فإن قيل من المسائل المعروفة قولهم إنّ الايمان قديم فاذا سئلنا عنه فبم نجيب قلنا إنّ ملكنا زمام الامر واستولينا على السائل منعناه عن هذا الكلام السخيف الذي لا جدوى له وقلنا إنّ هذا بدعة وإن كنا مغلوبين في بلادهم فنجيب ونقول ما الذي اردت بالايمان ان اردت شيئا من معارف الخلق وصفاته فجميع

صفات الخلق مخلوقة وإن اردت به شيئا من القرآن او من صفات الله تعالى فجميع صفات الله تعالى قديمة وإن اردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة الخالق فهو غير مفهوم ولا متصور وما لا يفهم ولا يتصور ذاته كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث والاصل زجر السائل والسكوت عن الجواب هذا صفو مقصود مذهب السلف ولا عدول عنه الاّ بضرورة وسبيل المضطر ما ذكرنا فإن وجدنا ذكيا مستفهما لفهم الحقائق كشفنا الغطاء عن المسألة وخلصناه عن الاشكال في القرآن وقلنا إعلم أنّ كلّ شيء فله في الوجود اربع مراتب وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فإن لها وجودا في التنور ووجودا في الخيال والذهن واعني بهذا الوجود العلم بنفس النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي الكلمة الدالة عليه اعني لفظ النار ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراق صفة خاصة للنار كالقدم للقرآن ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة الذي في التنور دون الذي في الاذهان وفي اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق في البياض او اللسان لاحترق ولكن لو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فإن قيل لنا كلمة النار محرقة قلنا لا فإن قيل حروف النار محرقة قلنا لا فإن قيل مرقوم هذه الحروف على البياض محرقة قلنا لا فإن قيل المذكور بكلمة النار والمكتوب بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمة ما في التنور وما في التنور محرق فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق وصف النار وما يطلق عليه اسم القرآن وجوده على اربع مراتب اولها وهي الاصل وجوده قائما بذات الله تعالى يضاهي وجود النار في التنور (**وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْاَعْلَى** * النحل: ٦٠) ولكن لابد من هذه الامثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذه الوجود والثانية وجود العلمي في اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم وجوده في لساننا بتقطيع اصواتنا ثم وجوده في الاوراق بالكتابة واذا سئلنا عما في اذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي مخلوقة لكن المعلوم به قديم كما ان علمنا

بالنار وثبوت صورتها في خيالنا غير محرق لكن المعلوم به محرق وإن سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا ونطقنا قلنا ذلك صفة لساننا فلساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالقطع لكن منطوقنا ومذكورنا ومقرؤنا ومتلونا بهذه الاصوات الحادثة قديم كما ان ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقا واصواتنا وتقطيع اصواتنا غير محرق الاّ ان يقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا إن كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القرآن إن كان عبارة عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك المخطوط برقوم النار والمكتوب به محرق لان المكتوب هو نفس النار اما الرقم الذي هو صورة النار غير محرق فإنّه في الاوراق من غير احراق واحتراق فهذه اربع درجات في الوجود تشتبه على العوام ولا يمكنهم ادراك تفاصيلها وخاصة كل واحدة منهن فلذلك لا نخوض بهم فيها لا لجهلنا بحقيقة هذه الامور وكنه تفاصيلها ان النار من حيث انها في التنور توصف بانها محرقة وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان يوصف بانه عجمي وتركي وعربي وكثير الحروف وقليله وما في التنور لا ينقسم الى العجمي والتركي والعربي وما في اللسان لا يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان مكتوبا على البياض يوصف بانه احمر واخضر واسود وانه بقلم المحقق او الثلث والرقاع او قلم النسخ وهو في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار يطلق على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان وما على القرطاس لكن باشتراك الاسم فاطلق على ما في التنور حقيقة وعلى ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة لكن بمعنى انه صورة محاكية للنار الحقيقي كما ان ما يرى في المرآت يسمى انسانا ونارا لا بالحقيقة والانسان وما في اللسان من الكلمة يسمى باسمه بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على ما في الذهن وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول والثاني لا اختلاف فيهما وما في القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع وهو انها رقوم تدل بالاصطلاح على ما في اللسان ومهما فهم اشتراك اسم القرآن والنار وكل شيء من هذه الامور الاربعة فاذا ورد في الخبر ان القرآن في قلب العبد وانه في المصحف وانه في لسان

القارئ وانه صفة ذات الله صدق بالجميع وفهم معنى الجميع و لم يتناقض عند الاذكياء وصدق بالجميع مع الاحاطة بحقيقة المراد وهذه امور جلية دقيقة لا اجلى منها عند الفطن الذكي ولا ادق واغمض منها عند البليد الغبي فحق البليد ان يمنع من الخوض فيها ويقال له قل القرآن غير مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تفتش عنه ولا تبحث واما الذكي فيروح عن غمة هذا الاشكال في لحظة ويوصي بان لا يحدث العامي به حتى لا يكلفه ما ليس في طاقته وهكذا جميع موضع الاشكالات في الظواهر فيها حقائق جلية لارباب البصائر ملتبسة على العميان من العوام فلا ينبغي ان يظن باكابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة وإن لم يحرروا الفاظها تحرير صنعة ولكنهم عرفوه وعرفوا عجز العوام فسكتوا عنهم واسكتوهم وذلك عين الحق والصواب ولا اعني باكابر السلف الاكابر من حيث الجاه والاشتهار ولكن من حيث الغوص على المعاني والاطلاع على الاسرار وعند هذا ربما انقلب الامر في حق العوام واعتقدوا في الاشهر انه الاكبر وذلك سبب آخر من اسباب الضلال.

(فصل) فإن قال قائل العامي اذا منع من البحث والنظر لم يعرف الدليل ومن لم يعرف الدليل كان جاهلا بالمدلول وقد امر الله تعالى كافة عباده بمعرفته اي بالايمان به والتصديق بوجوده اوّلا وبتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهته غيره ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشيئة وغيرها رابعا وهذه الامور ليست ضرورية فهي اذا مطلوبة وكل علم مطلوب فلا سبيل الى اقتناصه وتحصيله الاّ بشبكة الادلة والنظر في الادلة والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب وكيفية انتاجها وذلك لا يتم الاّ بمعرفة شروط البراهين وكفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج وينجر ذلك شيئا فشيئا الى تمام البحث واستيفاء علم الكلام الى آخر النظر في المعقولات وكذلك يجب على العامي ان يصدق الرسول صلّى الله عليه وسلّم في كل ما جاء به وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق فلابد من دليل يميزه عن غيره ممن تحدى بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الاّ بالنظر في المعجزة ومعرفة حقيقة المعجزة وشروطها

الى آخر النظر في النبوات وهو لب علم الكلام (قلنا) الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور والايمان عبارة عن تصديق جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بامكان وقوع الخطإ فيه وهذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب الاولى وهي اقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى المستوفى شروطه المحرر اصوله ومقدماته درجة درجة وكلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس وذلك هو الغاية القصوى وربما يتفق ذلك في كل عصر لواحد او اثنين ممن ينتهي الى تلك الرتبة وقد يخلوا العصر عنه ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لقلت النجاة وقل الناجون (الثانية) ان يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية على امور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين اكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المراء فيها وهذا الجنس ايضا يفيد في بعض الامور وفي حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث لا يشعر صاحبه بامكان خلافه اصلا (الثالثة) ان يحصل التصديق بالادلة الخطابية اعني القدرة التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات وذلك يفيد في حق الاكثرين تصديقا ببادىء الرأي وسابق الفهم إن لم يكن الباطن مشحونا بالتعصب وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل ولم يكن المستمع مشغوفا بتكلف المماراة والتشكك ومنتحما بتحديق المجادلين في العقائد واكثر ادلة القرآن من هذا الجنس فمن الدليل الظاهر المفيد للتصديق قولهم لا ينتظم تدبير المنزل بمدبرين فلو كان فيهما آلهة الاّ الله لفسدتا فكل قلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة المجادلين بسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق جازم بوحدانية الخالق لكن لوشوشة مجادل وقال لم يبعد ان يكون العالم بين الهين يتوافقان على التدبير ولا يختلفان فاسماعه هذا القدر يشوش عليه تصدقيه ثم ربما يعسر حل هذا السؤال ودفعه في حق بعض الافهام القاصرة فيستولى الشك ويتعذر الرفع وكذلك من الجلي ان من قدر على الخلق فهو على الاعادة اقدر كما قال (**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي اَنْشَأَهَآ اَوَّلَ مَرَّةٍ** * يس: ٧٩) فهذا لا يسمعه احد من العوام ذكي او غبي الاّ ويبادر الى التصديق ويقول نعم ليست الاعادة باعسر من

الابتداء بل هي اهون ويمكن ان يشوش عليه بسؤال ربما يعسر عليه فهم جوابه والدليل المستوفى هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الاسئلة وجوابها بحيث لا يبقى للسؤال مجال والتصديق يحصل قبل ذلك (الرابعة) التصديق لمجرد السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه فإن من احسن اعتقاده في ابيه واستاذه او في رجل من الأفاضل المشهورين قد يخبره عن شيء كموت شخص او قدوم غائب او غيره فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق بما اخبر عنه بحيث لا يبقى لغيره مجال في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضي الله عنه اذا قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كذا فكم من مصدق به جزما وقابل به قبولا مطلقا لا مستند لقوله الاّ حسن اعتقاده فيه فمثله اذا لقن العامي اعتقادا وقال له اعلم أنّ خالق العالم واحد وانه عالم قادر وانه بعث محمّدا صلّى الله عليه وسلّم رسولا بادر الى التصديق ولم يمازجه ريب ولا شك في قوله وكذلك اعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلميهم فلا جرم يسمعون الاعتقادات ويصدقون به ويستمرون عليها من غير حاجة الى دليل وحجة (الرتبة الخامسة) التصديق به الذي يسبق اليه القلب عند سماع الشيء مع قرائن احوال لا تفيد القطع عند المحقق ولكن يلقى في قلب العوام اعتقادا جازما كما اذا سمع بالتواتر مرض رئيس البلد ثم ارتفع صراخ وعويل من داره ثم يسمع من احد غلمانه انه قد مات اعتقد العامي جزما انه مات وبنى عليه تدبيره ولا يخطر بباله ان الغلام ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه وان الصراخ والعويل لعلة عن غشية او شدة مرض او سبب آخر لكن هذه خواطر بعيدة لا تخطر للعوام فتنطبع في قلوبهم الاعتقادات الجازمة وكم من اعرابي نظر إلى اسارير وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإلى حسن كلامه ولطف شمائله واخلاقه فآمن به وصدقه جزما لم يخالجه ريب من غير ان يطالبه بمعجزة يقيمها ويذكر وجه دلالتها (الرتبة السادسة) ان يسمع القول فناسب طبعه واخلاقه فبادر الى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في

طباعه فالحريص على موت عدوه وقتله وعزله يصدق جميع ذلك بادنى ارجاف ويستمر على اعتقاده جازما ولو اخبر بذلك في حق صدقه او بشيء يخالف شهوته وهواه توقف فيه او اباه كل الاباء وهذه اضعف التصديقات وادنى الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وإن كان ضعيفا من قرينة او حسن اعتقاد في المخبر او نوع من ذلك وهي امارات يظنها العامي ادلة فتعمل في حقه عمل الادلة فاذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان العوام هذه الاسباب واعلى الدرجات في حقه ادلة القرآن وما يجري مجراه مما يحرك القلب الى التصديق ولا ينبغي ان يجاوز بالعامي الى ما وراء ادلة القرآن وما في معناه من الجليات المسكنة للقلوب المستجرة لها الى الطمأنينة والتصديق فما وراء ذلك ليس على قدر طاقته واكثر الناس آمنوا في الصبا وكان سبب تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على انفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين ايديهم على مخالفيهم وحكايات انواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم إنّ فلان اليهودي في قبره مسخ كلبا وفلان الرافضي انقلب خنزيرا وحكايات منامات واحوال من هذا الجنس تنغرس في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى ينزع الشك بالكلية عن قلبه فالتعلم في الصغر كالنقش في الحجر ثم يقع نشؤه عليه ولا يزال يؤكد ذلك في نفسه فاذا بلغ استمر على اعتقاد الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى اولاد النصارى والروافض والمجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون الاّ على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل والحق جازمة لو قطعوا اربا اربا لما رجعوا عنها قط و لم يسمعوا عليه دليلا لا حقيقيا ولا رسميا وكذا ترى العبيد والاماء يسبون من المشرك ولا يعرفون الاسلام فاذا وقعوا في اسر المسلمين وصحبوهم مدة ورأوا ميلهم الى الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا باخلاقهم كل ذلك لمجرد التقليد والتشبيه بالتابعين والطباع مجبولة على التشبيه لا سيما طباع الصبيان واهل الشباب فبهذا يعرف ان التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الادلة.

(فصل) لعلك تقول لا انكر حصول التصديق الجازم في قلوب العوام بهذه الاسباب ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل الذي لا يتميز فيه الباطل عن الحق فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق في ان يعتقدوا الشيء على ما هو عليه اعتقادا جازما لتنتقش قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها لم يفتضحوا و لم يحترقوا بنار الخزي والخجلة ولا بنار جهنم ثانيا وصورة الحق اذا انتقش بها قلبه فلا نظر الى السبب المفيد له أهو دليل حقيقي او رسمي او اقناعي او قبول بحسن الاعتقاد في قائله او قبول لمجرد التقليد من غير سبب فليس بالمطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هي عليه فمن اعتقد حقيقة الحق في الله وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر على ما هو عليه فهو سعيد وإن لم يكن ذلك بدليل محرر كلامي و لم يكلف الله عباده الاّ ذلك وذلك معلوم على القطع بجملة اخبار متواترة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في موارد الاعراب عليه وعرضه الايمان عليهم وقبولهم ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير تكليفهم اياهم التفكر في المعجزة ووجه دلالته والتفكر في حدوث العالم واثبات الصانع وفي ادلة الوحدانية وسائر الصفات بل الاكثر من اجلاف العرب لو كلفوا ذلك لم يفهموه و لم يدركوه بعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلفه ويقول والله الله ارسلك رسولا فيقول والله الله ارسلني رسولا وكان يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الآخر اذا قدم عليه ونظر اليه والله ما هذا وجه كذاب وامثال ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم في غزوة واحدة في عصره وعصر اصحابه آلاف لا يفهم الاكثرون منهم ادلة الكلام ومن كان فهمه يحتاج الى ان يترك صناعته ويختلف الى معلم مدة مديدة و لم ينقل قط شيء من ذلك فعلم علما ضروريا ان الله تعالى لم يكلف الخلق الاّ الايمان والتصديق الجازم بما قاله كيف ما حصل التصديق (نعم) لا ينكر ان للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق

مؤمن كما ان العارف مؤمن فإن قلت فبم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهود المقلد قلنا المقلد لا يعرف التقليد ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد في نفسه انه محق عارف ولا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه الى التمييز لقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعله ايضا يستظهر بقرائن وادلة ظاهرة وإن كانت غير قوية يرى نفسه مخصوصا بها ومميزا بسببها عن خصومه فإن كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوش ذلك على المحق اعتقاده كما ان العارف الناظر يزعم انه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل واليهودي المتكلم الناظر ايضا يزعم انه مميز عنه بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف وكذلك لا يشكك المقلد القاطع ويكفيه في الايمان ان لا يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه فهل رأيت عاميا قط قد اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي بل لا يخطر ذلك ببال العوام وان خطر ببالهم وشوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا ما هذا الهذيان وكان به بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج الى الفرق فارق تبيينا انه على الباطل واني على الحق وأنا متيقن لذلك غير شاك فيه فكيف اطلب الفرق حيث يكون الفرق معلوما قطعا من غير طلب فهذه حالة المقلدين الموقنين وهذا اشكال لا يقع لليهودي المبطل لقطعه مذهبه مع نفسه فكيف يقع للمسلم المقلد الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند الله تعالى فظهر بهذا على القطع ان اعتقاداتهم جازمة وان الشرع لم يكلفهم الاّ ذلك (فإن قيل) فإن فرضنا عاميا مجادلا لجوجا ليس يقلد وليس يقنعه ادلة القرآن ولا الاقاويل الجليلة المفرقة السابقة إلى الافهام فماذا تصنع به (قلنا) هذا مريض مال طبعه عن صحة الفطرة وسلامة الخلقة الاصلية فينظر في شمائله فإن وجدنا اللجاج والجدل غالبا على طبعه لم نجادله وطهرنا وجه الارض عنه ان كان يجاحدنا في اصل من اصول الايمان وإن توسمنا فيه بالفراسة مخايل الرشد والقبول ان جاوزنا به من الكلام الظاهر الى توفيق في الادلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك وداويناه بالجدال المرّ والبرهان الحلو وبالجملة فنجتهد ان نجادله بالاحسن كما امر الله تعالى ورخصتنا في

القدر من المداواة لا يدل على فتح باب الكلام مع الكافة فإن الادوية تستعمل في حق المرضى وهم الاقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة يجب ان يوقي عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية مُعِدّة لقبول الايمان دون المجادلة وتحرير حقائق الادلة وليس الضرر في استعمال الدواء مع الاصحاء باقل من الضرر في اهمال المداواة مع المرضى فليوضع كل شيء موضعه كما امر الله تعالى به نبيه حيث قال (**اُدْعُ اِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ** * النحل: ١٢٥) والمدعو بالحكمة الى الحق قوم وبالموعظة الحسنة قوم آخرون وبالمجادلة الحسنة قوم آخر على ما فصلنا اقسامهم في كتاب القسطاس المستقيم فلا نطول باعادته.

بعون الله الملك العلام قد كمل طبع كتاب (**الجام العوام عن علم الكلام**) للامام العالم العامل والهمام الفاضل الكامل محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره وافاض علينا بره واحسانه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ. ١٠٥٨ - ١١١١ م.)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد) حكيم، متكلم فقيه، اصولي، صوفي، مشارك في انواع من العلوم. ولد بالطابران احدى قصبتي طوس بخراسان، وطلب الفقه لتحصيل القوت، ثم ارتحل إلى ابي نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور، فاشتغل عليه ولازمه ثم جلس للإقراء، وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت مترلة الغزالي، وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فخرج إلى الحجاز فحج، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار إلى القدس والأسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس، ثم ان الوزير فخر الدين بن نظام الملك طلبه إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك، ثم عاد إلى وطنه، وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ولزم الانقطاع، وتوفي بالطابران من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، الحصن الحصين في التجريد والتوحيد، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الفقه الشافعي، والمستصفى في اصول الفقه، والمنقذ من الضلال، وإلجام العوام وغير ذلك.

تُحْفَةُ ٱلْأَرِيبِ
فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الصَّلِيبِ

لعبد الله بن عبد الله الترجمان

وكان من افاضلهم ولما اسلم اراد أن يبين أباطيل نواميسهم وتناقض أناجيلهم وفساد عقولهم بالنقل والعقل فبدأ بذكر بلده ومنشإه ثم رحلته ودخوله في الإسلام في عصر ابي العباس أحمد صاحب تونس وابنه أبي فارس عبد العزيز وبين مقصود الكتاب في تسعة أبواب وفرغ سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ١٤٢٠ م.

١٢٩٠ هـ. [١٨٧٣ م.]

إبن دستان - الحاج عبد الله عبدي بن دستان مصطفى المناستري الاصل القسطنطيني الرومي المدرس الحنفي يعرف بابن دستان مات سنة ١٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة والف. صنف ايضاح المرام في كشف الظلام. ذكر فيه اساس دين المسيح تركي في مجلد لطيف. برهان الهدى في رد قول النصارى. الرسالة الصمصامية. فضائل ذكر الله. ١٣٠٣ هـ. [١٨٨٥ م.]

تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصليب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله وحده * وإليه يرجع الأمر كلّه * والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده وبعد يقول الشيخ عبد الله بن عبد الله الترجمان * جعل الله مضجعه ومأواه فسيح الجنان * لَمَّا مَنَّ الله عليَّ بالهداية إلى الصراط المستقيم * والدخول في دين الله القويم * الذي بعث به حبيبه محمدا صلّى الله عليه وسلّم ونظرت في دلائله القاطعة فإذا هي لا يخفى على من له أدنى تمييز إلاّ من لا يبصر بيض النعام ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميّين رضي الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه إلا أنهم رحمهم الله قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول * بل الحافظ أبو محمد بن حزم[١] رحمه الله قد رد عليهم بالمعقول والمنقول فاما الحافظ ابو محمد بن حزم * أعرض عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول الا في نادر من المسائل * فكنت شديد الحرص على ان اضع في الردّ عليهم موضوعا بطريق النقل وحقيقة الانصاف * الذي يجمع بين النقل والقياس * وتتفق عليه القول والحواس * وابين فيه باطلهم وما اسّسوه من القول بالتثليث * والأخذ بذلك المذهب الخبيث * واذكر مع ذلك اناجيلهم ومَن الفها * وشرايعهم ومن صنّفها وافساد عقولهم * وابطال كفرهم في منقولهم * وافترائهم على عيسى المسيح عليه السلام * وكذبهم على الله تعالى بالتصريح * واذكر مقال القسيسين واعتقادهم واحتيالهم وفسادهم للانجيل المترل على عيسى عليه السلام ثم نذكر حقيقة قرباهم وسجودهم لصلباهم ابعدهم الله تعالى واخزاهم حتى الهمني الله تعالى الى الرأي السديد * في تأليف هذا المختصر السعيد * وقد ابتدأت فيه بذكر بلدي ومنشئي * ثم رحلتي عن ذلك المقام ودخولي في دين الإسلام والايمان بسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابو محمد علي بن أحمد ابن حزم توفي سنة ٤٥٦ هـــ. [١٠٦٤ م.]

ثم أتبعت ذلك بما غمّرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد ابن الأمراء المكرمين * وبعض ما اتفق لي في أيامه ثم في أيام ولده مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز ونذكر طرفا من سيرته الحميدة وآثاره الجميلة. ثم أتبعت ذلك بما تقدم ذكره من الرد على دين النصرانية وثبوت فضل الملة المحمدية صلّى الله عليه وسلّم. ولما حصل هذا المختصر الغريب على هذا الترتيب سميته «**تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**» وجعلته ثلاثة فصول لتسهيل مطالعته على الناظر ولا يمله الخاطر.

الفصل الأول في ابتداء إسلامي وخروجي من دين النصرانية إلى الملة الحنيفية وفيما غمّرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد وما اتّفق لي في أيامه.

الفصل الثاني فيما اتّفق لي في أيام مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز ونذكر طرفا من سيرته الحميدة وآثاره الجميلة وقت تصنيفي هذا الكتاب وهو عام ثلاث وعشرين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

الفصل الثالث في مقصود الكتاب من الرد على دين النصارى في دينهم وثبوت نبوة سيدنا محمد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وبتمامه إن شاء الله تعالى يتم الغرض في تصنيف هذا الكتاب بحول الله تعالى. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الفصل الأول

اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة أعادها الله تعالى للإسلام، وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين يشقها واد صغير وهي مدينة متجر ولها مرسيان اثنان ترسى بهما السفن الكبيرة للمتاجر الجليلة، والمدينة تسمّى باسم الجزيرة ميورقة وأكثر غابتها زيتون وتين ويحمل منها في العام خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتيان زيت لبلاد مصر والإسكندرية وبجزيرة ميورقة المذكورة أزيد من مائة وعشرين حصنا مسورة عامرة وكان والدي محسوبا من أهل الحاضرة ميورقة ولم يكن له ولد غيري ولما بلغت ست سنين من عمري سلمني إلى معلم من القسيسين فقرأت عليه

الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القطلان وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر ولها واد كبير شقها ورأيت التبر مخلوطا برمله إلا أنه صح عند جميع أهل ذلك القطر أن النفقة في تحصيله لا تفي بقدر فائدته فلذلك ترك وبهذه المدينة فواكه كثيرة رأيت الفلاحين يقسمون الخوخة على أربعة أفلاق ويمقرونها في الشمس وكذلك يمقرون القرع والجزر فإذا أرادوا أكله في الشتاء نقعوها في الليل بالماء وطبخوه كأنه طرية في أوانه. وبهذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف راجل أو ألف وخمسمائة ولا يحكم بينهم إلا القسيس الذي يقرؤن عليه، وأكثر نبات أوطانها الزعفران. فقرأت فيها علم الطبيات والنجامة مدة ست سنين ثم تصدرت فيها نقرئ الإنجيل ولغته ملازما ذلك مدة أربع سنين. ثم ارتحلت إلى مدينة نبونية من الأبزدية وهي مدينة كبيرة جدا بنيانها بالآجر الأحمر الجيد لعدم معادن الحجر عندهم ولكن لكل معلم من أهل صناعة الآجر له طابع يخصه وعليهم أمين مقدم يحتسب عليهم في طيب طين الآجر وطبخه فإذا تفلح أو تفرك منه شيء غرم الذي صنعه قيمته وعوقب بالضرب. وهذه مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر، ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلم ولا يلبسون إلا الملف الذي هو صباغ الله، ولو يكون منهم طالب العلم سلطانا أو ابن سلطان فلا يلبس إلا ذلك ليمتاز الطلبة من الغير. ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤن عليه. فسكنت بها، كنيسة لقسيس كبير السن وعندهم كبير القدر اسمه نقلاومرتيل وكانت منزلته بينهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جدا انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية فكانت الأسئلة مخصوصا في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وصحبة الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه ويرغبون في التبرك به وفي قبوله لهم لهداياهم ويتشرفون بذلك فقرأت على هذا القسيس علم أصول دين النصرانية وأحكامه ولم أزل أتقرب إليه

بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني أخص خواصه وانتهيت في خدمتي وتقربي اليه إلى أن دفع لي مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله على يدي ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، الظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي تهدى إليه والله أعلم بحقيقته. فلازمته على ما ذكرنا من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ثم أصابه مرض يوما من الدهر فتخلف عن القراءة وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون في مسائل من العلوم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام «إنه يأتي من بعده نبي اسمه البارقليط» فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة عن تلك المسألة. فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط وأن فلانا قد أجاب بكذا وفلانا بكذا وسردت له أجوبتهم. فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل. فقال لي: ما قصرت وقربت وفلان أخطأ وكاد فلان أن يقارب ولكن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل. فبادرت إلى قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيدة ولي في خدمتك عشر سنين حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل علي بمعرفة هذا الاسم الشريف. فبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي والله إنك لتعز علي كثيرا من أجل خدمتك لي وانقطاعك إلي، وإن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكن أخاف عليك أن تظهر فتقتلك عامة النصارى في الحين. فقلت: يا سيدي والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إلى عن أمرك. فقال: يا ولدي إني سألتك في أول قدومك إلى عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين وهل يغزونكم أو تغزوهم لأستخبر به ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن البارقليط هو اسم من

أسماء نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام وأخبر أنه سيترل هذا الكتاب عليه وأن دينه دين الحق وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل. فقلت لي: يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى قاموا على دين عيسى عليه السلام لكانوا على دين الله لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى. فقلت له: وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال: بالدخول في دين الإسلام. فقلت له: هل ينجو الداخل فيه؟ قال لي: نعم ينجو في الدنيا والآخرة. فقلت له: يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه؟ فقال لي: يا ولدي إن الله تعالى لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك من فضل دين الإسلام وشرف نبي الإسلام إلا بعد كبر سني وسن جسمي ولا عذر لنا فيه بل حجة الله علينا قائمة ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والترقي وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر على شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتني العامة في أسرع وقت. وهب أني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين فأقول إني جئتكم مسلما فيقولون لي قد نفعت نفسك بالدخول في دين الحق فلا تمنّ علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب الله فأبقى بينهم شيخا فقيرا ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي فأموت بينهم بالجوع. وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به يعلم الله ذلك مني. فقلت له: يا سيدي أفتدليني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم؟ فقال لي: إن كنت عاقلا طالبا للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا الأمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه لغاية جهدك وإن ظهر عليك شيء منه تقتلك العامة لحينك ولا أقدر على نفعك ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني فإني أجحده وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق علي وأنا بريء من دمك إن فهت بشيء من

هذا. فقلت له: يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا. وعاهدته بما أرضاه ثم أخذت من أسباب الرحلة وودعته فدعا لي بخير وزودني بخمسين دينارا ذهبا وركبت البحر منصرفا إلى بلاد مدينة ميورقة فأقمت بها ستة أشهر ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية وأقمت بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركبا يتوجه لأرض المسلمين. فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس فسافرت فيه من صقلية وأقلعنا عن قرب مغيب الشفق فوردنا مرسى تونس قرب الزوال بحكم الله تعالى. فلما نزلت بديوان تونس وسمع بي الذين بها من أجناد النصارى أتوا بمركوب وحملوني معهم إلى ديارهم وصحبتهم بعض التجار الساكنين أيضا بتونس. فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطنة أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان إذ ذاك مولانا أبي العباس أحمد[١] رحمه الله، فذكروا لي أن بدار السلطان المذكور رجلا فاضلا من كبراء خدامه اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه ومن خواصه. ففرحت بذلك فرحا شديدا وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب فدللت عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي لدخولي في دين الإسلام فسرّ الرجل بذلك سرورا عظيما بأن يكون هذا الخير على يديه. ثم ركب فرسه واحتملني معه لدار السلطان ودخل عليه فأخبره بحديثي واستأذنه علي فأذن لي، فتمثلت بين يديه فأول ما سألني عن عمري فقلت له خمسة وثلاثون عاما. ثم سألني كذلك عما قرأت من العلوم فأخبرته فقال: قدمت خير قدوم فأسلم على بركة الله تعالى. فقلت للترجمان وهو الطبيب المرقوم: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهل القول فيه والطعن عليه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأجنادهم وتسألوهم عني وتسمع ما يقولون في جنابي وحينئذ أسلم. فقال لي بواسطة الترجمان: أنت طلبت كما طلب عبد الله بن سلام من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين أسلم. ثم أرسل إلى أجناد النصارى وبعض تجارهم وأدخلني في

---

(١) ملك بني حفص في تونس أحمد بن ابي يحيى توفي سنة ٧٩٦ هـ. [١٣٩٣ م.]

بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا: يا مولانا هو عالم كبير في ديننا وقالوا شيوخنا ما رأوا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا. فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ فقالوا: نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل هذا أبدا. فلما سمع ما عند النصارى بعث إلى فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى فصلبوا على وجوههم وقالوا ما حمله على هذا إلا حب التزويج فإن القسيس عندنا لا يتزوج، فخرجوا مكروبين محزونين. فرتب لي السلطان رحمه الله كل يوم ربع دينار واسكنني في دار المختص وزوجني بنت الحاج محمد الصفار فلما عزمت على البناء بها أعطاني مائة دينار ذهبا وكسوة جديدة كاملة فابتنيت بها وولد لي منها ولد سميته محمدا على وجه التبرك باسم نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم.[١]

الفصل الثاني: فيما اتفق لي في أيام مولانا أبي العباس أحمد وولده مولانا أبي فارس عبد العزيز[٢]

وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان فكان مراده بذلك أن أحفظ اللسان العربي فيه لكثرة ما يتكرر علي من ترجمة التراجمة بين النصارى

([١]) حاشية إن قصة القسيس نيقلا هذا شبيهة لحكاية رجل يوناني عالم اسمه قايري الراهب «شبه الغراب بالغراب» وهو ان نشأ في زماننا هذا بمدينة آتينة ومشتهر في كل علوم حكميه واشتهر بالتدريس في البلاد والانحاء حتى جاء اليه السياح الفاضل الحاج صفا الخبوشاني لزيارته كان يدرس يوما من الايام ان انتقل الكلام في بيان اديان المنتشرة في وجه الارض فقال لتلاميذه ان دين الاسلام اكثر بيانا من كل الاديان واقرب قبولا للعقل السليم وقال شاب من الطلاب في نفسه اذا سمع تلك المقال إني لمن المسلمين ارجع الى ديارهم لأن والد هذا الصبي كان من اهالي مسلمين في قسطنطينية وامه جارية غريقية هربت من زوجها مع ابنه هذا الصبي الى آتينة وتنصرت في عهد السلطان محمود الثاني واما الصبي خرج من ديار الكفر ودخل بدار الاسلام فلما وصل الى استانبول دار الخلافة وجد ابوه لكون اسم ابيه محفوظا في خزانة عقله فيسر الله المواصلة لان الشاب كان لا يعرف بلغة التركية الا اسم ابيه وحارتة فحصلا فرحا شديدا وهو اليوم من الكبراء الدولة العلية ولكن اليونانيون حيث عرفوا لاقوال الراهب قايري وانتشاره افكاره حبسوه حتى مات من ثورة ظلمهم وجبرهم هذه الحكاية شبيهة ايضا بقصة الصحيب الصحابي المذكورة في القسطلاني بلفظ العرق نزاعة صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

([٢]) عبد العزيز الحفصي مؤسس مكتبة تونس توفي سنة ٨٣٧ هـــ. [١٤٣٣ م.]

والمسلمين. فحفظت اللسان العربي في مدة عام وحضرت لعمارة الجنويز والفرنسيس على مدينة مهدية، وكنت أترجم للسلطان ما يرد من كتبهم. وارتحلت مع السلطان إلى حصار قابس وكنت على خزائنه ثم إلى حصار قفصة وفيه ابتدأ مرضه الذي مات فيه ثالث شهر شعبان عام ستة وتسعين وسبعمائة. ثم تولى الخلافة بعده ولده مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين أبو فارس عبد العزيز، فجدد لي جميع أوامر والده بمرتباتي ومنافعي كلها ثم زادني ولاية دار المختص. واتفق لي في أيامه بالديوان وأنا قائد البحر والترجمة وأن مركبا قدم موسوقا بسلاع المسلمين فلما أرسى بالمرسى دخل عليه مركبان من صقلية فأخذاه لحينه بعد أن هرب المسلمون منه برقابهم واستولى النصارى على أموالهم. فأمر مولانا أبو فارس صاحب ولاية الديوان وشهوده أن يخرجوا إلى حلق الواد ويتحدثوا مع النصارى في فداء أموال المسلمين فخرجوا وطلبوا الأمان لترجمان كان معهم فأمنوه فصعد إليهم لمراكبهم وتحدث معهم في الوزن فغالوا في ذلك ولم يحصل منه شيء.

وكان قد ورد مع هذا المركب قسيس كبير القدر من صقلية وكانت بيني وبينه صداقة كبيرة كأنها إخوة إذ كنا نطلب العلم معه جميعا وسمع بإسلامي فصعب عليه فقدم في هذه المراكب ليستدعيني إلى الرجوع لدين النصارى ويأخذني بالصداقة التي كانت بيننا. فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إليهم للمراكب قال له: ما اسمك؟ قال له: علي. قال: يا علي خذ هذا الكتاب وبلغه للقائد عبد الله قائد البحر عندكم بالديوان، وهذا دينار فإذا رددت لي جوابه نعطيك دينارا آخر. فقبض منه الدينار والكتاب وجاء لحلق الواد. فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوا له ثم أخبره بما قال له القسيس وبالكتاب الذي أعطاه وبالدينار الذي استأجره به. فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجمه له بعض التجار الجنويين. فبعث بالأصل والنسخة لمولانا أبي فارس فقرأه ثم بعث إلي فحضرت بين يديه فقال لي: يا عبد الله هذا الكتاب وصل من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه. فقرأته وضحكت. فقال لي: ما الذي أضحكك؟

فقت له: نصركم الله هذا الكتاب مبعوث إلى من قسيس كان من أصدقائي في الأول وأنا أترجمه لكم الآن. فجلست في ناحية وترجمته بالعربية ثم ناولته إلى المترجمة فقرأها ثم قال لأخيه المولى إسماعيل: والله العظيم ما ترك منه شيئا. فقلت له: يا مولاي وبأي شيء عرفت ذلك. قال: بنسخة أخرى ترجمها الجنويون. ثم قال له: يا عبد الله وماذا عندك أنت في جواب هذا القسيس. فقلت: يا مولاي الذي عندي ما علمته مني من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الحق ولست أجيبه إلى شيء مما أشاره إلى قطعا. فقال لي: قد علمنا صحة إسلامك ولا عندنا فيك شك أصلا ولكن الحرب خدعة فاكتب إليه في جوابك أن يأمر صاحب المركب أن يفادي سلع المسلمين ويرخص عليهم، وقل له إذا اتفقتم مع تجار المسلمين على سعر معلوم فإني اخرج مع الوزان بقصد وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل. ففعلت ما أمرني به وأجبت القسيس لهذا ففرح وأرخص على المسلمين في فداء متاجرهم وخرج الوزان مرارا و لم أخرج معه فأيس مني ذلك القسيس فأقلع مركبه وانصرف إلى خذلان الله. وكان نص كتابه أما بعد السلام من أخيك فرنصيص القسيس. نعرفك أني وصلت إلى هذا البلد برسمك لأحملك معي. وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزل وأولي وأعطي وأمنع وأمر جميع مملكته بيدي. فاسمع مني واقبل إلى على بركة الله تعالى ولا تخف ضياع مال ولا جاه وغير ذلك فإن عندي من المال والجاه ما يغمر الجميع وأعمل لك ما تريد انتهى.

ذكر سيرة مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز رحمه الله

قد أقام سنة العدل في جميع الرعايا وساسهم بالكتاب والسنة ومن مناقبه إكرام العلماء وأهل الصلاح وتعظيم قدومهم عليه والإكرام لأهل بيت الرسول عليه السلام وبذل جزيل العطاء لهم حتى قدموا من مشارق الأرض ومغاربها وكل من أقام في بلاده مشى له المرتبات والعوائد والكسوات ومن ارتحل لأرضه أجزل صلته وأكرم قادته وقد جعل لهم ستين دينارا في كل عام تدفع لمزوارهم ليلة المولد المعظم

الشريف لينفقوها في الوليمة، لفرح ذلك المولد الكريم وجعلها من أعشار الديوان تحريا للحلال سوى ما يصحبها من الطيب وماء الورد والبخور. وأما إنصافه للمظلوم من ظالمه كائنا من كان البتة فقد اشتهر عنه حتى صار قواده وخواصه يسلكون طريقته ويجتنبون الحيف (معناه الظلم) والأذى ولا يتركون أحدا يشكوهم إليه. وقد جعل قوته وقوت عياله وملابسهم وسائر ضرورياتهم من خوف الله تعالى على أعشار النصارى وجزية اليهود تحريا للحلال في ذلك ولا يزال يتعاهد أهل السجن في غالب أحيانه فيسرح من يستحق السراح وينجز (أي يقتل القاتل ويقتص من غيره) أحكام الجنايات منهم. وأما كثرة صدقاته فأمر منتشر ورتب لتوزيعها ذماما يحتوي على من يستحقها من البيتات وذوي الأحساب والمروات وأسنده إلى الفقيه أبي عبد الله محمد بن سلام الطبري فيوصل كل ذي حق منها حقه من المال العين والطعام والزيت وماشية البقر والغنم من الزكاة هكذا يفعل في جميع عماله. ومن لطيف مآثره ما يوجه في العام صحبة ركبان الحجاج لبيت الله الحرام وجيران قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فيفرق بمكة والمدينة من الأموال ما يسع به القاطنين والمجاورين هناك أثابه الله تعالى ويوجه مع ذلك من المال والكسوات لمشايخ عرب برقة من العصاة عوائد يمنعهم بها من اعتراض الحجاج ويرغبهم في تسهيل ذلك الطريق. ومن مناقبه ما مشى لأهل جزيرة الأندلس من الأرقاق الدائم فعين لهم ألف قفيز من القمح في كل عام من عشر وطن شتاته سوى ما يصحب من إدام ومال عين وخيل عتاق وعدة من السلاح الجيد وما لا يوجد عندهم من البارود النفيس. ومن ذلك اعتناه بفداء أسارى المسلمين بأيد النصارى وقد أدرك من ذلك غاية لم تسبق إليها في ذلك القطر لأنه أوقف على ذلك أوقافا كثيرة معتبرة وقدم للنظر فيها أمين الأمناء أبا عبد الله محمد بن عزوز وأمره بخدمتها وحفظ مجابيها وكلما يتحصل من المجابي يشتري به ربعا برانيا ودخلانيا بحضرة تونس وأعده أمير المؤمنين لفداء الأسارى بعد وفاته والآن فقد الزم فداء جميع من يرد لمرسى تونس من الأسارى من

بيت المال مدة حياته. وحَضرتُ مرارا يوصي تجار النصارى من جميع أجناسهم أن يأتوه بكل من يقدرون عليه من أسارى المسلمين وعين لهم في كل شاب منهم ستين دينارا وفي كل شيخ وكهل من الأربعين إلى الخمسين وأنا الذي أترجم بينه وبين النصارى في ذلك فما كانت إلا مدة يسيرة حتى جاء تجارهم بعدد كثير من الأسارى ونعد فداء جميعهم من بيت المال وما زال يفعل ذلك إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب أجزل الله مثوبته. ومن عظيم مآثره بناؤه للزاوية التي بخارج باب البحر من تونس وقد كانت فندقا تستباح فيه كبار معاصي الله تعالى لأن بعض كلاب النصارى التزمه باثني عشر ألف دينار ذهبا في كل عام ليبيع فيه الخمر وغيره من المسكرات ويجتمع عنده من عظائم المنكرات ما يحزن قلوب المخلصين فترك مولانا أبو فارس تلك المجابي السحة الفاسدة لوجه الله تعالى، ولم يقنع بإبطال تلك المعاصي حتى هدم الفندق المرقوم وبنى عوضه زاوية عظيمة البناء والنفع وصارت متعبدا لإقامة الصلوات والذكر والعبادات وإطعام الطعام على الدوام لأنه أوقف عليها أوقافا جمة مفيدة من محتوت وفدادين زيتون ومعصرة بإزائها وغير ذلك أثابه الله. وكذلك بنى الزاوية التي قرب بستان باردوا والزاوية التي قرب الداموس وجبل الخاوي بقبلي تونس وأوقف عليها ما يكفيها، وكذلك السقاية التي خارج الجديد والمأجل الكبير التي تحت مصلى العيد وبناءه للحارس التي بإزاء دار ابي الجعد والحمامات والرفراف. ومن عظيم مآثره خزانة الكتب التي جعلها بجوف جامع الزيتونة من تونس وجمع دواوين مفيدة في علوم شتى وأوقفها مؤبدا لطلاب العلوم وأوقف عليها من فدادين زيتون وغيره ما هو فوق كفايتها للمناول بها والشهود وحافظ الباب. ومن عظيم مآثره تأسيس المارستان بتونس ولم يسبقه في إفريقية من المتقدمين والمتأخرين لمثل ذلك وهو لمن يمرض من غرباء أهل الإسلام وأوقف عليه ما يكفيه وذلك في عام تأليفي هذا الكتاب وهو عام ثلاثة وعشرين وثمانمائة. ومن عظيم مآثره أموال عظيمة تركها لوجه الله تعالى من المجابي الخارجة عن الشريعة

المحمدية وهي مجابي كانت موظفة بجميع أسواق تونس لا يباع فيها دق أو جل إلا ويؤدي بائعه لجانب السلطان شيئا معلوما من دراهم إلى دينار وأكثر من دينار فيما له وكانت له موصلة مستمرة منذ أحقاب طويلة حتى ألهمه الله تعالى لقطعها وتركها فترك مجبا سوق الدهانية وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهبا ومجبا رحبة الطعام وقدره خمسة آلاف دينار ومجبا رحبة الماشية وقدره عشرة آلاف دينار ومجبا فندق الزيت وقدره خمسة آلاف دينار ومجبا فندق الخضرة وقدره ثلاثة مائة دينار ومجبا سوق العطارين وقدره مائة وخمسون دينارا ومجبا فندق الفحم وقدره ألف دينار ومجبا العمودة وقدره ألف دينار، من فوائد الأسواق وإنما ضربه بعض الملوك المتقدمين على بوادي مرتجيزة وغيرهم وهم أهل خيام وعمود وكان ذلك عليهم أحقابا طويلة حتى أبطله أبو فارس وقدره ألف دينار، وبعض مجبا دار فائد الشغل وقدره ثلاثة آلاف دينار ومجبا سوق القشاشين وقدره مائتا دينار ومجبا سوق الصفارين وقدره مائة دينار ومجبا سوق العزافين وقدره خمسون دينارا. وأباح عمل الصابون بعد أن كان ممنوعا ومن ظهر عليه يعاقب في ماله وبدنه ولا يعمله إلا السلطان بموضع معلوم لا يباع إلا فيه. ومن أعظم درجات حسناته في هذا الباب ترك خرج المناكر وكان كثيرا فمنه الشرطة لحاكم المدينة وكان بعض المكاسين يلتزمها بثلاثة دنانير ونصف في كل يوم فأبطل مولانا أبو فارس هذا وأوقف في ذلك رجالا من البيتات والنجباء على وجه الأمانة. وكان على الزفافين والمغنيات مغارم حثية فتركها عنهن وكان المخنثون والحوى بتونس عليهم مغارم ووظائف خدمة دار فترك مغارمها وأجلاهم عن جميع بلاده لما بلغه عنهم من قبيح المعاصي والمناكر في ايامه السعيدة غزى اسطولة مدينة طرقوبة بجزيرة صقلية فاستولى عليها عنوة وهدم سورها وأتى منها بالغنائم الجليلة. وأما فتوحات إفريقية ومحوه لآثار أهل الفتن بها بعد المبين من السنين فأمر عجيب لا يكاد يسعه مكتوب كمدينة طرابلس وقابص والحما وقفصة وتوزر ونفقة وبسكره وقسنطينة وبجاية حتى أذل الله تعالى لعزه فيها كل جبار. وقد كانت

عرب إفريقية قبله بالاختيار تحت ملوكها وكان يحاصرون المدائن ويشاركون في مجابيها قهرا ولهم مع ملوكهم أخبار معلومة حتى قهرهم الله تعالى جلت قدرته بهذا السلطان المؤيد فصار يقودهم معه أجنادا في أعراض أسفاره شرقا وغربا بعد أن أباد كثير أعيانهم ورؤس مشايخهم وصار يبعث قواده يتبعون نجوع العرب لاستفاء زكاة مواشيهم وهم صاغرون وتحت الطاعة مذعنون.

الفصل الثالث في الرد على النصارى

ونريد أن نرد عليهم بنص أناجيلهم وما قاله الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ونؤكد بثبوت نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم وما أتت به الأنبياء المقدمون من ثبوت نبوته عليه السلام في كتبهم التي هي الآن بأيديهم وهذا الفصل يشتمل على تسعة أبواب

والإنجيل وبشارة الأنبياء صلوات الله عليهم وعليه أجمعين وما أخبر به الأنبياء من صحة بعثته وبقاء ملته. صفحة ٥٦

الباب الأول

إعلموا رحمكم الله أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وهم متى ولوقا وماركوس ويوحنا وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى عليه السلام وزادوا ونقصوا وبدّلوا كلام الله تعالى[١] أما متى وهو الأول منهم فما أدرك عيسى عليه السلام ولا رآه قط إلا في العام الذي رفعه الله تعالى إلى سمائه جل جلاله وبعد أن رفع عيسى عليه السلام كتب متى الإنجيل بخطه في مدينة الإسكندرية وأخبر فيه بمولد عيسى عليه السلام وما ظهر عند ولادته من العجائب وبخروج أمه به إلى أرض مصر خائفة من الملك رودس الذي أراد قتله وسبب ذلك على ما ذكره متى في إنجيله أن ثلاثة نفر من المجوس بدواخل المشرق وردوا إلى بيت المقدس وقالوا أين هذا السلطان الذي

---

(١) حاشية يقول الشيخ عبد الله بك في بيان تاريخ تأليفات الأناجيل اوّلا متى قيل كتب تاريخه بعد صعود المسيح الى السماء بخمس سنين وقيل بثمان وقيل باثنتي عشرة سنة والثاني مرقس قيل كتب تاريخه بنحو سبع وعشرين سنة بعد الصعود والثالث لوقا قيل كتب تاريخه بنحو ثلاثين سنة بعد الصعود والرابع يوحنا ويقال له حبيب المسيح قيل كتب تاريخه بنحو خمس وأربعين سنة بعد الصعود والأكثرون قالوا بانه كتبه بعد خمس وستين سنة وهذه هي الروية المقبولة عندهم كذا في تواريخ الكنايس.

قال الشيخ عبد الله بك وإن قالوا أنّ هؤلاء الأربعة من حيث كونهم رُسُلَ المسيح وأُمَنَاءَ دينه فوّض اليهم تأليف هذا الكتاب وامرهم بفصل الخطاب قلنا هذا مردود من وجوه فاوّلا ان الاثنين منهم وهما مرقس ولوقا لم يريا المسيح اصلا كما بيّنا سابقا فمن اين كانا مأمورين بذلك وثانيا انّهم لم يدّعوا هذا و لم يقولوا بان المسيح امرهم بتأليف الكتب بل كل واحد منهم الّف كتابه بالتماس بعض اصحابه وأحبابه كما هو مكتوب في شروح الأناجيل وتواريخ الكنايس وصرّح به أيضا لوقا في اوّل كتابه وثالثا ان هؤلاء الأربعة لم يسمّوا كتبهم انجيلا بل انما سمّوها تواريخ كما يظهر من اقوالهم التي في اوائل كتبهم قال متى كتاب ميلاد عيسى المسيح بن داود بن ابراهيم ثم سمتها النصارى بعدهم أناجيل اختلافا اي كذبا ورابعا لو كانوا مأمورين من طرف المسيح لكانوا يجتمعون كلهم على تأليف كتاب واحد ويسمّونه انجيلا بالاتّفاق وما كانوا يؤلفون أناجيل عديدة مع اختلافهم في القصص والأخبار هكذا وربّما كانوا يصرّحون بمأموريتهم في اوّله او في آخره كمثل ما صرّح بسبب تأليف لوقا فهذه الوجوه تُعْلِنُ بانهم لم يكونوا مأمورين لتأليف الكتاب من طرف المسيح.

ولد في هذه الأيام فإنا رأينا نجمه طلع في بلادنا وهو دليل ميلاده وقد أتينا له بهدية. فلما سمع الملك رودس بذلك تغير وجمع علماء اليهود فسألهم عن هذا المولود فقالوا له إن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام أخبرونا في كتبهم أن المسيح عليه السلام يكون مولده ببيت المقدس في بيت لحم في هذه الأيام. فأمرهم أن يسيروا إلى بيت لحم ويبحثوا عن هذا المولود وإذا وجدوه يعرفونه به. وذكر لهم أن قصده الاجتماع به وأن يعبده، وليس الأمر كما ذكر بل كان ذلك منه مكرا وخديعة وكان عازما على قتله. فانصرف المجوس الثلاث إلى بيت لحم فوجدوا مريم وابنها عيسى عليه السلام في حجرها وهي ساكنة في دويرة فأعطوها الهدية وسجدوا لابنها وعبدوه. ثم رأوا في الليل ملكا من الملائكة فأمرهم أن يكتموا مولد عيسى عليه السلام وأن يرجعوا من غير الطريق الذي أتوا منه ثم أقبل الملك على مريم وعرفها بمكر الملك رودس وأمرها أن تهرب بعيسى عليه السلام إلى أرض مصر ففعلت ما أمرها به. هذا كلام متى وهو باطل وكذب وزور وبيان ذلك أن بيت المقدس بينها وبين بيت لحم خمسة أميال فلو كان الملك رودس خائفا من هذا المولود باحثا عنه لسار بنفسه مع الثلاثة المجوس أو يبعث معهم من ثقاته من ينصحه على البحث في اثم الوجود. فهذا دليل كذب متى في هذه الحكاية. لإن لوقا وماركوس ويوحنا لم يذكروا شيئا من هذا في أناجيلهم ومتى لم يحضر للمولود ولكنه نقله عن كذاب فنقله على ما نقله.

وأما لوقا فلم يدرك عيسى عليه السلام ولا رآه أبدا وإنما تنصر بعد رفع عيسى عليه السلام وكان تنصره على يد باولوص الإسرائيلي وبولص أيضا لم يدرك عيسى ولا رآه وكان من أكبر أعداء النصارى حتى حصل أمر من ملوك الروم بأنه حيث ما وجد نصرانيا يأخذه ويحتمله إلى بيت المقدس ويسجنه هناك. وقد حكى لوقا المذكور في كتابه الذي سماه بقصص الحواريين أن باولوص هذا كان يسير مع جملة فرسان وإذا به ينظر إلى ضوء كشعاع الشمس وسمع صوتا من تلك الضوء يقول له لأي شيء يا باولوص تضربني، فهذه الحكاية كذب أو هي خدع من خداع الشيطان

فقال له باولوص: وكيف ضررتك وأنا ما رأيتك؟ فقال له: إن أضررت أمتي كأنك ضررتني فارفع يدك عن مضرتهم فإنهم على الحق واتبعهم تفلح. فقال له يا سيدي: وما تأمرني به؟ فقال له: سر إلى مدنية دمشق واسأل عن الرجل فلان فذهب فوجده وعرفه بما سمع من كلام عيسى وطلبه أن يدخل معه في دين النصارى فأجابه لما طلب وعظم بعد أن تبين ايمانه بعيسى عليه السلام. فهذا باولوص تنصر على يد أنانية ولوقا تنصر على يد باولوص كما قلنا وأخذ كتاب الإنجيل عنه وكلهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط. فهذا هو التخليط وفيه دليل كذبهم وبطلانهم أبعدهم الله.

وأما ماركوس فما رأى عيسى وكان دخوله في الدين النصرانية بعد أن رفع عيسى وتنصر على يد بترو الحواري وأخذ عنه الإنجيل بمدينة روما وماركوس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الأناجيل في مسائل حسبما نبين ذلك في الباب السادس إن شاء الله تعالى.

وأما يوحنا فهو ابن خالة عيسى عليه السلام ويزعم النصارى أن عيسى حضر في وليمة يوحنا وأنه حول الماء خمرا في ذلك العصر وهذا أول معجزة ظهرت لعيسى عليه السلام، وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته وتبع عيسى على دينه وعلى سياحته. ويذكر النصارى أن عيسى عليه السلام أوصى بوالدته إلى ابن خالته يوحنا المذكور، وذلك حين حضرته اليهود وأيقن بالموت على زعمهم، وقال له: يا يوحنا، الله الله في والدتي فإنها أمك. وقال: لأمه الله الله في يوحنا فإنه ابنك. وأوصاها به. ويوحنا هو الرابع من الذين كتبوا الأناجيل الأربعة كما قلنا. ولم يذكر هذا الشيء اصلا ويوحنا كتب إنجيله بالكلام اليوناني في مدينة سويس. فهؤلاء الأربعة هم الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها وما كان الذي جاء به عيسى إلا إنجيل واحد لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف والكذب على الله تعالى وعلى نبيه عيسى عليه السلام ما هو معلوم مشهور لا يقدر النصارى على إنكاره حسبما نورد

منه كفاية إن شاء الله تعالى. فصل ومنه ما حكى متى في الفصل الثالث عشر من إنجيله أنّ عيسى قال يكون جسدي في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال بعد موتي كما لبث يونس في بطن الحوت. وهو من صريح الكذب والبهتان الذي كتبه متى في إنجيله لأنه وافق أصحابه الثلاثة على ما في أناجيلهم أن عيسى مات بزعمهم في الساعة السادسة من يوم الجمعة ودفن في أول ساعة من ليلة السبت وقام من بين الموتى صبيحة يوم الأحد فبقي في بطن الأرض على هذا الزعم الفاسد يوما وليلتين. وعلى ما تقدم من قول متى إن عيسى قال إنه يبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال كما بقي يونس في بطن الحوت فظهر كذبه وتناقضه في نقله. ولا شك في كذب هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل في هذه المسألة لأن عيسى عليه السلام لم يخبر عن نفسه لأحد ولا أخبر الله عنه في إنجيله بأن عيسى يقتل ويدفن يوما وليلتين ولا ثلاثة أيام ولياليهم بل هو كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز المترل على نبيه الصادق الكريم (**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** * النساء: ١٥٧).[١]

(١) حاشية يقول الشيخ عبد الله بك ثم اعلم ان شيئا من هذه الاخبار لا يكون حجّة اصلا لأنّها ليست بمتواترة بل هي كلها اخبار آحاد متناقضة متخالفة فلا تفيد العلم القطعيّ فانّ من شروط التّواتر اوّلا ان لا يكون عدد الناقلين محصورا وثانيا ان ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين شاهدوا المشهود به وثالثا ان لا يوجد بين اقوالهم تناقض واختلاف ورابعا ان لا يجوز العقل تواطؤهم على الكذب وهنا ليس كذلك لأن عددهم محصور وهم اربعة رجال مجهول الأحوال كما بيّنا سابقا لأنه لو لم تكن احوالهم كذلك لما اختلفوا في نسبة هذه الكتب اليهم ولعرفوا علي ايّ لسان ولغة الّفوها وثانيا ان الذين قالت النصارى في حقهما بانّهما شهدا المسيح اثنان فقط وهما متّى ويوحنّا وهذا على تقدير صحّة قولهم فيهما واما مرقس ولوقا فلم يرياه اصلا بل هما صحبا ساول اليهودي الذي يسمونه باولوص الرسول وهو لم يصحب المسيح و لم يدركه قطّ وانما هو ادّعى بانه شاهده بين السماء والارض مُتَجَلِّيًا مخاطبا له وهو مردود الاقوال لانه بيّن الكذب وعدو المسيح ظاهرا ولئن سلمنا انّهما لقيا سائر الحوارين كذلك لكنّهما لم يبيّنا و لم يعيّنا اسماء الرواة الذين نقلا عنهم هذه الاخبار وهذا تدليس عظيم يوجب القدح والطعن فيهما وفي رواياتهما فاذا كيف يثبت التواتر برجلين مختلفي الاقوال وهما متى ويوحنا فقط والشرط الثالث مفقود بالكلية لأن اختلافهم وتناقضهم وتكاذيبهم في اقوالهم ورواياتهم ظاهر وواضح من نفس كتبهم وضوحَ الشمس في وسط النهار ولا حاجة الى التعيين والاشعار واما الشرط الرابع فهو عدم جواز تواطئهم واتّفاقهم على الكذب فكيف لا يجوّزه العقل بعد ادراكه هذه الامارات الجليّة وانّى يستنكف العاقلُ ان يحكم

الباب الثاني في افتراق النصارى على تعدد مذاهبهم وفرقهم

اعلموا رحمكم الله أن النصارى قد افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة.

الفرقة الأولى: تعتقد أن عيسى هو الله الخالق البارئ الذي خلق السموات والأرض. فيقال لهم كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم، فإن متى قال في الفصل السادس والعشرين (٣٩) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود قد تغاشيت من كرب الموت، ثم اشتد حزنه وتغير وخر على وجهه يبكي ويتضرع إلى الله تعالى ويقول يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفها ولا يكون ما أشاء بل تشاء أنت. فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمي عاجز يخاف نزول الموت عليه وأنه له إله ناداه بإلهي وتضرع إليه. وزادوا هم أنه مع آدميته وخوفه وحزنه من الشاكّين في قدرة الله حيث قال إن أمكن صرف المنية

بذلك عليهم عند مشاهدته تلك المصادمات الردية وكيف لا وقد كتبوا فيها امورا لم يشاهدوها اصلا وحكموا بوقوع الصلب والقتل على نبي الله المعصوم عيسى كذبا والعجب انّهم اقرّوا بذلك على انفسهم حيث كتبوا في تواريخهم وبيّنوا في اناجلهم بانه لم يحضر منهم ولا واحد مع المسيح بل هربوا من حواليه جميعا وتركوه في ايدي اليهود ضليعا اي سالما ولم يتبعه الاّ بطرس من بعيد وهو كسائر اخوانه من باب البيت شريد فبعد القرار هكذا بعدم اطلاعهم على حقيقة حاله كتبوا في حقّه اراجيف اليهود تزري بشأنه واتفقا معهم في صلب جسمانه اليس هذا كذبا صريحا وافكا مبينا قبيحا راجع للتحقيق الى الاناجيل قال متى في الاصحاح السادس والعشرين حينئذ تركه تلاميذه وهربوا وقال مرقص في الاصحاح الرابع عشر حينئذ تلاميذه تركوه وهربوا كلهم هذه عبارالهما بعينهما يقول الشيخ عبد الله بك وان قالوا انه ترَآى لهم بعد قيامه من بين الأموات فاخبرهم بصلبه وقتله هو بالذات قلنا هذا ليس من باب اليقينيات بل هو من الأوهام والخيالات وكيف لا وقد شكت فيه الرواة انفسهم اي ظنوه روحا مجرّدا غير المسيح كما هو مكتوب في إنجيل لوقا ولم تطمئن به قلوبهم حتى ظنوا انه مما يخالفه جنسهم ثم حكموا فيه ظنا بانه سيدهم ومخلّصهم أفلا يجوز العقل ان يكون ذلك شيطانا ترأى لهم جسدا وعدوانا ليضلهم بان يصدّق اليهود فيما قالوا فيه بهتانا فان قلت كيف يقدر الشيطان ان يتمثل بصورة رسول الرحمن فيغوي الانسان قلنا نعم هذا محال عند اهل الاسلام ولكنه يجوز ان يتمثل بصورة شخص ما آخر فيقول انا ذلك الرسول الآن ويدلّ على كون الأمر هكذا ريبهم وشكّهم في ذلك الزمان مع ان مذهب النصارى لا يأبى عن ذلك بل ينصّ بدخول الشيطان الى تلك المسالك فما يؤيّد المذكور ما قاله بولص في الفصل الحادي عشر من رسالته الثانية الى اهل قورنثية وليس هذا مما يتعجب منه لانه الشيطان هو ايضا يتشبّه بملائكة النور.

فاصرفها عني، لأن هذا عين الشك في قدرة الله تعالى جلّ ذكره ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن لا يعجزه شيء فما معنى قوله إن أمكن ذلك؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟ وحاشا روح الله ورسوله من أن يشك في قدرة الله بل كان عالما في درجات اليقين بأن الله لا يعجزه شيء وكل ما كان يجري على يديه من المعجزات فإنما كان بقدرة مشيئته إلا آلهية لا إله إلا هو. ويقال لهذا الفرقة أيضا قد خالفتم يوحنا في الفصل السابع عشر إن المسيح رفع بصره إلى السماء وتضرّع إلى الله تعالى وقال: يا رب إني أشكر استجابتك دعائي وأعترف لك بذلك وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعائي ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين فإنهم يؤمنون بالذي أرسلني. فهذا المسيح قد اعترف أن له إلهه وربه وتضرع إليه وشكر نعمائه وإجابته لدعائه، فكيف يقولون إن عيسى هو الله الذي خلق السموات والأرض وهل يكون في العقول السليمة أشنع من هذا؟

ومما بكبتهم ما قال يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله أن عيسى عليه السلام قال لليهود من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني دخل الجنة وفي هذا الفصل أن اليهود قالوا لعيسى عليه السلام من يشهد لك بما تقول فقال الرب الذي أرسلني هو يشهد لي. فهذا دليل على أن عيسى مقر بأنه نبي مرسل وأنه له ربا أرسله وأن الذي يعمل بما سمع منه ويؤمن بالذي أرسله دخل الجنة.

ومما بكبتهم ما قال ماركوس في الفصل الأول من إنجيله إنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجن من فمه، فاجتاز عيسى فصاح به الجن وقال: يا عيسى أي شيء لك عندي أتحب أن تخرجني من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبي وأنا أعلم أنك نبي روح الله وأن الله تعالى أرسلك؟ فأمره بالخروج وقام الرجل صحيحا سالما فتعجب الحاضرون من ذلك. وهذا في غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر ورسول من جملة الرسل صلى الله عليهم أجمعين.

الفرقة الثانية: أي أهل هذه الفرقة تعتقد أن عيسى عليه السلام ابن الله وأنه إله

وإنسان فهو إله من جهة أبيه وإنسان من جهة أمه وأن اليهود قتلوا إنسانيته وأن الألوهية بعدما دخل جسد إنسانيته القبر حاشا فترل إلى جهنم وأخرج منها آدم ونوحا وإبراهيم وجميع الأنبياء وأنهم كانوا فيها من أجل خطيئة أبيهم آدم في الأكل من الشجرة وأن جميع هؤلاء الأنبياء صعدوا إلى السماء صحبة الألوهية بعد اجتماع لاهوته بناسوته. وهذا اعتقاد في غاية الكفر والحمق والفساد في دينه فنعوذ بالله مما ابتلاهم. ويقال لهم كذبتم على الله وعلى رسوله عيسى ودليل ذلك عما هو في كتبهم ما قال ماركوس في الفصل الثاني عشر (٣٩) من إنجيله إن عيسى قال للحواريين اعلموا واعتقدوا أن أباكم أي مولاكم السماوي الذي في السماء، يعني بذلك هو الله تعالى، هو واحد فرد فأي شهادة على كذبهم أبين من هذا الذي في إنجيلهم بشهادة عيسى عليه السلام؟[١] فبهتوا وانهلكوا وباقي فرق النصارى عقائدها كلها كفر وكذب محكم بالبهتان. وتركت ذكرهم قصد الإيجاز والتخفيف وبالله التوفيق.

الباب الثالث في بيان فساد قواعد دين النصارى

وهي التي لا يرغب عنها منهم إلا القليل وعليها إجماع جمهورهم الغفير وبين الرد عليهم بنص أناجيلهم في كل قاعدة من قواعدهم.

---

(١) حاشية يقول الشخ عبد الله بك والعجب من النصارى انهم بعد ما سمعوا التقنيم المذكور من المسيح رفضوا التوحيد واختاروا الشرك فقسموا الرب الاحد الصمد الى ثلاثة اقانيم ثم سموا بعضها ابا وبعضها ابنا وبعضها روح القدس فكأنهم ما ارادوا بذلك الاّ مخالفة الانبياء عامّة وتكذيب المسيح خاصّة وليس لهم ذلك الاّ من الوقوع في فَنَح الفلاسفة المزوّرين والوثنيّين الذين هم تنصّروا لاجل افساد الدين فاوهموا النصارى نفوسهم بالتقوى الريائي كأنّهم من الملائكة المقرّبين فاضلّوهم واستعبدوهم حتى اسجدوهم للصور والتماثيل ولبسوا عليهم الحق بالاباطيل فيا ويح لهم من المكر العظيم والاضاليل وقد صرّح به مؤرّخوا النصارى في أناجيلهم ايضا نقلا من المسيح حيث قال مرقس في الفصل الثاني عشر فسأله ايّ وصية اوّل الكل فاجابه عيسي ان اوّل كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب الهكم اله واحد هو وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوّتك هذه اولى الوصايا والثانية هي مثلها ان تحبّ قريبك مثلك ليس وصية اخرى اعظم من هاتين وفي رواية متى في الفصل الثاني والعشرين من كتابه في هاتين الوصيّتين الناموس كله والانبياء معلقون (معلقون اي يتعلق بعضهم الى بعض كما تتعلق حِلَقُ السّلْسِلَةِ).

اعلموا رحمكم الله أن قواعد دين النصارى خمسة وهي التغطيس والإيمان بالتثليث واعتقاد التحام أقنوم الابن في بطن مريم والإيمان بالقربان كيف ينبغي والإقرار بجميع الذنوب للقسيسين.

القاعدة الأولى في التغطيس

اعلموا رحمكم الله تعالى أن لوقا قال في إنجيله إن عيسى عليه السلام قال من تغطس دخل الجنة ومن لم يتغطس فله جهنم خالدا فيها فمن أجل ذلك يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس. فيقال لهم ما تقولون في إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء عليهم السلام هم في الجنة أم لا؟ فلا بد أن يقولوا نعم هم في الجنة. فيقال لهم كيف دخلوها و لم يتغطسوا؟ وهم مجيبون عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس. فيقال لهم فما تقولون في آدم ونوح عليهما السلام وذريته لصلبه فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم وليس لهم في هذا جواب قطعا. واعلموا أن هذه القاعدة في التغطيس مما افتعلوه في أناجيلهم إفتراء على الله ورسوله.

وصفة التغطيس أن في كل كنيسة حوض رخام أو كذا يملأه القسيس بالماء ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل ويرمي فيه ملحا كثيرا وشيئا من دهن البلسان فإن كان يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه بزعمهم بين يدي الله بالتغطيس ويقول له القسيس عند الحوض بهذا المقالة يا هذا اعلم أن التنصر هو أن يعتقد حاشا أن الله ثالث ثلاثة وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس وأن ربنا عيسى ابن الله وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار إنسانا وإلها فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمه وأنه صلب ومات وعاش وصار حيا بعد ثلاثة أيام من دفنه وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه يوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة يا بني آمنت بهذا كله فيقول المتنصر نعم فحينئذ يأخذ القسيس

صفحة من ذلك الحوض ويسكبها عليه وهو يقول له وأنا نغطسك باسم الأب والابن والروح القدس. ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف وقد دخل دين النصارى.

وأما تغطيس ولدان النصارى فهو في اليوم الثامن من ولادهم يجيء بهم آباؤهم إلى الكنيسة ويضع الولد بين يدي القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره بتقرير عقائدهم عليه ويجاوب عنه أبوه وأمه بقولهما نعم ثم يحملان ولدهما وقد تنصر فهذه صفة تغطيسهم.

واعلموا أن هذا الماء الذي يضعه القسيس في احواض الكنائس منه ما يبقى أعواما وأحقابا ولا ينتن ولا يتغير فيتعجب عوام النصارى من ذلك ويعتقدون أنه من بركة القسيس وبركة كنيسته ولا يعلمون ان ذلك من كثره الملح ودهن البلسان وهم اللذان يمنعان من تعفن الماء والقسيس لا يرمي ملحا ولا الدهن الا في الليل أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة وهذا من بعض حيل القسيسين في ضلالهم. وقد كنت في الجاهلية زمانا في ذلك الدين صنعت هذا وغطست كثيرا من هذا النصارى مرارا والحمد لله الذي هداني إلى الحق والعرفان وأخرجني من الظلمات إلى النور والإتقان ببركة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه صلوات الرحمن.

القاعدة الثانية وهي إيمان بالتثليث

وعندهم لا يمكن دخول الجنة إلا به على ما شهدت به أئمة الضلال والكفر والإضلال من أوئلهم فيؤمنون بأن الله تعالى عن قولهم ثالث ثلاثة وأن عيسى هو ابن الله وأن له طبيعتين لاهوتية وناسوتية وتلك الطبيعتان صارتا شيئا واحدا، فصار اللاهوت حاشا إنسانا محدثا تاما مخلوقا وصار الناسوت حاشا إلها تاما خالقا غير مخلوق وبعضهم يقولون الثلاثة هم الله وعيسى ومريم. ولا شك في كفر القائلين ولا يشك ذو عقل أن كل من له مسكة من العقل يجب عليه أن يرغب نفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السحت الرذيل الفاسد الكفر الذي تتره عنه عقول الصبيان

ويضحك منه ومنهم ذوو الأفهام. ويلزمهم على مفترى قولهم أن أن تكون ذاته كذات الله وله علم وقدرة كعلمه وقدرته إلى سائر الصفات الأزلية وهذا باطل. وبيان بطلانه بكتابهم ما قال ماركوس في الفصل الثالث عشر (٣٢) من إنجيله إن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن الساعة التي هي القيامة فقال لهم إن ذلك اليوم لا يعلمه الذين في السماء ولا يعلمه إلا الأب وحده يعني الله تعالى.[١] فهذا إقرار من عيسى بأنه ناقص علم عن الملائكة وأن الله تعالى المنفرد بعلم الساعة وقيامها وأن عيسى لا يعلم إلا ما علمه الله. وفي الفصل السادس والعشرين من إنجيل متى أن عيسى عليه السلام حين عزم اليهود على قتله تغير في تلك الليلة وحزن حزنا شديدا، وكل من يحزن ويتغير فليس بإله ولا بابن إله عقد كل عقل صحيح. لا أشنع منه قولهم في هذه القاعدة بأن للعيسى له طبيعتين لاهوتية وناسوتية وأنهما صارتا شيئا واحدا وهذا أقبح ممن يقول أن الماء والنار صار شيئا واحدا والنور والظلمة إنما كان محالا من واحد من هذه ضد للآخر وخالق الخلق الغني بذاته وصفاته عنهم المتقدس في عظمته وكبريائه عن شبه شيء فهم كيف يتقرر في عقل سليم أنه حاشا مازج بعض مخلوقاته حتى صارا شيئا واحدا فتعالى الله الملك الحق عما يشركون علوا كبيرا، وأين كان لاهوته لما مات ناسوته لا سيما عن قولهم إنهما اتحدا وتمازجا والتحما فما الذي فرق بينهم عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط على زعمهم وعصب رأسه بالشوك وصلب على خشبة وطعن بالرماح حتى مات وهو يصيح جزعا وخوفا فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد الممازجة والالتحام على قولهم وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء وكان ناوسته حينئذ في القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر ورجع إليه ثم صعد به إلى السماء وهذه كلها دعاوي باطلة وهي

---

(١) حاشية فهكذا قال متّى في الفصل الرابع والعشرين من انجيله (٣٦)

من الكفر الركيك وفضائح لا يرخصها عقل سليم وكيف يزعمون أن لعيسى طبيعتين صارتا شيئا واحدا وفي أناجيلهم ما يشهد بأنه ليس له إلا طبيعة واحدة الآدمية. وبرهان ذلك ما قال متى في الفصل الثالث عشر (٥٠) من إنجيله إن عيسى عليه السلام لما انتقل من المدينة التي ولد فيها استخف به الناس فقال لا يستخف نبي إلا في مدينته. فهذا إقرار منه أنه نبي من جملة الأنبياء وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة آدمية. ويؤيد ذلك أيضا ما قاله شمعون الصفا رئيس الحواريين لليهود عندما تلبسوا على المسيح فقال: يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن المسيح هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والتأييد والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه وأنتم كفرتم به. هكذا في كتاب قصص الحواريين (في الفصل الثاني ٢٢) وهو عند النصارى كالإنجيل فأي خبر أوثق من خبره وأي شاهد أعدل من شمعون الصفا التي يتبرك النصارى بذكره ويؤمنون بكثرة صلاحه وفضله وقد شهد على عيسى أنه رجل من جملة الرجال الآدميين والأنبياء المرسلين الذين أيدهم الله بالمعجزات وأن كل ما جرى منها على يد عيسى إنما هو بقدرة الله تعالى ليس للمسيح فيه كسب فأين هذا الحق ونوره من ظلمة كفرهم في قولهم إن اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى وهو جسده حاشا صار إلها تاما غير مخلوق فقد كفروا. فيا عباد الله تأملوا كيف استحوذ عليهم الشيطان بظلمة الكفر على بصائر هؤلاء حتى آمنوا لهذا المحال في العقل والعادة وقلدوا فيه أول شياطين الذين اخلقوا لهم هذه العقيدة الشنيعة المرذولة؟ نعوذ بالله من حالهم ومآلهم. وقال لوقا في آخر إنجيله إن عيسى بعد ما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه وهما القليوفاس ولوقا فقال لهما: ما لكما حزينان؟ فقالا له: وأنت كأنك غريب وحدك في مدينة بيت المقدس لم تعلم ما جرى فيها في هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلا مصدقا من الله تعالى في مقالته وأفعاله عند الله والناس. فهذه شهادة تلميذه أيضا أنه رجل مصدق من الله ليس بخالق ولا إله ولا بابن إله فتعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا.

القاعدة الثالثة وهي في اعتقادهم

أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن مريم وما سبب ذلك

اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم في أكله من الشجرة ثم إن الله تعالى حنّ عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى فصار إنسانا وإلها إنسانا من جوهر أمه وإلها من جوهر أبيه، ثم أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته وبها يفدي جميع الخلق من يد الشيطان وأنه حاشا مات بالقتل ثم عاش بعد ثلاثة أيام ونزل لجهنم وأخرج منها آدم وذريته جميع الأنبياء بزعمهم. فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث كما مهد لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولا نقل عن نبي ولا رسول. وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة والفضائح المهلكة والتناقض الواضحة. فمن المحال أن يكون الخالق الأزلي استحاله لحما ودما أو يكون له ولد في الأرض أو في السماء أو يكون قدمه وبقاؤه الذين لا نهاية لها محدودين أو متحيزين أو متنقلين. كلا بل هو الله الذي لا إله إلاّ هو لا شبيه له ولا نظير له، فتقدس جلاله وتعالى كماله يحل في بشر يموت، كيف وهو الحي الذي لا يموت، أو يصير بذاته العلية القدسية في بطن امرأة وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض. ويقال لهم أنتم تعتقدون أن عيسى هو الله حاشا ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني. ولا يجدون بدا أن يقولوا نعم. فيقال لهم لقد أقدمتم على بهتان عظيم ومحال بين حيث صيرتم إنسانا من الناس خالقا أزليا وهو حادث مخلوق ولا يخلو أمركم في عيسى من خمسة أوجه: إما أن يكون جعلتموه إلها أزليا أو مسكنا للإله الأزلي. والوجه الثاني هل قال عيسى عن نفسه أو قال عنه تلاميذه الذين نقلوا لكم دينه؟ الوجه الثالث أن تكونوا جعلتموه إلها لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه. الوجه الرابع أن تكونوا جعلتموه إلها لصعوبه إلى السماء. الوجه الخامس أن تكونوا جعلتموه إلها لعجب مولده في كونه من غير أب، فإن قلتم لعجب مولده

وكونه من غير أب فليس ذلك بأعجب من آدم خلق من غير أب ولا أم ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ووالدة ولا مادة ولا طينة ولا سمى من الملائكة ولا بآدم آلهة وأنتم تمتنعون من ذلك فأخبرونا بالفرق بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإجاد أعجب منه؟ وإن قلتم إن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي عليه السلام أحيا ميتا في حياته وميتا بعد وفاته والمتصرف بمعجزات الأحياء في البرزخ أي بعد الموت أعجب منها قبل الموت، وإلياس النبي عليه السلام أحيى أيضا ميتا وبارك في دقيق العجوز ودهنها فلم يفرغ ما في جرابها من الدقيق وما في قارورتها من الدهن سبعة أعوام وسأل الله أن يمسك المطر سبعة أعوام فأجاب الله دعاءه. وإن قلتم إن عيسى أطعم من خمسة أرغفة خمسة آلاف نسمة فإن موسى كليم الله عليه السلام سأل الله العظيم لقومه فأطعمهم المن والسلوى أربعين سنة وعددهم أزيد من ستمائة ألف نسمة. وإن كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه فان موسى ضرب البحر بعصاه فانفلق وصار فيه طرق عبر منها جميع قومه واتبعهم فرعون بجنوده فغرقوا كلهم، ثم فجر صخرة اثني عشرة عينا لكل سبط من بني إسرائيل عين وضرب لأهل مصر عشر آيات من عجائب العذاب، الأولى عصاه التي ألقاها من يده فصارت ثعبانا هائلا وابتلعت جميع حبال السحرة. الثانية نتن مياههم وموت ما فيها من الحيوان. الثالثة إرسال الضفادع عليهم حتى امتلأت بها منازلهم. الرابعة تسليط القمل على أجسادهم. الخامسة إرسال أنواع الذباب عليهم. السادسة إهلاك بهائمهم كلها. السابعة خروج القروح في أجسادهم. الثامنة نزول البرد عليهم حتى فسدت أشجارهم. التاسعة إرسال الجراد على جميع بلادهم. العاشرة ما غشاهم من الظلمات ثلاثة أيام ولياليها. وإن قلتم إن عيسى كان إلها بنفسه لأنه صعد إلى السماء فلذلك جعلتموه إلها فيلزمكم في إلياس وإدريس عليهما السلام أن تجعلوهما إلهين لأنهما صعدا إلى السماء بلا خلاف عندكم في ذلك وأيونا الإنجيلي صعد إلى السماء بنص التوراة وإجماع علمائكم. وإن

قلتم إن عيسى ادعى الإلوهية لنفسه فلذلك جعلتموه إلها فقد جاهرتم بالكذب الفظيع والبهتان الشنيع وفي أناجيلكم ما يرد عليكم فيه أن في الإنجيل الذي بأيديكم أنه حين صلب وقال إلهي إلهي لم خذلتني؟ وتقدم له من نص الإنجيل أنه قال إن الله تعالى أرسلني إليكم. فأقر أنه بشر من الأنبياء المرسلين، ونصوص أناجيلكم في هذا عديدة على أن في كذبكم من أنه صلب وصاح ونادى إلهي إلهي وليس من خصوص الإنجيل الحق بل هو من بهتان أناجيلكم وافترائكم على الله تعالى وإنما احتججنا به عليكم ليظهر تناقضكم وإفتضاحكم لبصائر العقلاء وبالله التوفيق.

القاعدة الرابعة وهي الإيمان بالقربات وصفته

اعلموا رحمكم الله أن دين النصارى في قرباهم كفر وهو أن يعتقدوا على فطيرة خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات فإنها ترجع في تلك الساعة جسد عيسى عليه السلام وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس شراب خمر فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى. والذي تقرر من سننهم في ذلك أن كل كنيسة لها قسيس كبير عندهم يقوم بها فيجيء قسيس كل كنيسة كل يوم بفطير صغيرة وزجاجة بخمر ويقرأ عليها عند صلواته فيعتقد النصارى أن الفطيرة صارت عين عيسى والخمر صار دمه ويأخذون ذلك من قول متى في الفصل السادس والعشرين (٢٦) من إنجيله أن عيسى جمع الحواريين يوما قبل موته حاشا وتناول خبزة وكسرها وناولهم كسرة كسرة لكل إنسان وقال لهم كلوا هذا جسمي ثم ناولهم كأس خمر وقال لهم اشربوا هذا دمي فهذا قول متى في إنجيله. ويوحنا الذي كان حاضرا لعيسى حتى رفع لم يذكر شيئا من خبر الخبز والخمر في إنجيله وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متى ونقله على المحال والبهتان. والنصارى يعتقدون لكل جزء من أجزاء فطيرة كل قسيس هو عيسى عليه السلام بجميع جسده في طوله وعرضه وعمقه ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكل جزء منها عيسى. فيقال لهم جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلا وعرضه شبرين وعمقه شبرا والفطيرة التي يقرأ عليه القسيس ما يمكن أن تكون ثلاثة

أشبار فكيف يكون جسده طوله عشرة أشبار وعرضه شبران وعمقه شبر في شيء طوله ثلاثة شبر؟ فهذا محال في كل عقل سليم. وهم يجيبون عن هذا بأن المرآة لم تكن قدر الدنيا والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية إذا قابلها بذلك وهي أكبر منها وأزيد من ألف مرة. فيقال لهم إن الذي في المرآة عرض لا جوهر وأنتم تعتقدون جوهر عيسى وعرضه جميعا في تلك الفطيرة وهذا محال في العقل. ثم أن عيسى أجتمعتم على أنه صعد إلى السماء وهو جالس فيها إلى يمين الله تعالى عن قولكم فمن الذي أنزل لكم جسده إلى تلك الفطيرة؟ ثم إن عيسى رجل واحد وأنتم تعتقدون في كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى ولو انقسمت على مائة ألف جزء فلزمكم أن يكون مائة ألف عيسى ثم يتضاعف عدد الفطائر وتعد الكنائس عندكم فيصير عيسى أعدادا لا تكاد تتناهى وكل ما أتى إلى هذا واعتقده فقد جعله الله أضحوكة للعالمين ومسخرة للشياطين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصفة قرباهم بالفطيرة المذكورة وصلواهم أن القسيس يأمر خادمه أن يعجن له فطيرة من سميد صافي ويخبزها ثم جاء بها القسيس مع زجاجة خمر إلى الكنيسة ويأمر بضرب الناقوس وإذا اجتمع النصارى لصلاهم ووقفوا صفا في الكنيسة يصب من خمر الزجاجة شيئا في كأس من فضة ويجعل تلك الفطيرة في منديل نظيف ثم يتقدم قدام الصفوف كلها ويستقبل المشرق ويأخذ الفطيرة بيده ويقرأ عليها ما نصه: عيسى المسيح في ليلة أخذته اليهود فإنه أخذ الخبز بيده المباركة ورفع عينيه إلى السماء إلى القادر على كل شيء بعد التحميد الواجب فكسرها وأطعم الحواريين كسرة كسرة وقال لهم كلوا هذا جسدي. وحين يتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققا عنده أنه جسد عيسى وأن عيسى حاشا هو ابن الله ويقول القسيس في سجوده مخاطبا للفطيرة حاشا: أنت عيسى إله السماوات والأرض أنت الذي تجسدت في بطن مريم أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها أنت من أجلك أن تخلصنا من أيدي الشياطين. أنت الذي جالس إلى يمين أبيك في السماء. نسألك أن

تغفر لي ولأمتك التي خلصتها بدمك كذا وكذا. ثم يظهر تلك الفطيرة لصفوف النصارى فيقع جميعهم لها ساجدين ثم بعد ذلك يأخذ كأس الخمر ويقول لهم القسيس: إلهنا المسيح قبل موته أخذ كأسا من الشراب وأعطاه للحواريين وقال لهم اشربوا هذا دمي ثم يسجد القسيس للكأس ويريه النصارى للنصارى ويسجدون له ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر ويقرأ بعد ذلك ما تيسر من الإنجيل ثم يعطي الدعاء ويتفرقون. فهذه صلاتهم وقرباتهم فنعوذ بالله من الخذلان.[١]

القاعدة الخامسة وهي إقرار الذنوب للقسيس وصفة ذلك

اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلاّ بعد الإقرار الذنوب للقسيس وأن كل من يخفي منه ذنبا واحدا فلا ينفعه إقرارهم فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة. وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنبهم إلا إذا مرض وخاف الموت فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له وهم يعتقدون أن كل ذنب يغفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى فمن أجل ذلك صار البابا الذي يكون بمدينة روما وهو خليفة عيسى في الأرض بزعمهم يعطي لمن شاء براءة بغفران الذنوب والتسريح من النار ودخول الجنة ويأخذ على ذلك الأموال الجليلة. وكذلك يفعل كل من ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين ويعطون البراءة بالغفران وإيجاب الجنة والنجاة من النار، ويأخذ النصارى بهذه البراءة بعد أن يعطوا

([١]) حاشية يقول الشخ عبد الله بك ولا حاجة أن نشتغل بايراد البراهين بإثبات بطلان عقايدهم فانها ظاهر الفساد اذ كلها امور مفْتَعَلَةٌ لم تُنْقَلْ من نبي ولا رسول بل هي تخالف المنقال والمعقول رتبها لهم الاساقفة في الجمعيات بعد المسيح باكثر من ثلاثمائة سنة وتشهد عليهم التورية وسائر النبوات بالبطلان والفساد وليس لهم فيها شيء يصلح للاستناد ففي اي كتاب ثبت بان للاله القديم الازلي ثلاثة اقانيم واي نبي تنبأ بهذا المعتقد السقيم واي رسول اثبت لله تعالى ابنا واشرك به روحا واكل خبزا وشرب خمرا ثم ادّعى بانهما صارا بصلاة القسيسين للاله جسدا ودما وايّة نبوة نصت على انّ توبة آدم لم يقبل فسرت الخطيئة الى ذريّته حتى يصلب المسيح ويقتل ان كلها الاّ افك افتراه اهل الضلال وابتدعه اصحاب الخيال المحال.

عليها لمن يكتبها لهم المال الجيد فيخفونها عندهم حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة معه في كفنه واعتقادهم فيها يقينا أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءة. وهذا من حيل القسيس على أخذ الأموال من النصارى. فيقال لهم لأي شيء تضعون هذا ولم يأمركم به عيسى ولاميذ عيسى ما أقروا بأمر قط لعيسى الذي زعمتم أنه حاشا هو الله وابنه وهو أقرب على قولهم بمغفرة الذنوب من جيمع القسيسين؟ ثم إن القسيس لا شك عندكم في أنه بشر مثلكم وربما تكون له ذنوب أكثر من ذنوبكم لا سيما في تكفيركم برأيه وإضلالكم فمن هو الذي يغفر له ذنوبه؟ ولكنكم أنتم قوم عمياء وقسيسكم أشد عمى منكم والأعمى إذا ألقاه الأعمى وقعا في المهالك وكذلك تقعون مع قسيسكم في نار جهنم خالدين فيها أبدا لأن المغفرة لذنوبكم مع كفركم وإشراككم فقد قطع الله رجاءكم منها اي بقول الصادق في كتابه العزيز (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ** * النساء: ٤٨). فلهذا كانت مغفرته لكم محالا بخبر الصادق فمغفرة القسيس لكم أشد من المحال وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده واستهزائه بكم. ومن يغفر الذنوب إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الرابع في بيان عقيدة شريعتهم

وجميع النصارى متمسكون بها إلى اليوم ولا يتركها إلا القليل منهم وهي كلها كفر ومحال يفسد بعضها بعضا وكان الذي ألفها لهم رجل من قدمائهم يقال لهم شمعون الصفا بين أهل مدينة روما. وهذا نصها: نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها ولد من أبيه قبل العوالم كلها ليس بمصنوع. إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها وهو خالق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار إنسانا وحملت به مريم وولد من مريم البتول فأوجع وأولِم وصلب في أيام بيلاطوس الملك ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء. (وكذب الكافر على

الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين وحاشاهم أن يقولوا مثل هذا المحال.) ثم صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس يخرج من الأب والابن[١] وبه كان يتكلم الأنبياء والتغطيس هو غفران الذنوب ونؤمن بقيام أبداننا وبالحياة أبد الآبدين.

وهذا الكلام رحمكم الله ينقض بعضه بعضا فأوله نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى ونؤمن بالرب المسيح إله حق من جوهر أبيه. ففي أول كلامهم الشهادة لله بأنه واحد ويليه الشهادة عليه تعالى بأنه ولد وهو إله من جوهر أبيه. وهذا في غاية الكفر والشرك وفي غاية الضد والتناقض لوحدانية الله تعالى الواحد الأحد لا شريك له ولا شبيه له تبارك الله وتقدس عن كفرهم. وقد قال في أول كلامه إن الله خالق كل شيء ثم فيما بعده ونؤمن بأن المسيح خالق الأشياء كلها الذي بيده أتقنت، فأثبت أن مع الله خالقا لكل شيء حاشا وهذا من أفضح التناقض. وكذلك قوله إن الله تعالى صانع ما يرى وما لا يرى فدخل فيه المسيح لأنه بالضرورة مما يرى أو مما لا يرى ثم أعقب ذلك بقوله المسيح خالق كل شيء وإنه غير مصنوع وهذا تناقض بالله ودعواهم لو ميزها البهائم لأنكروها على النصارى فنعوذ بالله من الخذلان واستحواذ الشيطان فإنه تلاعب بهم كيف أراد وقادهم إلى جهنم وبئس المهاد وقد قال ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها. فمتى خلق كل شيء قبل ميلاده وهو عدم أو بعد ميلاده وهو صبي رضيع؟ ومن كان يدبر السموات والأرض ومن فيها قبل ميلاده وإيجاده؟ وكيف يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا الكافر لأن معنى قوله بكر الخلائق أي أول ما وجد منها.

وشريعة النصارى مبنية على هذا التناقض والمحال لأنهم يجمعون على أن المسيح أزلي خالق قديم وحاشا أنه مولود ولد من بطن مريم بعد حملها به وهذا كله قد

---

(١) حاشية هذا الفرق والاختلاف بين كنيسة روما او غربية وكنيسة غريقية او شرقية لان على زعم كنيسة الشرقية الروح القدس يخرج من الاب ولا من الابن.

جعلهم الله به أضحوكة لجميع العقلاء العارفين وقرة لعيون الشياطين. وانظروا قول هذا الخبيث إن المسيح إله حق من جوهر أبيه ثم قال إنه نزل من السماء فتجسد في بطن مريم. وهذا صريح بأن المسيح كان جسدا من جوهر كان في السماء ثم نزل منها فتجسد في بطن مريم وليس في تجسد الأجسام والجوهر هو عجب وإنما العجب أن يتجسد من ليس بجسد ولا جوهر، وتعالى ربنا الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكون منه المسيح أو أن يتجزأ ليستقر منها بجزء في بطن مريم مختلطا بدمها وبولها وروثها فما أعظم جراءة هؤلاء الكفرة على الله تعالى وما أعظم حلم الله تعالى؟ والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم. واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة وجميع عقائد كفرهم في المسيح، وهو ما قال لوقا في الفصل الرابع (٢٤) من قصص الحواريين قال إن الله خلق العوالم بجميع ما فيها وهو رب السماواء والأرض لا يسكن الهياكل التي طينتها الأيادي ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء لأنه هو الذي أعطى الناس الهياكل والنفوس وجميع ما هم فيه من وجودنا به وحياتنا منه. وهذا الكلام الذي قال لوقا هو الذي نزلت به كتب الله تعالى ونطقت به أنبياؤه عليهم السلام. فقد تبين أن عقائد النصارى كلها كفر مفتعل ومحال ركيك وتناقض قبيح لم يأخذوها من كتب الله ولا من أنبيائه وإنما قلدوا فيها دعاوي باطلة وأهواء كاذبة مهدها لهم كل كفار أثيم. ويقال لهم: هذه العقيدة التي لا اختلاف فيها بين جماهيركم إن لم تكونوا نسبتموها لكتاب ولا نبي أخبرونا عنها هل هي كلها حق أو كلها باطل؟ وإن قالوا بعضها حق وبعضها باطلة فقد أبطلوا وكفروا به لأن الباطل لا يدان الله به وإن قالوا كلها حق فقد اعترفوا فيها بالمسيح مخلوق مولود وأن الله تعالى خالقه وخالق جميع ما يرى وما لا يرى. ثم قالوا إن المسيح إله خالق بكل شيء. فما ظهر فيه هذا التناقض الفاضح الشنيع لا يكون حقا أبدا، وقولهم في المسيح إله من جوهر ابيه و لا أله مثله يقتضي المماثلة ولا بد حاشا وما الذي صير أحدهما أبا والآخر ابنا وما الذي خصص هذا بالأبوة وهذا بالبنوة دون تعاكس

فحاشا نسأل الله ربنا كمال العفو العافية من حالهم ومآلهم آمين.[١]

الباب الخامس في بيان عيسى ليس بإله
وإنما هو بشر آدمي مخلوق ونبي مرسل

اعلموا رحمكم الله أن كل ما ذكرنا من عقيدة النصارى وكفرهم وقولهم إن المسيح هو الله وابن الله وأنه خالق المخلوقات حاشا يرده ويبطله ما قالته الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة فقال متى في الفصل الأول من إنجيله وأن نسبة المسيح هو ابن داود بن إبراهيم وهذا إقرار بأن عيسى مولود تناسل من ذرية داود النبي عليه السلام من سبط يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام وكل من ثبت تناسله عن الآدميين هو بلا شك آدمي لأن الله القديم الأزلي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وكل ما سواه حادث. وقال أيضا متى في الفصل التاسع عشر (١٦-١٧) من إنجيله إن رجلا قال للمسيح يا أيها الخير فقال عيسى لِمَ سميتني خيرا إن الخير هو الله تعالى. وهذا غاية التواضع منه عليه السلام والتأدب مع ربه وخالقه فكيف يدعي

---

(١) حاشية ويقول الشيخ عبد الله بك ثم انك ترى ان في هذه الكتب الاربعة لم يذكر شيء من الاحكام الشرعية الاّ نادرا قليلا جدّا وانّما هي تحتوي على بعض المواعظ والنصائح ومحاورات المسيح مع اليهود والناسُ والامم يحتاجون إلى تبيين الاحكم اشدّ الاحتياج ولا يتصوّر دين بلا احكام البتة فحينئذ كيف يمكن لشخص من الاشخاص التدين بدين المسيح حال كون احكامه مجهولة فان قالوا انما الايمان بالمسيح يكفيه ولا حاجة الى غيره كذبتهم الاناجيل التي بايديهم اذ هي تشعر بانّهم مخاطبون بالاوامر والنواهي الاّ انّها لم تبيّن ما هي وان قالوا ان هذه الاحكام تتبين من اقوال الآباء وتتعين من القوانين التي وضعتها الاساقفة في المجامع باتّفاق الآراء فيقال لهم ان شيئا منها لا يعتبر لانهم ليسوا واضع الدين والشريعة وانما كان الواضع بامر الله تعالى ووحيه عيسى عليه السلام هو نفسه لا غيره والذي يقال له دين المسيح وشريعته ليس الاّ الذي وضعه المسيح نفسه ولا يقال للقوانين التي وضعتها الاساقفة دين المسيح وشريعته اصلا وابدا ان لو صحّ خلاف هذا لكان كل شخص يضع من عنده شريعة وقوانين على مقتضى هواه ثم ينسبها الى نبي من الانبياء فحينئذ يلزم ان يقال لها دين ذلك النبي وفساد هذا القول لا يخفى ويدل على فساده ايضا ما نقله مرقس على المسيح في الفصل السابع انه قال ردّا على اليهود وناقلا ما اوحى به الى اشعياء في حقهم فباطلا يعبدونني ويعلمون تعاليم ووصايا الناس انكم تركتم وصايا الله وتمسكتم بوصايا الناس الى آخره فتبيّن لك مما ذكر ان دين المسيح اليوم فضلا عن كونه منسوخا ولو مهما اجتهد شخص للتديّن والعمل به لا يمكن له ذلك اصلا لانّه مفقود الكتاب ومجهول الاحكام.

له شريكا في الألوهية؟ وقال يوحنا في الفصل السابع عشر (١-٣) من إنجيله إن المسيح رفع عينيه إلى السماء وتضرع إلى الله الواحد الخالق وقال يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق وأنك أرسلتني. فهذا اعتراف منه بأنه مبعوث من الله تعالى ما أوجبه من توحيده وأنه سبحانه هو الواحد الخالق لا خالق للخلق غيره وبهذا جاء عيسى وجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإن قال قائل من النصارى إن كان عيسى قد اعترف في هذا الموضع بأنه نبي مبعوث فقد اعترف في موضع آخر أنه الخالق الأزلي، قلنا في جوابه إن هذا افتراء عليه وهو بريء من ذلك ومن كل من نسبه إليه وأنتم تعاميتم عن شنيع التناقض الذي بين النصين في الموضعين لأنه عليه السلام أقر بأنه بشر مبعوث من الله تعالى وهذا هو الصحيح فكيف يجوز عليه مناقضة بادعاء ما هو محال في حقه من كونه خالقا أزليا بل هذا من اختلاق أوائل كفارهم ثم قبلته جميع طوائفكم على ما فيه من الكفر البضيع والتناقض الشنيع.

وقال متى في الفصل الرابع من إنجيله إن الشيطان دعا المسيح إلى أن يسجد له وأراه ممالك الدنيا وزخرفها وقال له اسجد لي نجعل لك هذا كله، فقال المسيح إنه مكتوب على كل بشر أنه لا يعبد إلا الله تعالى ولا يسجد لشيء سواه. فهذا منه إقرار بأنه بريء من الألوهية ولو كان إلها لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول وفي جوابه له اعتراف إلى لله تعالى بأنه هو الإله ولا يسجد أحد إلا له تبارك وتعالى. وهذا تنزل النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشيطان في الوسوسة الباطنة الخفية فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود له من دون الله وهذه مجاهرة جلية ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ودعواهم في تجويز مثل هذا على المسيح عليه السلام.

وقال يوحنا في آخر إنجيله (فصل ١٧-٢٠) إن عيسى قال للحواريين إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. يعني بأبي وأبيكم المالك لي ولكم وهو

اصطلاح ذلك الزمان. فإن قالوا هو أبوه من هذا اللفظ قلنا يلزم منه أن يكون أباكم أيضا لأنه قال أبي وأبيكم ثم صرح بعده بما تدفع كل شبهة بقوله إلهي وإلهكم فلم يبقى لنفسه في دعوى الإلوهية شيئا البتة. وقال متى في الفصل العاشر (٤٠) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال للحواريين كل من قبلكم وآواكم فقد قبلني وآواني ومن قبلني فإنما قبل من أرسلني. وقال يوحنا في الفصل الخامس (٣٠) من إنجيله إن عيسى قال أنا ما جئت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني.

وقال ماركوس في آخر إنجيله (١٥) إن عيسى قال وهو على خشبة الصلب بزعمهم: إلهي إلهي لم خذلتني؟ وذاك آخر ما تكلم به في الدنيا وحاشا أن يكون الله خذله أو تمكن اليهود من صلبه فإنما احتججنا على النصارى لأنه رض نصوص إنجيلهم وهم مصدقون به وفيه التصريح بأن عيسى قال يا إلهي يا إلهي فأقر بأن إلها يدعى في الشدائد وتبرأ من الدعاوي الإلهية لنفسه فلزم تكذيب عقائد النصارى ضرورة لا نجاة لهم عنها ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

وقال لوقا في آخر إنجيله إن المسيح بعدما قام من قبره دخل على الحواريين وهم مجتمعون في غرفة قد أغلقوا بابها فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوا أنه من أرواح الملائكة والجن فلما علم المسيح ذلك منهم قال يا هؤلاء حبسوني واعلموا أن الأرواح الروحانيين ليس لها لحم ولا عظم مثلما تجدون في جسدي. فأقر بأنه مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية وتبرأ من الإلهية وهذا النص كالذي قبله فإنّ تكذيبكم في كون عيسى قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن إنما هو اختلاق أوائل النصارى ودعاويهم الباطلة العتمة في المحال والكفر والضلال ولكنهما أبطلنا حجتهم في ادعائهم أن عيسى هو الله وابن الله تعالى الله لا إله إلا هو. فمن قال إن المسيح هو مربوب الله تعالى فكان مربوبا ينمو طولا وعرضا ثم بلغ أشده فبعثه الله رسولا فقد وافق قول المسيح وتلاميذه ومن خالف هذا فقد خالف الحق واعتقد صريح الكفر نعوذ بالله من ذلك. ويلزمهم أشنع ما يكون عند جميع العقلاء وهو إن كان

المسيح خالقا أزليا كما يعتقدون مع كونه لحما ودما فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليا خالقا وبعضه محدثا مخلوقا لأن المسيح أقر أنه دم ولحم بنص أناجيلهم فاللحم والدم يتوالدان عن الأغذية والأشربة وهي من أجزاء الدنيا فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزائها وذلك الجزء هو خالق لنفسه أيضا لأنه جزء من الدنيا التي هي مخلوقة له. وهذا أشنع ما يكون من دعاوي البهتان وأبعد ما يتصور في معقولية الإنسان فمن اعتقده ودان به فقد لزمه ما بيناه واستحق الغضب من الله واتضح أنه من أهل الخذلان. ويلزم أيضا من شناعة المحال أن يلون بعض الدنيا وهو خالق الجميع وبعض الشيء لا يوجد إلا بعد وجود كله وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشيء. فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود مجهول وأنا أظن صاحب هذه العقيدة مهدها لهم بقصد هذا التعطيل بعينه لأنه كان من متزندقة أهل التعطيل فسخر من النصارى وألف لهم أنواعا من الكفر والضلال مبنية على أشنع المحال لأنه لما تحقق من جفاهم وقبولهم لترهط المذاهب والأقوال. ويقال لهم قد نطق الإنجيل الأول بأن المسيح قلم أظفاره وقصّ شعره ونما جسده طولا وعرضا فإن كان على قولهم خالقا أزليا وقد كان منه هذه الأجزاء من الشعر والأظفار وانفصلت عن كله وصارت رميما وتلاشت حتى لم يبق لها وجود بالخالق الأزلي على هذا وقد فسد بعضه وتلاشى وبقي بعضه على حاله ومن فسد بعضه والفساد واصل إلى كله ومن كان له بعض وكل فهو محدود محتاج إلى ما يحله ويحده ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني والإله الخالق الأزلي تبارك وتعالى شهدت براهين العقول ونصوص المنقول بأنه عز وجل لا يكون جسما ولا جوهرا ولا عرضا وليس له كل يتجزأ ولا يتبعض ذاته القديم ولا يلحقها نقص ولا تغيير ولا تحويل وأنه الغني على الإطلاق وجميع الخلق إليه فقراء في جميع أطوارهم وكافة أحوالهم. وهو كما وصف نفسه الكريمة العزيزة (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** * الشورى: ١١). ويقال لهم أيضا هذا المسيح الذي تعتقدون أنه الله الخالق الأزلي هل كان في بلد أو

زمان أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك لأن أناجيل متى ولوقا صرحوا بأنه ولد في بيت لحم الذي كان ينسب إلى يودا في زمن هرودس الملك، وأنه قتل وصلب في أيام بيلاطوس الملك. وكل من كان في زمان ومكان فلأن فلا بد بأن يكون قبله والأمكنة محيطة به ومن كان كذلك فهو مخلوق. وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتكم التي فيها أنه إله حق بن إله حق وأنه خلق كل شيء. ومعلوم بالقطع أن الزمان هو من الأشياء المخلوقة والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا شك في ذلك. فكيف يجوز أن الزمان موجود قبل خالقه ويكون المكان محيطا بالذي خلق الأمكان؟ هذا أشنع ما يتخيل في الأذهان ومن أقبح ما يكون من المحال والبهتان. وكل من ولد في زمان وأحاط به المكان والزمان فهو حيوان بن حيوان، والمسيح كان من أشرف أنواع الحيوان لأنه إنسان بن إنسان تعالى الله عما يقول الكافرون. وفي كل ما أوضحته هنا بحول الله وقوته يقتضي فساد شريعة النصارى وإبطال عقيدتهم وبيان لعدولي فيما اخترته لنفسي من دين الحق المبين واتباع ملة أفضل النبيين صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. ومن الله نسأل كمال البر والتوفيق وهو ربنا نعم المولى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب السادس في اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم[١]

---

(١) قال الشيخ الحاج عبد الله بن الحاج دستان مصطفى في كتابه المحرر في استانبول في سنة ست وسبعين ومائتين وألف [١٢٧٦ هـ. ١٨٥٩ م.] وإن قيل فاين الانجيل الصحيح قلنا ضايع ومفقود فلو لم يكن مفقودا لكان يوجد عندهم او عندنا لكنّه ليس بموجود عند الفريقين وإن قيل كيف ضاع ومتى قلنا يحتمل أنّه حين هجمت اليهود على قتل المسيح ففي ذلك الوقت اخذوه فامّا احرقوه بالنّار او مزّقوه تمزيقا مع انّه لم يكن انتشر في العالم بعد لكونه حديث عهد بالنزول وكان الحواريون مع قلّة عددهم وعددهم رجالا امّيّين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة فلهذا لم تكن له نسخة اخرى ويحتمل ايضا انّه لم يكن مدوّنا الى الساعة فذهب مع من أُنْزِلَ عليه ثمّ إن قيل فعلى هذا يلزم ان يبقى النّصارى بلا كتاب فكيف يقال لهم اهل الكتاب فقلنا تسميتهم باهل الكتاب ليس باعتبار كون الانجيل الصّحيح في ايديهم لان لفظ الكتاب لا يختص بالمنزل من عند الله تعالى بل هو

اعلموا رحمكم الله أن الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة اختلفوا في أشياء كثيرة وذلك دليل كذبهم ولو كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء. قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي أنزل على صفيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ * النساء: ٨٢). فجعل الاختلاف دليل الكذب على الله تعالى لأن كل ما هو من عنده تعالى لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه. وكلما كذبه الكاذبون عليه لا بد أن يفضحهم الله بوجود الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه ليميز الله الخبيث من الطيب وهو الحكيم العليم. فمن نصوص كذب هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل ما قال يوحنا في الفصل الثالث عشر (٢١) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال للحواريين في الليلة التي أخذته فيها اليهود: الحق أقول لكم إن واحدا منكم يخونني. فقال له يوحنا: يا سيدي من يكون ذلك؟ قال لهم عيسى: الذي نعطيه الخبز مصبغا في المرقة. ثم أعطاه ليهود اسقريوط وهو الذي خانه ودل اليهود عليه. وقال ماركوس في الفصل الرابع عشر (٢٠) من إنجيله إن عيسى قال لهم إن الذي

عام يشمل المترل وغيره كما بيّنه الشيخ اسماعيل الحقي في تفسيره المسمّى بروح البيان في سورة آل عمران عند قوله تعالى ﴿**قُلْ يَآ اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**﴾ * آل عمران: ٩٨) قال هم اليهود والنصارى سُمّوا بذلك لان الكتاب لا يختص بالمترل فنسبوا إلى ما كتبوا سواء كان من إلقاء الروح الأمين أو من تلقاء النفس انتهى. نقلا بعينه أو نقول سمّوا بذلك لانّهم يدّعون الايمان بالكتب المترلة من طرف الله تعالى بخلاف المشركين الذين ينكروها قاطبة. قال الشيخ عبد الله وقد ذكر النصارى في تواريخ كنائسهم انّ في الجيل الثاني والثالث قد وقع الجدال والخلاف بين الكنايس في صحّة نسبة هذه الكتب الى المذكورين فمنهم من نسبها اليهم ومنهم من نفاها عنهم لانّه قد اشتهرت كتب مزوّرة نيّفا واربعين كتابا باسماء الحواريّين ونُسِبَتْ اليهم زورا وكان كل واحد منها يسمّى بالانجيل كهؤلاء الاربعة ثم انّهم بعد التنازع والاختلاف انتخبوا منها هذه الاربعة وتركوا البواقي واحرقوها وكما اختلفوا في نسبتها اليهم فضلا عن عدم نسبتها الى سيدنا عيسي عليه السلام هم مختلفون ايضا في انّها على ايّة لغة ولسان الفت فترى كل طائفة منهم تدّعي تأليفها على لساها فمنهم من يقول الفت على اللسان اليوناني ومنهم من يقول بالعبراني وقائل آخر بالسرياني ومدّع آخر يمزج العبراني بالسرياني وفضلا عن هذا ترى كل واحد منها يكذب الآخر في رواياته ويناقضه ويخالفه مخالفة كثيرة بما لا يحصى كما هي واضحة عند اهل الدقة والفطانة فهذه الامور وغيرها تشهد على عدم كونها الكتاب المترل من عند الله تعالى اذ كلام الله متزّه عن التناقض والتخالف.

يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني. وقال متى في الفصل السادس والعشرين (٢٣) من إنجيله إن عيسى قال لهم: إن الذي يصبغ خبزه معي في صحفته هو الذي يخونني. وقال لوقا في الفصل الثاني والعشرين (٢١) من إنجيله إن عيسى قال: لهم إن الذي يخونني هو معي في التلاميذ. وهو اختلاف بين لم يتكرر منه هذا القول في مجالس حتى يزعمون أنه اختلف عبارته فيها وليس معنى قولهم متحدا فيكون كل واحد من الأربعة عبّر قوله بعبارة من عنده. بل تخصيصه ليهود اسقريوط متى ناول له الخبز مصبغا في المرقة يقتضي تعيينه وكشف أمره وبقية ما نقوله يدل على أنه ايهم شأنه وتناقض، دل على جميع الأربعة الذين كتبوا الأناجيل وبالله التوفيق.

ومن ذلك ما نقله متى في الفصل العشرين (٣٠) من إنجيله أن عيسى لما خرج من بلد جريكو (أريحا) ناداه مكفوفان اثنان وقالا له يا ابن داود ارحمنا وأنه فتح أعينهما هنالك. ومن ذلك ما قال ماركوس في الفصل العاشر (٤٦) من إنجيله أنه لما خرج عيسى من البلد المذكور ناداه مكفوف واحد وقال يا عيسى ارحمني ففتح عينه. ومعلوم من الإنجيل أن عيسى لم يمر بتلك البلدة إلا مرة واحدة فقد كذب متى في كونهما مكفوفين اثنين أو كذب ماركوس في كونه مكفوفا واحدا لأن القصة واحدة وفي إقرارهما بأن المكفوف نادى عيسى وقال له يا ابن داود، ونسبه إلى نسل البشر من الناس ما يكذب عقائدهم فيه فإن المكفوف ما قال له يا إله أو يا ولد الله أو يا خالق المخلوقات كما زعموا فيه وإنما قال له يا ابن داود فنسبه إلى نبي من الأنبياء الكرام ليشير أن نسب أمه مريم من هذا العنصر الطاهر وهو كذلك لأن مريم من ذرية داود ابن إيشا من سبط يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

ومن ذلك ما قال متى في الفصل السابع والعشرين (٤٤) من إنجيله إن عيسى المسيح صلب معه لصان فكان يشتمانه في حالة الصلب حاشا. وقال لوقا في الفصل الثالث والعشرين (٣٩) من إنجيله إن أحد اللصين هو الذي استهزأ بعيسى وقال له إن كنت المسيح حقا فخلص نفسك وخلصنا فزجره الآخر وقال له أما تخاف الله وما

تعلم أن الذي أصابه قد أصابك مثله وأنت وأنا نستحق ما فعل بنا وهو لا يستحق ثم قال للمسيح يا سيدي اذكرني في يوم مجيئك من ملكوتك فقال له المسيح أقول لك الحق إنك تكون معي ذلك اليوم في جنة الفردوس. وهذا الخلاف بين لأن متى أوجب على اللصين كلاهما النار لأنهما شتما المسيح ولوقا أوجب لأحدهما الجنة. وقد كذب في اصل قضية صلب المسيح وكفروا بذلك. ويوحنا الذي حضر بصلب المصلوب قال في إنجيله الفصل التاسع عشر (١٨) إن سارقين صُلبا معه أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره و لم يذكر أنهما قالا شيئا. وهذا تمام الاختلاف والاضلال.

ومن ذلك أن متى قال في الفصل الحادي والعشرين (٥) من إنجيله إن المسيح راكب دابة وهو سائر لبيت المقدس مثل ما قال فيه بعض الأنبياء ترون لكم سلطانكم جاءكم على دابة وقال ماركوس في الفصل الحادي عشر (٧) من إنجيله إن المسيح كان راكبا على جحش ابن دابة و لم يذكر أنه ركب الدابة. وقال لوقا في الفصل التاسع عشر (٣٠) من إنجيله إنه كان راكبا على دابة مثل ما قال ماركوس. وقال يوحنا في الفصل الثاني عشر (١٤) من إنجيله إنه كان راكبا على الجحش ابن دابة مثل ما قال ماركوس. وانظروا رحمكم الله إلى اختلافهم البارد وكذبهم الظاهر في قولهم إنه ركب الجحش وصغره لصغر سنه واذا كان كذلك كيف يركبه الإنسان؟

ومن ذلك أيضا ما قاله متى في الفصل العشرين (٢١) من انجيله إن مريم زوجة زبداي جاءت إلى المسيح وقالت له إن أولادي الاثنين يجلسان غدا معك في ملكوتك أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك. وقال ماركوس في الفصل العاشر (٣٥) من إنجيله إن ولدي خالة عيسى وهي مريم امرأة زبداي قالا له يا معلم نحب منك أن تنعم علينا بما نطلبك فيه. فقال المسيح: أي شيء تريدان؟ قالا له: أنعم علينا بأن نجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك. وأما لوقا ويوحنا فما ذكرا في إنجيلهما شيئا من هذه القصص عن الولدين ولا عن أمهما مع أن يوحنا كان ملازما للمسيح و لم يفارقه حتى رفع عليه السلام. وهذا من الاختلاف الركيك

فإن متى قال الأم طلبت ذلك وماركوس قال الولدان هما اللذان طلباه واصحابهما الآخرين خالفهما بعدم ذكر هذه القصة أصلا. ومن اختلافهم أيضا ما قاله متى في الفصل التاسع من إنجيله إن تلاميذ يحيى قالوا للمسيح لأي شيء نصوم نحن ويصوم الفريزيون وتلاميذك لا يصومون؟ وقال ماركوس في الفصل الثاني (١٨) من إنجيله إن الكتّاب والفريزيين قالوا للمسيح لأي شيء يصوم تلاميذ يحيى وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون؟ وإن السائلين والصائمين هم تلاميذ يحيى والنص الثاني فيه أن طائفة الكتاب والفريزيين هم القائلون بزيادة تلاميذ يحيى بن زكريا والكتاب معهم ولم يذكروا ما أنفسهم في صيام ولا إفطار.

ومن ذلك ما قال متى في الفصل الثالث من إنجيله إن يحيى يأكل الجراد والعسل فخالف قوله في الفصل الحادي عشر من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال لليهود جاءكم يحيى لا يأكل ولا يشرب فقلتم إنه مجنون وجاء ابن فيليوس معناه ابن إنسان يعني نفسه يأكل ويشرب فقلتم هذا إنسان كبير الجوف ويشرب الخمر. وهذا خلاف في كلام متى لأنه نفى عن يحيى الأكل والشرب في أحد نصيه وأثبت له أكل الجراد والعسل في النص الآخر. وغفل النصارى عن صريح الحجة عليهم في قول المسيح عن نفسه إنه ابن إنسان وإنه يأكل ويشرب الماء والخمر وهذا إقرار منه أنه إنسان ابن إنسان محتاج إلى مدد الغذاء وقوام بنية جسده بالطعام والشراب وهذا يكذب دعواهم فيه أنه إله فتعالى الله رب العالمين علوا كبيرا عن كفرهم.

ومن اختلافهم وصريح كذبهم على الله ورسوله ما قال يوحنا في الفصل الخامس (٣٧) من إنجيله إن المسيح قال لليهود إن أبي الذي أرسلني هو يشد لي ولا سمع قط أحد صوته ولا رآه. وهذا قريب إلى الصحة من قول المسيح، ثم خالفه متى في اللفظ والمعنى بالكفر الصريح وقال في الفصل التاسع عشر من إنجيله إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه بتروجاقموا ويوحنا الحواريون فلما استقروا فوق الجبل إذا بوجه المسيح يضيء كأنه الشمس فما قدروا ينظرون إليه وسمعوا صوت الأب

من السماء يقول هذا ولدي الذي اصطفيته اسمعوا منه وآمنوا به. وهكذا قال ماركوس في الفصل التاسع من إنجيله. وقال يوحنا في الفصل الرابع عشر (٧-٩) من إنجيله إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبي فقال له فليبو الحواري يا سيدي كيف رأينا الأب فقال المسيح يا فليبو لي معكم كثير وعرفتموني يا فليبو من رآني فقد رأى أبي. وهذا من الاختلاف الظاهر والكفر الفاحش. أما الاختلاف بين ما قاله يوحنا عن المسيح إن الذي أرسله يشد له يعني بصحة نبوته ورسالته ولا سمع أحد صوته ولا رآه وبين ما قاله يوحنا المذكور إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبي وعرفتموه ليس من رآني فقد رأى أبي، وكذلك قول متى في قصة عن جبل طابور وأن الثلاثة الذين كانوا مع عيسى سمعوا كلام الأب يعني رب العباد تبارك وتعالى عن قولهم وأنه قال لهم عن المسيح هذا ولدي الذي اصطفيته لنفسي، وحاشا الله أن يسمع مخلوقاته كلامه وتقدس عن الصاحبة والولد. فكيف يشهد لعيسى أنه ولده بل هذا من بهتانهم وجراءتهم على الله في الكذب عليه وعلى رسوله عيسى ومقصودهم بجميع هذه الأكاذيب ترويج عقائدهم في ألوهية المسيح وكونه ولد الله تعالى تعالى عن ذلك. ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته في التناقض وتخاذل النقل وتدافع اللفظ والمعنى من حيث يشعرون ولا يشعرون.

الباب السابع فيما نسبوا إلى عيسى من الكذب وانّ عيسى قد تبرّأ من جميع أقوالهم واعتقادهم

فمن ذلك ما قال لوقا في الفصل الثاني والعشرين (٣١) من إنجيله أن عيسى قال للحواريين الشيطان أراد فساد يقينكم ثم قال لبتروا منهم أنا أرغب من أبي لا يجعل للشيطان سبيلا على فساد يقينك ثم بتروا هذا كفر بعيسى وارتد عن دينه بعد أيام قليلة من إخبار عيسى له بأن الشيطان لا سبيل له على فساد يقينه وأن تلاميذ عيسى لم يكفر أحد منهم إلا بتروا هذا، فانظروا رحمكم الله إلى تناقض هؤلاء المخاذلين فيما ينقلونه عن رجل اعتقدوا فيه أنه نبي معصوم ومع ذلك هو إله وابن

إله حاشا فكيف يخبر عن شخص واحد من بين تلاميذه أنه سأل الله أن لا يجعل الشيطان سبيلا على فساد يقينه ثم يقولون إن التلميذ الذي خصه بهذا الدعاء هو الذي كفر وارتد وأفسد الشيطان دينه ويقينه من دون جميع التلاميذ هل يكاد أحد يجهل هذا التناقض مع الكفر في تجويز الكذب على الأنبياء ووقوع الخلف في إخبارهم وهذا كله من صريح أكاذيبهم على عيسى عليه السلام، وأنه والله العلي الأعلى ما قال شيئا من هذا الأضلال فنعوذ بالله من الخذلان.

ومن ذلك ما قال يوحنا في الفصل الخامس (١٩) من إنجيله إن المسيح قال لليهوج حقا أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو يصنع إلا ما رأى أباه يصنعه. ومن المعلوم بالقطع أن المسيح أكل وشرب وما رأى أباه يصنع شيئا من ذلك لأنه قدوس صمد لا إله إلا هو وحده، وأصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئا منه البتة.

ومن ذلك ما قاله يوحنا أيضا في الفصل السابع عشر من إنجيله إن عيسى عليه السلام تضرع إلى الله تعالى قبل موته حاشا وقال إلهي أنا أعلم أنك دائما تستجيب لي فأسألك أن تنجي تلاميذي من كل شيء في الدنيا والآخرة. ومعلوم بتواتر النقل عند جميع علماء النصارى أن تلاميذ عيسى أكثرهم ماتوا مقتولين بالسيف ثم صلب بعضهم وسلخ بعضهم وتعذبوا بأنواع العذاب وحاشا الله أن يسأل اللهَ تعالى رسولُه عيسى أن ينجي تلاميذه من كل شيء في الدنيا والآخرة ثم تنالهم هذه المثالة وقبائح الموتات فيوحنا هو الذي كذب على المسيح وأما أصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئا البتة.

ومن ذلك ما قاله يوحنا في الفصل الخامس عشر (٢٤) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال لولا أني أتيت من المعجزات بما لم يؤت به أحد قبلي ما كانت لهم ذنوب بقلة إيمانهم بي. وحاشا عيسى يقول هذا فإنه يعلم بالضرورة أن موسى عليه السلام أتى بمعجزات كثيرة عظيمة وكذلك إلياس وإليسع عليهما السلام كان قبل عيسى وكلاهما أحيا الموتى وإليسع أبرأ الأبرص كما أبرأ عيسى فكيف يزعمون أن عيسى قال أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد من قبلي؟ بل كذب يوحنا

وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئا من ذلك. وقال ماركوس في الفصل العاشر (٢٩) من إنجيله إن المسيح قال من ترك لوجهي دارا وجنانا أو غير ذلك فإنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة في الدنيا وفي الآخرة الجنة، وقال متى في الفصل التاسع عشر (٢٩) من إنجيله أنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة وله الجنة ولم يذكر الدنيا. وقال لوقا في الفصل الثامن عشر من إنجيله (٢٩-٣٠) إنه يأخذ أزيد مما ترك في الدنيا والجنة. وأما يوحنا فما ذكر شيئا من هذا وهذا كذب ظاهر على عيسى فإن خلقا كثيرين تركوا ديارا وجنانا ومتجرا وغير ذلك على يد عيسى ولا أخذوا قدر ما تركوا في الدنيا ولا قريبا من ذلك فعيسى لم يقل هذا ولكن كذبوا عليه.

ومن ذلك ما قاله متى في الفصل التاسع عشر (٣) من إنجيله إن الفريزيين قالوا للمسيح: هل يحل للإنسان أن يطلق امرأته على أقل مسألة؟ فقال لهم: أما قرأتم في التوراة إن الذي خلق الذكر والأنثى قال من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته ويكونان لحمة واحدة. وهذا كذب على عيسى وعلى التوراة فإن هذا الكلام ما قاله تبارك وتعالى ولكن حكته الكتب النبوية عن آدم عليه السلام لأنه حين نام خلق الله زوجته حواء من ضلعه فلما استيقظ ورآها قال من أجل هذه يترك الإنسان أباه وأمه ويكون مع زوجته لحمة واحدة. وحاشا عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة وهو كان يحفظ التوراة والإنجيل فما يقول إلا ما قال الله تعالى فيهما ولكن كذب عليه متى في هذا القول وأصحابه الثلاثة لم يقولوه.[١]

ومن ذلك ما قال يوحنا في الفصل الثالث (١٣) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال: ما يصعد إلى السماء إلا ما هبط منها. وهذا باطل وكذب على عيسى عليه السلام فإن في التوراة أن إدريس وإلياس عليهما السلام صعدا إلى السماء ولم يكونا هبطا منها في الأرض وعاشا إلى وقت صعودهما وفي الإنجيل أن عيسى عليه

---

(١) حاشية هذا غلط والغلط عند ترجمة التوراة باللاتين وبغير لسان النصارى لانّ فيها هذا القول هو مكتوب كقول آدم عليه السلام ولكن بالعبراني وعلى بيان علماء بني اسرائيل هذا القول ينسب الى التوراة يعني هو قول حقّاني.

السلام صعد إلى السماء و لم يكن هبط منها ونبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم قد صعد إلى السماء ليلة معراجه وما كان هبط منها فتبين كذب يوحنا في هذا على عيسى وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا ذلك. فإن قال قائل من النصارى إن عيسى قال وما عنى بذلك إلا الأرواح قيل له هذا مخالف التوراة والإنجيل فإن فيهما أن الأنبياء الذين صعدوا إلى السماء صعدوا مع أرواحهم مثل ما صعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن قالوا عيسى قال ذلك وعنى به أرواح البشر التي ماتت أجسادها فعند الموت تصعد الملائكة بها إلى السماء قلنا هذا احتمال يسقط مع الدليل والأصل في الألفاظ العموم والحقيقة حتى يثبت خلافهما والكفار لا تصعد أرواحهم إلى السماء بل تذهب إلى سجين فبطل ما قالوا وتبين كذبهم على عيسى. ومن ذلك ما قال متى في الفصل الحادي والعشرين (١٨-٢٠) من إنجيله إن عيسى عليه السلام أخذه الجوع وهو يمشي إلى الحواريين فرأى شجرة تين قرب محجة الطريق فقصدها ليأكل منها فما وجد فيها ثمرة فدعا عليها فيبست من ساعتها. ونقل ماركوس في الفصل الحادي عشر (١٣) من إنجيله هذا الخبر وزاد فيه أنه لم يكن فصل التين. فانظروا رحمكم الله كيف نسبوا إلى نبي أنه يلتمس التين من أشجار الناس في غير فصله وهذا لا يفعله الصبيان والمجانين ثم قالوا دعا عليها فيبست وليس لها ذنب تستحق به العقوبة ولا يخلوا أن يكون ملكا لمالك أو مباحة لكل من مر بها فإن كانت ملكا لمالك فإن عيسى على زهده وورعه ما جاء إليها بطلب الأكل إلا بإذن مالكها لأن الشرائع متفقة على منع ذلك، وإن كانت مباحة للناس فلا يدعو عليها باليبس حتى تنقطع منفعة الناس منها لأنه هو وجميع الأنبياء عليهم السلام جيدهم الله على منفعة الخلق ومصلحتهم لا على عكس ذلك. فتبين كذب متى وماركوس فيما نسبوا إليه من هذه القصة.

الباب الثامن فيما يعيبونه النصارى على المسلمين أعزهم الله

فمن ذلك إن الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف أهل الرهبانية من

النصارى. فيقال لهم إنكم متفقون في دينكم على أن داوود عليه السلام كان نبيا ملكا ومنزلة النبي أعلى من مرتبة الولي بالإجماع منا ومنكم وفي التوراة أن داود عليه السلام تزوج بمائة امرأة وولد منهن أزيد من خمسين ولدا ذكورا وأناثا، وسليمان عليه السلام تزوج ألف امرأة كما ثبت في التوراة وأنتم تعتقدون أن التوراة حق نزلت من عند الله وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام تزوجوا وولدوا إلا عيسى ويحيى بن زكريا عليهم السلام. وفي التوراة يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر ما يقدر عليه من نفقتهن وكسوقمن. وأنتم يا معشر النصارى لم تأذنوا في التزويج بما شرعه الله في التوراة وفي الإنجيل وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس الذي زعم أوائلكم أنه بمنزلة ولي، وبولس هو الذي أمركم أن لا يتزوج الرجل غير امرأة واحدة فإن ماتت عوضها بأخرى إلى ثلاثة وأمركم أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكرا لا ثيبا فإذا ماتت حرم عليه التزويج. وقد تبين أن دينكم في التزويج على البطلان وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتقدون في ذلك على هذا أو يعيبون على أولياء المسلمين ما هم يفعلون في التزويج فأما علماؤكم يعلمون أن ذلك حلال منصوص في الكتب. وأهل الإسلام من الله عليهم بالحنيفية السمحة التي لا مشقة عليهم فيها وقال لهم نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم: **(تناكحوا تناسلوا)** الحديث. فهم في التناكح والتناسل مثابون لأجل امتثالهم في ذلك أمر نبيهم صلّى الله عليه وسلّم.

ومما يعيبونه النصارى على أهل الإسلام الاختتان. فيقال لهم إن عندكم في الإنجيل أن عيسى عليه السلام كان مختونا ويوم ختانته هو عندكم من أكبر الأعياد فكيف تنكرون على المسلمين أما أنتم تعظمون أمر نبيكم ثم إنكم تعتقدون أن إبراهيم عليه السلام وجميع الأنبياء كانوا مختونين وأن الله تبارك وتعالى أمرهم بالختان كما هو في التوراة. فالعيب عندكم والإثم عليكم لأنكم تركتم سنة نبيكم في الختان وخالفتم جميع الأنبياء ثم تعيبونه. وكل من عاب فعل الأنبياء فيما شرعوا فقد كفر بالله وبأنبيائه.

ومما يعيبونه على المسلمين اعتقادهم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون. فيقال لهم كيف تنكرون ذلك وقد قال متى في الفصل السادس والعشرين (٢٩) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو يتعشى في الليلة التي أخذته اليهود على زعمهم إني ما بقيت أشرب شرابا بعد هذا إلا في الجنة. وهكذا قال ماركوس في الفصل الرابع عشر من إنجيله (٢٥) وقال لوقا في الفصل الثاني والعشرين (٣٠) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال للحواريين إنكم تأكلون وتشربون معي على طابلة في الجنة. (وعلماء النصارى يعلمون أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة المنهية عنها في الجنة هو وامرأته حواء وكان ذلك سبب هبوطهما إلى الأرض. وهذا منصوص في التوراة والإنجيل) فكيف ينكر جهالهم أن لا يكون في الجنة الأكل والشرب وهم مؤوّلون في هذا على أن كل من أكل وشرب لابد له من فضلة بول وغائط، والجنة مطهرة من ذلك وما علموا أن نبينا محمدا صلّى الله عليه وسلّم الحكيم الأكبر أخبرنا بأن ما يأكل أهل الجنة ويشربون يخرج عليهم رشح أي عرق رائحته كرائحة المسك وأنهم لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يبولون ولا يتغوطون. وأجمعت الكتب والرسل على أن في الجنة من أنواع الفواكه ولحوم الطير وغيره ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين وكل من دخلها وحرم به من هذه اللذات فهو معذب نكد العيشة، نعوذ بالله من اعتقاد ذلك لأن اعتقاد ذلك يؤدي إلى ما تقول به الملاحدة من أن نعيم الجنة بعد الموت إنما هو بالأرواح لا بالأجساد لأنهم ينكرون بعثة الأجساد. والنصارى إن لم يصرحوا بهذا فقد لزمهم القول بأن الأرواح هي التي تتنعم في الجنة وأما الأجساد فلا نعيم لها بالغذاء الذي جعل الله قوامها به. وهذا خلاف المعقول والمنقول.

ومما ينكرونه أيضا على المسلمين في قولهم في الجنة قصور ويواقيت وغير ذلك. فيقال لهم إن عندكم في الكتاب المسمى بنوار القدسيين في قصة جوان [أي يوحنا] الإنجيلي أنه مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام ومركب

كبير فذكرهما بالنار وهددهما حتى تركا ما كانا عليه وتبع جوان المذكور وتصدقا بمالهما على خدامهما فلما كان بعد مدة مر خدامهما في زي عظيم ومركب وخدام فحزنا وندما على ما فاتهما من نعيم الدنيا واشتد ذلك عليهما ففهم ذلك جوان وقال لهما ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من نعيم الدنيا؟ فقالا نعم ما وجدنا عن ذلك صبرا. فقال لهما فاذهبا فإتياني بأحجار الوادي فأتيا بها، فأدخلها تحت ثوبه ثم أخرجها وهي كلها يواقيت نفيسة فقال لهما اذهبا إلى السوق فبيعاها ثم اشتريا بثمنها أكثر مما كان لكما ولكن لا نصيب لكما في الجنة فأنكما بعتما نصيبكما منها بهذا العاجل الفاني. فبينما هم في ذلك إذا بقوم أتوا بميت ورغبوا من جوان المذكور أن يحييه فقال قم يا هذا الميت بإذن الله تعالى فقام الميت فقال له جوان أخبر هذين الرجلين عن ما فاتهما من نعيم الجنة فقال لهما ذلك الذي كان ميتا قد كانت لكما في الجنة قصور مبنية باليواقيت على كل لون طول كل قصر منها كذا وكذا. فلما سمعا الشابين هذا تابا وتركا كل شيء واتبعا جوان على دين عيسى حتى أتاهما اليقين. وعندكم أيضا في الكتاب المذكور أن فلاريّان وهو عندكم من الصالحين القدسيين الكبار كانت الملائكة تأتيه كل يوم بطعام من الجنة في أطباق الذهب وعليها مناديل الحرير وفوق المناديل نوار مختلفة الألوان فكيف تنكرون أن لا تكون في الجنة آلات الذهب وثياب الحرير والطعام وهذه القصة حجة عليكم سوى ما نقلته الكتب النبوية من ذلك واتفق على صحته جميع العقلاء الشرعيين ولكنكم قوم تجهلون. وفي الكتاب المذكور أيضا في قصة سننتون أن الملائكة كانت تأتيه كل يوم بقدر ما يقوم به من الغذاء بكرة وعشية من طعام أهل الجنة المختلف الألوان وأنه أتاه رجل صالح عندهم قدسي كبير يعرف بباولس فأتته الملائكة في ذلك اليوم بأضعاف ما كانت تأتيه كل يوم من طعام الجنة في أواني الذهب وعليها مناديل الحرير. وفي كتبهم من هذا كثير ولكن تركته خوف التطويل.

ومما يعيبونه على المسلمين أيضا تسميتهم بأسماء الأنبياء عليهم السلام فيقال

لهم كيف تنكرون علينا ذلك ونحن قد سمينا بأسماء الأنبياء تبركا بذلك وهم من جنس بني آدم. وكيف لا تنكرون على أنفسكم حيث تسمون بأسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحو ذلك ولا جواب لهم قطعا وبالله التوفيق.[١]

([١]) حاشية والقول عموميا عند النصاري واكثريا عند كتّاب الفرنساويين انّ قبل زمان عيسى عليه السلام حال النساء كان ذليلا ومذموما وهنّ بالعبودية وانّ تأسس دين النصرانية بدل ذلك وكان حال النساء معزّز ومكرّم وهنّ بالحرورية وعلى قول البعض من الافرنج العبادة الى مريم عليها السلام كان سبب ذلك نعوذ بالله من الشرك وهذا قولهم ناقص من وجهين اوّلا ليس هو صحيح لانّ كتب الانبياء وكتب تواريخ بني اسرائيل وتواريخ رومة وسائر دول المتقدمين يذكرون حراير في منزلة العزّة والاكرام وثانيا شريعة عيسى عليه السلام لا بدل شيء في حال النساء بل پتروس اي شمعون وپولوس الحواريين امرها بالطاعة الى زوجها ومنعها عن الاخذ بالكلام في الكنايس ومن الاقامة في الكنايس رأسها مكشوفا وبعد لو كان احسان كامل حرورية النساء الافرنج بالتكلم مع الرجل الذي ليس هو من اقاربها ذلك العادة لا يجري من دين النصرانية بل هو مأخوذة من عادات القبائل النمساويين المتقدمين الذين غلبوا دولة رومة وبعد ذلك حكموا على اكثر بلاد الافرنج وكتم الوجه وعدم المكالمة بين النساء والرجال كما عند المسلمين ليس هو عبودية بل للتملع من السيّئات ولدفع الذنوب عن الناس وقص على ذلك قول المسيح على نص متّى في فصل الخامس والسطر (٢٨) من انجيله كل من نظر الى امرأة الى ان يشتهيها فقد ارتكب الزنا معها في قلبه. وقولهم في هذا هو فارغ كلام فهذا منهم كفر وجحود لكتابهم الذي نظرته تأمّل. حاشية ومما يعيبونه النصارى على اهل الاسلام الذبح ويقولون ان اكل اللحم مخنوقا كان او مذبوحا لا فرق في ذلك ويضحكون كثيرا عن تطويل العلماء في بيان الذبح الاختياري والذبح الاضطراري والحال انه ما ارتكبوه من اكل المخنوق فهو حرام عليهم كما هو على المسلمين وذلك مبيّن في الفصل الخامس عشر بالسطر (٢٨-٢٩) من قصص الحواريين لانه قد حصلت مباحثة واختلافا بين النصارى في تمسكهم بشريعة موسى عليه السلام او تركهم اياها ثم عقد مجلس بين الحواريين واوائل النصارى في هذا الخصوص وهذه تسمّى بالمجلس او المشورة الاولى وقد كتب المجلس المذكور اوراقا للنصارى الذين في بلد انتاكية وسائر الممالك بناء على نصيحة يعقوب او جاكموا الحوار وهذه الاوراق احتوت على هذا التنبيه. انه رأى روح القدس ونحن ايضا ان لا نضع عليكم ثقلا ازيد من هذا الذي لابد منه ان تمتنعوا عما ذُبح للاصنام والدم والمخنوق والزنا فاذا انتم حفظتم انفسكم من هذا فنعم ما تصنعون كونوا معافين. واذا قال قائل من النصارى هذا شيء اكل الدم والمخنوق هو شيء غاية صغير يقول لهم كيف نهى عن ذلك وعن الزنا في سطر واحد وكذلك في الكتاب الاوّل من التوراة في الفصل التاسع وفي السطر (٤-٥-٦) ان الله تبارك وتعالى قال لنوح عليه السلام انه يحرم على الناس اكل الدم لان الدم هو الحياة ويحرم قتل النفس وجزاء القاتل القتل وبعده لا يجوز للمخلوقات ان يفرقوا بين ما هو حرام عليهم ولا يجب القول بان هذا كبير وذلك صغير والاختيار بالطاعة لهذا والمعصية لذلك.

الباب التاسع في ثبوت نبوة سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم بنص التوراة والإنجيل والزبور وتبشير الأنبياء ببعثته وبقاء ملته إلى آخر الدهر صلى الله عليه وعليهم أجمعين

اعلموا رحمكم الله أن ثبوت نبوة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم ثابتة في كل كتاب أنزله الله تعالى وجميع الأنبياء قد بشروا به. فمن ذلك ما في الفصل السادس عشر (٧-١٢) من الكتاب الأول من التوراة فإن التوراة خمسة كتب واجمعت في سفر واحد وذلك أنّ هاجر لما هربت من سارة زوجة إبراهيم رأت في تلك الليلة ملكا من الملائكة فقال لها: يا هاجر ما تريدين ومن أين أقبلت؟ قالت: هربت من سارة. قال: ارجعي إليها واخضعي لها فإن الله تعالى سيكثر ذرّيتك وعن قريب تحملين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل لأن الله قد سمع خشوعك ويكون ولدك عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ويكون أمره في معظم الدنيا. انتهى نص التوراة. ومعلوم أن إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا متصرفين في معظم الدنيا وإنما الإشارة بذلك لعظيم ذريته وهو نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لأن دين الإسلام عَلاَ عَلَى أهل الأرض وأكثر معمورها وترفت أمته في مشارق الأرض ومغاربها وهذا الأمر يعرفونه علماء اليهود وجماهيرهم ولكنه يكتمونه عن عوامهم.

ومن ذلك ما في الفصل الثامن عشر (١٨) من كتاب الخامس من التوراة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبيّا مثلك من بني إخوتهم وكل نبي بعث بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام فلم يبق أن يكون من بنى إخوتهم إلا نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنه من ولد إسماعيل وإسماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم وإسحاق جد بني إسرائيل. فهذه هي الأخوة التي ذكرت في التوراة. ولو كانت هذه البشارة بنبي من أنبياء بني إسرائيل لم يذكر أخوتهم معنى. واليهود أجمعوا على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل بعد موسى لم يكن فيهم مثله. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشر خاص من تتبعه الأمم

بعده وهذه هي صفة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنه من بني العرب بني إسماعيل وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع تبعته عليها الأمم فهو كموسى من هذه الحيثية وأفضل منه ومن جميع الأنبياء والمرسلين.[١]

ومن ذلك ما في الفصل الثالث والثلاثين (٢) من الكتاب الخامس من التوراة أن الرب تعالى أقبل من طور سيناء وطلع إلينا من ساعير وظهر من جبال فاران يعني مكة وأرض الحجاز[٢] فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض مكان الحجاز وتخومه الفاران فتسمى القطر باسمه في التوراة. جاء الله من طور سيناء يريد بمجيئه ظهور دينه وتوحيده تبارك وتعالى بما أوحى إلى موسى بطور سيناء وطلع من ساعير يعني جبلا من الشام به كان ظهور دين عيسى عليه السلام وظهر من جبال فاران يريد بما أوحا الله تعالى من دين الإسلام بمكة والحجاز إلى نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله إن رايات[٣] القدسيين معه وعن يمينه فالقدسيون هم الرجال الأولياء الصالحون والمراد بهم هنا أصحاب نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنهم هم الذين كانوا معه وعن يمينه و لم يفارقوه قط رضي الله عنهم.

ومن ذلك ما اتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة أن عيسى عليه السلام قال للحواريين حين رفع إلى السماء إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه بارقليط. وهذا الإسم الشريف باللسان اليوناني

([١]) حاشية واذا قالت النصارى ان هذا قول التوراة لا يقع على محمد صلّى الله عليه وسلّم بل على عيسى عليه السلام فهذا يردّ عقيدتهم في الوهية عيسى عليه السلام لأنّ مماثلة موسى عليه السلام لعيسى او عيسى له تنافي الوهية عيسى عليه السلام فثبت انه محمد صلّى الله عليه وسلّم وليس هو عيسى لكونهم يعتقدون بانه اله فان قالوا إنه عيسى كفروا عند احبارهم وعندنا وان قالوا محمد ايضا كفروا عند احبارهم وثبت ايمانهم وعلى كل حال فلا محيص الاّ أن يقولوا هو محمد صلّى الله عليه وسلّم.

([٢]) حاشية الحجاز باتفاق اهل الكتاب ولذلك عندهم ان اسماعيل وهاجر كانا برية فاران وهما كان بمكة المكرمة فظهورها منها تعالى ظهور الرسالة المحمدية الى جميع البرية وقوله بعد ذلك معه ربوات الاظهار عن يمينه وهم اصحابه وهذا نص ظاهر يقوي جميع ما تقدم ويزيد بيانه ويعين المراد به بحيث صار كالشمس.

([٣]) حاشية رايات او ربوات

وتفسيره بالعربية أحمد كما قال الله تعالى في كتابه العزيز (**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَاْتِي مِنْ بَعْدِي اِسْمُهُ اَحْمَدُ** * الصف: ٦). وهو في الإنجيل باللاتيني براكلتس. وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي.

وقال يوحنا في الفصل الرابع عشر (٢٦) من إنجيله إن عيسى عليه السلام قال البارقليط الذي يرسله ابي في آخر الزمان وهو يعلمكم كل شيء. فالبارقليط هو نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو الذي علّم الناس كل شيء بما أوحى الله إليه من القرآن العظيم الذي فيه علوم الأولين والآخرين وما فرط الله فيه من شيء كما قال تعالى جل ذكر. ولم يظهر بعد المسيح نبي مرسل بهذه الصفة غير محمد صلّى الله عليه وسلّم فهو المراد بهذه البشارة الجليلة.

ومن ذلك ما قال يوحنا في الفصل السادس عشر (١٣) من إنجيله إن المسيح قال البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي ما يقول من تلقاء نفسه شيئا ولكن يناجيكم بالحق كله ويخبركم بالحوادث والغيوب.[١] وهذه صفة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم بالأخبار المتواترة بحيث لا ينكرها إلا كل مخذول مطرود عن أبواب رحمة الله تعالى. فأما كونه لا ينطق عن الهوى إلا بوحي يوحى فهذا يشهد الله به فلا خلاف فيه كما قال الله تعالى: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * اِنْ هُوَ اِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** * النجم: ٣-٤). وأما إخباره بالحوادث والغيوب فباب واسع جمعت فيه كتب وهو بحر لا يحيط بساحته. وفي الكتاب للسيد الفقيه الإمام حجة الإسلام أبي الفضل عياض[٢] ما فيه

---

(١) حاشية وفي كتاب بالانكيزية لفظة براكليت التي بالانكليزية يُترجم بتسلّي ومعناه معين وهذه غير الكلمة اليونانية التي هي بمعنى احمد مع ان الفرق حرف واحد وهذه الكلمة لا توجد الاّ في ما حرره يوحنا وهي في الاوراق الأولى ليوحنا في الفصل الثاني(!) ولا يترجم هنا بتسلّي ولكن بشافي او شفيع وفي هذه القصة لا ينص الروح القدس ولكن عيسى عليه السلام ولذلك معلوم ان الذين هم ترجموا الاناجيل ورسائل الحواريين لم يكونوا يعرفوا معناه صريحا وهذا السطر المذكور. يا أولادي اني اكتب اليكم بهذه لكيلا تخطئوا وان خطئ احدكم فانّ لنا عند الاب شفيعا عيسى المسيح العادل.

(٢) القاضي عياض توفي سنة ٥٤٤ هـ. [١١٤٩ م.] في مراكش

مقنع واعتبار لأولي الأبصار. وأما ثبوت نبوته صلّى الله عليه وسلّم من كتب الأنبياء المتقدمين عليهم السلام فمن ذلك ما قال داود عليه السلام في الزبور في الفصل الثاني والسبعين إنه يملك من البحر إلى البحر ومن لدى الأنهار إلى مطلع الأرض وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا ويسجد له الملوك وتدين له الطاعة والانقياد ويصلى عليه في كل وقت ويبارك في كل يوم وتنور أنواره المدينة ويدوم ذكره إلى أبد الأبد واسمه موجود قبل وجود الشمس. وهذه كلها صفات نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم والوجود يشهد له وكل من دفع هذه عنه فلا يجد في العالم أحدا يستحقها وإن ادعاها مدع لغيره من الأنبياء كان هو مجاهرا بالبهتان. ثم لا أعلم أحدا من الأنبياء سوى داود النبي نسبت إليه هذه الصفات الجليلة وهو قبل نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلماء اليهود يعلمون أنها صفاته الذاتية له ولكنهم يكتمون ذلك لما ثبت لهم في الأزل.

ومن ذلك ما قال النبي أبقوق في الفصل الثالث (٣) من كتابه في آخر الزمان يجيء الرب من القبلة والقدس من جبال فاران. ومجيء الرب تبارك وتعالى مجيء وحيه والقدس هو نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم ظهر من جبال فاران هي مكة وأرض الحجاز.

ومن ذلك ما قال النبي ميشا عن أي ميخا في الفصل الرابع (١-٢) من كتابه في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة وتختار الجبل المبارك ليعبدوا الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الواحد ولا يشركوا به شيئا. وهذا هو جبل عرفات بلا شك والأمة المرحومة هي أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم فالاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجاج بعرفات وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم.

ومن ذلك ما قال النبي بيشعية أي ايشعيا في الفصل الثاني والأربعين من كتابه إن الرب سبحانه يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين ويحكم بالحق بين الناس

وهو نور يخرجه من الظلمات التي كانوا عليها رقود عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون. وهذا رحمكم الله صفات نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم واضحة لأنه هو الذي بعثه الله في آخر الزمان بعد أن اصطفاه لنفسه وجعله حبيبه وخليله من خلقه وبعث له الروح الأمين جبريل يعلمه دينه وهو وحي القرآن والسنة وشرائع الإسلام وقد بلغ صلّى الله عليه وسلّم كل ما أمر بتبليغه وهو معنى قول هذا النبي وهو الذي علّم الناس ما علّمه الروح الأمين. وكان يحكم بين الناس ويمشي بالحق بينهم بالعدل فإن كل ما أمر به ودعى إليه ونهى عنه أجمع أهل العقول واولوا العلم الفحول على عدله وصوابه في المأمورات والمنهيات، وما أنكره وكفر به من كفر إلا عنادا وإستكبارا ومكابرة للعيان وتخبطا في حبال الشيطان بمحتوم الخذلان. والنور الذي أخرج من الظلمات هو القرآن العظيم الذي أنزله الله عليه وكلام هذا النبي بيشعية من أبين الأدلة وأوضح البراهين على ثبوت نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم

ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين لطال الكتاب وأنا أرجو من الله تعالى أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتابا فردا على وجه التفصيل

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين.

انتهى

سنة ١٢٩٠ هـ. [١٨٧٣ م.]

تفسير روح البيان

تأليف

الإمام العالم العامل الكامل الشيخ

إسماعيل حقي[١]

البروسوي نور الله ضريحه

بجاه سيد المرسلين المتوفى في سنة ١١٣٧ هـ.

---

(١) العلامة اسماعيل حقي توفي سنة ١١٣٧ هـ. [١٧٢٥ م.] في بروسه

نبذة من الجلد الثاني من تفسير روح البيان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ يَا أهل الْكِتَابِ) هم اليهود والنصارى سموا بذلك فان الكتاب لا يختص بالمترل فنسبوا إلى ما كتبوا سواء كان من إلقاء الروح الأمين أو تلقاء النفس (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ) توبيخ وإنكار لا يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلّى الله عليه وسلّم (وَاللهُ شَهِيدٌ على مَا تَعْمَلُونَ) حال من فاعل تكفرون والمعنى لأيّ سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية. (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أي تصرفون (عن سبيل الله) أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الإسلام (من آمن) مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته صلّى الله عليه وسلّم ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم (تبغونها) بحذف الجار وايصال الفعل إلى الضمير أي تبغون لها لان البغي لا يتعدي الا إلى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث أي تطلبون سبيل الله التي هي اقوم السبل (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون. والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعاني والمفتوح بالاعيان تقول في دينه وكلامه عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح (وانتم شهداء) حال من فاعل تصدون باعتبار

تقيده بالحال الاولى أي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اخلال (وما الله بغافل عما تعملون) أي من الصد عن سبيل وكتمان الشهادة لنبيه. ولما وبخ أهل الكتاب بصد المؤمنين نهي المؤمنين عن إتباع هؤلاء الصادين فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا) طائفة وانما خص فريقا لان منهم من آمن (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير.

قال عكرمة نزلت في شاس ابن قيس اليهودي رأى منتدى محتويا على زخام من اوس وخزرج فغاظه الفتهم فارسل شابا ينشدهم اشعار يوم بغاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للاوس فنعر عرق الداء الدفين فتشاجروا فاخبر النبي عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم.

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) إنكار وتعجب (وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللهِ) أي القرآن (وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان القرآن المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضا طريا وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول عن الايمان والدخول في الكفر مع تحقق هذه الامور ابعد واعجب (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ) أي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فَقَدْ هُدِيَ) جواب الشرط. وقد لإفادة معنى التحقق كأن الهدي حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدي كما ان قاصد الكريم متوقع للندا أي وفق وارشد (إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) موصل إلى المطلوب.

واعلم ان ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن من الزهد في الدنيا والورع والتقوى ونهي النفس عن الهوى وايثار ما يفني على ما يبقي والاعراض عن الخلق والتوجه إلى الحق وبذل الوجود لنيل المقصود والله شهيد على

ما تعملون حاضر معهم ناظر إلى نياقم في اعمال الخير والشر فيجازيهم بها وهم يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعوهم بحسن الظن ويحسبون ان اعمالهم واحوالهم على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحق الذي امر الانبياء بدعوة الخلق اليه وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير في طريق الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله (يا ايها الذين آمنوا) الآية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بعد الايمان بالاتباع بسيرقم وهواهم قال تعالى (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه وذلك لان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية وشاهد الخشية موافقة الامر. واما العلم الذي تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث وما مثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء الا كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها:

ترك دنيا بمردم آموزند * خويشتن سيم وغله اندوزند

عالمى راكه گفت باشد وبس * چون بگو بد نگيرد اندركس

عالم آنكس بود كه بد نكند * نه بگويد بخلق وخود نكند

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدي ومساجدهم عامرة بابدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود**) وعن فضيل بن عياض[١] بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان.

فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم

---

(١) فضيل بن عياض توفي سنة ١٨٧ هـ. [٨٠٣ م.] في مكة المكرمة

فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك طريق الاخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك بالتوحيد الحقيقي حتى يهتدي إلى الصراط المستقيم فمن انقطع اليه بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله فلا يصده عنه احد ولا يضره شيء ولا يضله كيد عدوه وشره فان من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه وناصره وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على ان يأخذ بيد عبده ويوصله إلى مراده واذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الاجابة البتة فان من طلب وجدّ وجد ومن قرع بابا ولَجّ ولج عصمنا الله واياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الامارة بالسوء كل آن آمين يا مستعان

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ) الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة (حَقَّ تُقَاتِهِ) أي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوها فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا (وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال أي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه فهو في الصورة نهي عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الإسلام.

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ) أي بدين الإسلام أو بكتابه فلفظ الحبل مستعار لاحد هذين المعنيين فان كل واحد منهما يشبه الحبل في كونه سببا للنجاة من الردى والوصول إلى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان تزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب طريق زلق ودواعي الضلال عنها متكثرة زلق رجل اكثر الخلق فيها. فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدي إلى صراط مستقيم وامن من الغواية المؤدية إلى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم (جَمِيعًا) حال من فاعل اعتصموا أي

مجتمعين في الاعتصام (وَلاَ تَفَرَّقُوا) أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) متعلق بنعمة (إِذْ كُنْتُمْ) ظرف له أي اذكروا انعامه عليكم وقت كونكم (أَعْدَاءً) في الجاهلية بينكم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة. وقيل هم الاوس والخزرج كانوا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بتوفيقكم للإسلام (فَأَصْبَحْتُمْ) أي فصرتم (بِنِعْمَتِهِ) التي هي ذلك التألف (إِخْوَانًا) خبر اصبحتم أي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق (وَكُنْتُمْ على شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها تمثيل لحياقم التي تتوقع بعد الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها (فَأَنْقَذَكُمْ) أي خلصكم ونجاكم بان هداكم للإسلام (مِنْهَا) أي الحفرة (كَذَلِكَ) اشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي مثل ذلك التبيين الواضح (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ) أي دلائله (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) طلبا لثباتكم على الهدي وازديادكم فيه. والاشارة ان أهل الاعتصام طائفتان. احداهما أهل الصورة وهم المتعلقون بالأسباب لان مشربهم الاعمال. والثانية أهل المعنى وهم المنقطعون عن الأسباب لان مشربهم الاحوال فقال تعالى لهم (واعتصموا بالله هو مولاكم) أي مقصودكم. وقال للمتعلقين بالأسباب (واعتصموا بحبل الله جميعا) وهو كل سبب يتوسل به إلى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب إلى الله باعمال البر ووسائط القربة واذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فانه سبب للتفرق في الظاهر والباطن. فاما في الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنا من كان. واما في الباطن فيظهر منه الاهواء المختلفة التي توجب تفرق الامة كما قال عليه السلام (**ستفترق امتي اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة**) قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال (**من كانوا على ما انا عليه واصحابي**).

واعلم انه تعالى امر المؤمنين اولا بالتقوى وثانيا بالاعتصام وثالثا بتذكر النعمة لان فعل الانسان لا بد وان يكون معللا اما بالرهبة واما بالرغبة والرهبة متقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما ان التخلية قبل التحلية فقوله (اتقوا الله حق تقاته) اشارة إلى التخفيف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله ثم اردفه بالرغبة وهي قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) فعلى العاقل الانقياد لامر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق في الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ما قيل:

متقى را بود چهار نشان * حفظ احكام شرع اول دان

ثانيا آنچه دست رس باشد * بر فقيران و بيكسان بخشد

عهدرا با وفا كند پيوند * هرچه باشد ازان شود خرسند

وهذا معنى قول الشيخ النصرآبادي علامة المتقي اربعة. حفظ الحدود. وبذل المجهود. والوفاء بالعهود. والقناعة بالموجود قال القشيري رحمه الله[١] حق التقوى أن يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص. وحق التقوى اولا اجتناب الزلة. ثم اجتناب الفضلة. ثم التوقي عن كل خلة. ثم التنقي عن كل علة فاذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى. فمن بقي فيه شيء من اثر الوجود فقد اشرك شركا خفيا و لم يصل إلى حقيقة الشهود.

حضورى گر همى خواهى ازوغائب مشو حافظ * متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

قال ابو مدين رحمه الله[٢] شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار اليه بالجذبات الالهية على قدم التحقيق وطار بتجلي الصفات الربانية وجناح التوفيق.

قال سهل رضي الله عنه ليس للعبد الا مولاه واحسن احواله ان يرجع إلى

---

(١) عبد الكريم القشيري توفي سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.]

(٢) ابو مدين شعيب المالكي توفي سنة ٥٩٤ هـ. [١١٩٧ م.]

مولاه اذا عصى قال يا رب استر عليّ فاذا ستر عليه قال يا رب تب عليّ فاذا تاب قال يا رب وفقني حتى اعمل فاذا عمل قال يا رب وفقني حتى اخلص فاذا اخلص قال يا رب تقبل مني فعلى العاقل ان يتمسك بهذا الحبل المتين.

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ) أي لتوجد منكم (أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ) جماعة داعية إلى الخير أي إلى ما فيه صلاح ديني ودنيوي فالدعاء إلى الخير عام في التكليف من الافعال والتروك ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله فقال (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) وهو ما استحسنه الشرع والعقل وهو الموافقة (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة (وَأُولَئِكَ) الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والافراد في كاف الخطاب لان المخاطب كل من يصلح للخطاب (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي هم الاخصاء بكمال الفلاح. وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه ثم ان من في قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب إلى الكل مع اسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره الا تماديا أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم. وقيل من للتبيين وكان ناقصة أي كونوا امة يدعون الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة.

عن النبي عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال (**آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم**) وقال عليه السلام (**من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه**) وعن

حذيفة (**يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**) وعن سفيان الثوري[١] اذا كان الرجل محبا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في اسفلها وصار بعضهم في اعلاها فكان الذي في اسفلها يمر بالماء على الذين في اعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر اسفل السفينة فأتوه فقالوا ما لك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان اخذوا على يديه انجوه وانجوا انفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكو انفسهم**) قال صلّى الله عليه وسلّم (**ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه**) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يحشر يوم القيامة ناس من امتي من قبورهم إلى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون**) فلا بد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء عليهم السلام**) قالوا يا رسول الله كيف قال (**لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر**) ثم الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب.

واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهي بعد معرفة المنهي عنه ان لا يكون ما ينهي عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن المعاودة إلى مثله وان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه ان انكر لحقته مضرة عظيمة. فان قلت كيف يباشر الإنكار قلت يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى إلى الصعب لان الغرض كف المنكر قال تعالى (فأصلحوا بينهما) ثم قال

---

(١) سفيان الثوري توفي سنة ١٦١ هـ. [٧٧٨ م.] في البصرة

(فقاتلوا) والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الإنكار لانه معلوم قبحه لكل احد.

واما الإنكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها. فان قلت فمن يؤمر وينهي قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهي الصبيان عن المحرامات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليمرنوا عليها والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه والإنكار لا يجب فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما قال النبي عليه السلام (**ان الله ليؤيد هذا الدين بأهل الفسوق**) والتوبيخ في قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر. وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا. وعن بعض الصحابة ان الرجل اذا لم يستطع الإنكار على منكر رآه فليقل ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر واذا فعل ذلك فقد فعل ما عليه.

كرت نهى منكر بر آيد زدست * نشايد چوبى دست وپايان نشست

چو دست وزبانرا نماند مجال * همت نمايند مردى رجال

يعني اذا لم يستطع ان يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فان الرجال يرون الرجولية بالهمة ويتضرعون إلى الله في دفع ما لا يقدرون على دفعه والاشارة في الآية ان الامة التي يدعون إلى الخير بالافعال دون الاقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون من وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه والذي يدل عليه ما روى اسامة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال سمعته يقول (**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتنزلق اقتابه في النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه**) والداعي إلى الخير في الحقيقة شيوخ الطريقة فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يكون للانسان بحسب النوع من معرفة الحق والوصول اليه كما

كان للنبي عليه السلام والإضافي ما يتوصل به إلى المطلق فالخير المدعوّ إليه إما الحق وإما طريق الوصول إليه والمعروف كل ما يقرب اليه والمنكر كل ما يبعد عنه فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف عنده منكر في نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف في نفس الامر كمن بلغ في مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما ويحرم حلالا فهم أهل الحجاب وأهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في ارضه اوصلنا الله واياكم إلى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول إلى جنابه المتعال.

(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (وَاخْتَلَفُوا) باستخراج التأليفات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية.

قال الامام تفرقوا بابدانهم بان صار كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا بان صار كل واحد منهم يدعي انه على الحق وان صاحبه على الباطل. واقول انك اذا أنصفت علمت ان اكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في الآخرة بسبب تفرقهم فانه يدوم ولا ينقطع ولما امر الله هذه الامة بان يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم الاّ اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف. فعلى المؤمنين ان لا يكونوا ناشئين بمقتضى طباعهم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فان لم يكن لهم مقتدى وامام تتحد عقائدهم وسيرهم

وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم في الآخرة على محسوس اوضح من ظهوره في الدنيا ممن دعا إلى الله على بصيرة كالرسول واتباعه الذين الحقهم الله بدرجات الدنيا في الدعاء اليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم واهوائهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه لا بد للناس من امام بار أو فاجر و لم يرسل نبي الله رجلين فصاعدا لشأن الاوامر احدهما على الآخر وامر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه السلام (**من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة**) وقال (**يد الله مع الجماعة**) فان الشيطان مع الفذ هو من الاثنين ابعد ألا يرى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت إلى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) خط رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطا فقال (**هذا سبيل الرشد**) ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال (**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه**) فعلى العاقل ان يسلك إلى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب عن سبل الشيطان وأسباب الدخول فيها قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**امرت ان اقاتل الناس**) إلى ان (**وحسابهم على الله**) اراد بقوله وحسابهم على الله انه لا يعلم انهم قالوها معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة ومن هو من أهل النار الا المنافقين فلا بد لهم ان ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من الجنان ثم يصرفون إلى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا باعمالهم فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا تزال في كل ركعة من الصلاة نقول اهدنا الصراط المستقيم فهو احدّ من السيف وادق من الشعر وظهوره على علم وكشف.

قال علي كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى إلى هذا الصراط المستقيم وتخلص من التفرق الموجب للعذاب الاليم فليس عليه حساب ولا صراط في الآخرة بل هو مع الانبياء والاولياء في النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع في الدنيا بارتكاب المحظورات زلت في الآخرة ايضا اذ من كان في الدنيا اعمى محجوبا غير واصل كان في الآخرة ايضا كذلك والعياذ بالله قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء**) وقال (**رأيت النار واكثر أهلها النساء فالهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت إلى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط**) فانظر كيف زلت اقدامهن عن الصراط في الآخرة وما ذلك الا لكونها زالة عن صراط الشرع في الدنيا بالاعتقاد والاعمال: ونعم ما قال الجامي:[١]

عقل زن ناقص است ودينش نيز * هر كزش كامل اعتقاد مكن

گر بدست از وى اعتبار مگير * ور نگو بر وى اعتماد مكن

فاذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد ايها العبد الذليل في طريق المتابعة والموافقة للانبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل إلى اليقين لعله يجمع باذن الله شملك بعدما تبدد وصلك وتفرق حالك فان الطريق المجهول لا بد له من مرشد والا فالهلاك عصمنا الله واياكم من الخلاف والاختلاف واسلكنا طريق الاخيار من الاسلاف وثبتنا فيه إلى آخر الآجال وحشرنا بأهل الفضل والكمال.

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أي اذكروا ايها المؤمنون يوم تبيض وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة. وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكمون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه أي استبشر ولمن وصل اليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته. فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فان كان ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله واذا رأى

---

(١) عبد الرحمن الجامي توفي سنة ٨٩٨ هـ. [١٤٩٢ م.] في هرات

الكافر اعماله القبيحة اشتد حزنه وغمه. وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم أهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه ويمينه وأهل الباطل باضداد ذلك والحكمة في ظهورهما في الوجوه حقيقة ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من أهل السعادة قال تعالى مخبر عنه (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) والشقي يغتم بعكس ذلك (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فيقال لهم (أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم أهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ايمانهم به قبل مبعثه عليه السلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) المعهود الموصوف بالعظم (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) بالقرآن ومحمد عليه السلام (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ) أي الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون ولا يظعنون عنها ولا يموتون.

والاشارة ان الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الايمان والجمعية والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله وذلك لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) أي يجعل ما في الضمائر على الظواهر.

زر اندودكانرا بآتش برند * بديد آيد آنكه گه مس يا زرند

(فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم) وهم ارباب الطلب السائرون إلى الله الذين انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقري (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق في طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة في الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لان الناس نيام والنائم لا يذوق ألم الجراحات حتى

ينتبه فاذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا ألم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله (واما الذين ابيضت وجوههم فـــ) هم (في رحمة) الجمعية والوفاق مع (الله) في الدنيا و (هم فيها خالدون) في الآخرة لانه يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**يبعث كل عبد على ما مات عليه**) وقال (**من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكر ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجري ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب الاّ منه**) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**اخبرني جبريل عليه السلام ان لا اله الا الله انس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم التراب هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم**) قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**النياحة على الميت من امر الجاهلية وان النائحة اذا لم تتب قبل ان تموت فانها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار**) وفي التنزيل (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) قال أهل التأويل كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا عند أهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك انه ارباه في بطونهم فاثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر في الدنيا والآخرة وهو الموفق للصالحات من الاعمال والافعال.

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) كنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق ويحمل على الدوام أو الانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرائن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) محمول على الدوام ومنه قوله تعالى (كنتم خير امة) (أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) صفة لامة اظهرت لاجلهم ومصلحتهم ونفعهم (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) جملة مستأنفة بين بها كونهم خير امة كأنه

قيل السبب في كونهم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية (وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) أي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (وَلَوْ آمَنَ أهل الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) أي لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولإزدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود.

(لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًي) استثناء مفرغ من المصدر العام أي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ) أي ان خرجوا إلى قتالكم (يُوَلُّوكُمُ ٱلأَدْبَارَ) مفعول ثان ليولوكم أي يجعلوا ظهورهم ما يليكم ويرجعوا إلى ادبارهم منهزمين من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل أو اسر (ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ) عطف على الشرطية وثم للتراخي في المرتبة أي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول إلى ضرب يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فلا ينهضون بجناح ولا ترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بني قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر.

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا) أي في أي مكان وأي زمان وجدوا في دار الإسلام الزموا الذل أي هدر النفس والمال والأهل بحيث صار كشيء يضرب على الشيء فيحيط به (إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) استثناء من اعم الاحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جيع الاحوال الا حال كونهم

معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لانه سبب للنجاة والفوز بالمراد. وعطف قوله (وحبل من الناس) على قوله (بحبل من الله) يقتضي المغايرة.

قال الامام في وجهه الامان الحاصل للذمي قسمان. احدهما الذي نص الله عليه وهو الامان الحاصل له باعطاء الجزية عن يد وقبوله اياها. والثاني الامان الذي فوض إلى رأي الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زائد أو ناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثاني هو المسمى بحبل المؤمنين فالامانان واقعان بمباشرة المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) أي رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) أي زي الافتقار فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود في غالب الامر فقراء اما في نفس الامر واما انهم يظهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين في الواقع (ذَلِكَ) اشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ) أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية (وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) أي في اعتقادهم ايضا وهؤلاء المتأخرون وان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم في تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بانفسهم فلذا اسند القتل اليهم (ذَلِكَ) اشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل (بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) أي كان بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي إلى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر فان من توغل في المعاصي والذنوب واستمر عليها لا جرم تتزايد ظلمات المعاصي على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان في قلبه حالا فحالا و لم يزل الامر كذلك إلى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فقوله تعالى (ذلك بما عصوا)

اشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك الادب وقع في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر. فعلى المؤمن ان لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفا مما يؤدي اليه بل ويترك ايضا بعض ما ابيح له في الشرح وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام (**لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس**) وقال صلّى الله عليه وسلّم (**الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه**) الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة امره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهي عما نوى وعزم ويجتهد في عبادة ربه. قال الجنيد رحمه الله العبادة على رؤوس العارفين كالتيجان على رؤوس الملوك ورؤي في يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال طريق وصلنا به إلى ما وصلنا لا نتركه ابدا.

قال الشيخ ابو طالب رحمه الله[١] مداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان.

قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله سألت استاذي عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقال الورد ردّ النفس بالحق عن الباطل في عموم الاوقات فليواظب العبد على الاوراد والطاعات وليجانب المعاصي والسيآت قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ذات يوم لاصحابه (**استحيوا من الله حق الحياء**) قالوا انا نستحيي يا رسول الله والحمد لله قال (**ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد**

---

(١) أبوطالب محمد المكي توفي سنة ٣٨٦ هـ. [٩٩٦ م.] في بغداد

استحيى من الله حق الحياء).

مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتى قبلهٔ ديگر است

قال بعض المشايخ لو ان رجلا عاش مائتي سنة ولا يعرف هذه الاربعة فليس شيء احق به من النار احدها معرفة الله تعالى في السر والعلانية وان لا معطي ولا مانع غيره. والثاني معرفة عمل الله بان يعرف ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لرضى الله تعالى. والثالث معرفة نفسه بان يعرف ضعفه انه لا يستطيع ان يرد شيئا مما قضى الله عليه. والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فان المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالبا على اعدائه الظاهرة والباطنة ووصل إلى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من شره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله واياكم من الشرور. (لَيْسُوا سَوَاءً) أي ليس أهل الكتاب جميعا مستوين متعادلين في المساوي والقبائح والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها (مِنْ أهل الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم وتمام الكلام يقتضي ان يقال ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر بناء على ان ذكر احد الضدين يغني عن الآخر أي من أهل الكتاب جماعة قائمة أي مستقيمة عادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقاموا وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره. نزلت حين قالت احبار اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا من اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا فلو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم أو نزلت في قوم يصلون صلاة الاوابين وهي اثنتا عشرة ركعة بعد صلاة المغرب (يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ) أي القرآن صفة اخرى لامة (آنَاءَ اللَّيْلِ) ظرف ليتلون أي في ساعاته جمع أنى كعصا (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) الجملة حال من فاعل يتلون أي يصلون اذ لا تلاوة في السجود وقال عليه الصلاة والسلام (**ألا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا**) وتخصيص السجود بالذكر من سائر

اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة للامام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح. (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ) على الوجه الذي نطق به الشرع تعريض بان ايمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا (وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ) تعريض بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) المسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطئ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشر (وَأُولَئِكَ) المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (مِنَ الصَّالِحِينَ) أي من جملة من صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه. (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر (فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة وسمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه لا يجوز ان يضاف الكفران إلى الله تعالى اذ ليس لاحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا إلى انه تعالى سمى ايصال الجزاء والثواب شكرا حيث قال (فان الله شاكر عليم) فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه وتعديته إلى مفعولين وهما ما قام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) بشارة لهم بجزيل الثواب واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو أهل التقوى. والاشارة في قوله (وما يفعلوا من خير) أي من خير يقربهم اليه فالله يشكره بتقربه اليهم اكثر من تقربهم اليه كما قال (**من تقرب إليّ شبرا تقربت اليه باعا**) وقال (**انا جليس من ذكرني وانيس من شكرني ومطيع من اطاعني**) أي كما اطعتموني بتصفية الاستعداد والتوجه نحوي اطعتكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم (والله

عليم بالمتقين) بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فتجلي لهم بقدر زوال الحجاب.

قال ابو بكر الكتاني[١] رأيت في المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت فقال التقوى قلت فاين تسكن قال في كل قلب حزين ثم التفت إليّ فاذا امرأة سوداء اوحش ما يكون فقلت من انت فقالت الضحك فقلت اين تسكنين فقالت في كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة فعلى السالك ان يتمسك بحبل التقوى ويأنس به في الدنيا لعل الله يجعله انيسا له في قبره وحشره فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون إلى الخيرات ما داموا في الحياة.

قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله افضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففي خيرات الدين خيرات الآخرة وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفي خيرات الدنيا ظهور خصائص الاولياء وهي اربعة اوصاف العبودية ونعوت الربوبية والاشراف على ما كان ويكون والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة**) واستغفاره عليه الصلاة والسلام من نقص ما رقي عنه باعتبار ما ترقى اليه اذ ذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التي لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين كان فيهما بالعبودية اذ لا يلحق النبي نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته ولكن حسنات الابرار سيآت المقربين فينبغي للانسان ان يأخذ على نفسه ان لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللا رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بني اسرائيل امره ان يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة مثلا. امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبدا من ماله ثم اسكنه دارا وزوجه ودفع اليه مالا وامره ان يتجر فيه ويأكل منه ما**

(١) محمد ابو بكر الكتاني توفي سنة ٣٢٢ هـ. [٩٣٤ م.] في بغداد

يكفيه ويؤدي اليه فضل الربح فعمد العبد إلى فضل الربح فجعل يعطيه لعدو سيده ويعطي لسيده منه شيئا يسيرا فايكم يرضى بفعال هذا العبد. وامرهم بالصلاة وضرب لهم مثلا للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فاذن له فدخل عليه فاقبل عليه الملك بوجهه ليستمع مقالته ويقضي حاجته فالتفت يمينا وشمالا ولم يهتم لقضاء حاجته فاعرض عنه الملك فلم يقض حاجته. وامرهم بالصيام وضرب لهم مثلا فقال مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال واخذ سلاحه فلم يصل اليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه. وامرهم بالصدقة وضرب لهم مثلا للمتصدق فقال مثل المتصدق كمثل رجل اسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى يفتدي منهم نفسه فعتق وفك رقبته. وامرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلا للذكر فقال مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وبقربهم عدو لهم فدخلوا حصنهم واغلقوا بابه وحصنوا انفسهم من العدو) ثم قال النبي صلّى الله عليه وسلّم **(وانا آمركم بالخصال الخمس التي امر الله بها يحى عليه السلام وآمركم بخمس اخرى امرني الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد)** فليسارع العبد إلى الخيرات والحسنات وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك الا لارباب الارادات واصحاب المجاهدات.

نيايد نكوكارى از بدركان * محالست دو زندگى از سگان

توان پاك كردن ز ژنگ آينه * وليكن نيايد ز سنگ آينه

بكوشش نرويد كل از شاخ بيد * نه زنكى بكرما به گردد سفيد

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي بما يجب ان يؤمن به (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ) أي لن تدفع عنهم (أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ) أي من عذابه تعالى (شَيْئًا) أي شيئا يسيرا منه أو شيئا من الاغناء رد للكفار كافة حيث فاخروا بالاموال والاولاد قائلين نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه في الفقر والشدة.

وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فانفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما في الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بالطريق الاولى (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) أي مصاحبوها على الدوام وملازموها (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ابدا ولما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا ثم انهم ربما انفقوا اموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الانسان انهم ينتفعون بذلك فازال الله بهذه الآية تلك الشبهة وبين انهم لا ينتفعون بتلك الانفاقات وان كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال.

(مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة وطلبا لحسن الذكر بين الناس وعداوة لأهل الإسلام كما انفق ابو سفيان واصحابه مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأُحد (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) أي برد شديد مهلك فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح البارد كالصرصر (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ) أي زرع قوم (ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الأهلاك عن سخط اشد وافظع (فَأهلكَتْهُ) عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع مّا بحرث كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال (وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص.

واعلم ان انفاق الكفار اما ان يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق منه اثر البتة في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة ولعلهم انفقوا اموالهم في الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والاحسان إلى الضعفاء والايتام والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعا وتوقع منه

نفعا كثيرا فاصابه ريح فاحرقه ولا يبقى معه الا الحزن والاسف هذا اذا انفقوا الاموال في وجوه الخيرات. اما اذا انفقوها فيما ظنوا انه من الخيرات لكنه كان من المعاصي مثل انفاق الاموال في ايذاء الرسول وفي قتل المؤمنين وتخريب ديارهم فالذي قلنا فيه اشد واشد ونظير هذه الآية (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ويدخل فيه ما ينفقه بعض صاحبي الغرض لنفي رجل صالح من بلده أو قتله أو ايذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن جسده فيم ابلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه**) فليبادر العاقل إلى الانفاق من ماله والاخلاص في عمله قال عليه الصلاة والسلام (**يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى للملائكة القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الاّ خيرا فيقول وهو اعلم ان هذا كان لغيري ولا اقبل اليوم من العمل الا ما ابتغي به وجهي**).

زعمرو أى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زيد باشى بكار

چه قدر آورد بندهٔ حورديس * كه زير قبا دارد اندام پيس

قال منصور بن عمار رحمه الله كان لي اخ في الله يعتقدني ويزورني في شدتي ورخائي وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته اياما فقيل لي هو ضعيف مريض فاتيت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له يا اخي اكثر من قول لا اله الاّ الله ففتح عينيه ونظر إليّ شزرا ثم وثم حتى قلت له لئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك فقال يا اخي منصور هذه كلمة قد حيل بيني وبينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال يا اخي كل ذلك كان لغير وجه الله انما كنت افعل ذلك ليقال واذكر به واذا خلوت بنفسي غلقت الابواب وارخيت الستور وبارزت ربي بالمعاصي.

ور آوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن درون حشو باش

فلا غرور للعاقل بكثرة الاعمال والاولاد والاموال اذا لم تكن نيته صحيحة فيما يجري عليه من الاحوال فاين الذين آثروا العقبى بل المولى على كل ما سواه فوجدوا الفقر اعز من الغنى والذل الذ من العزة وبذلوا اموالهم وارواحهم في سبيل الله لعمري قوم عزيز الوجود وقليل ما هم وقرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**) ثم قال (**يقول ابن آدم مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فامضيت**) قال عليه الصلاة والسلام (**يا عائشة إن اردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه**) وقال عليه السلام (**اللهم من احبني فارزقه العفاف والكفاف ومن ابغضني فاكثر ماله وولده**) فقد وقفت ايها العبد على حقيقة الحال وان المال لا يغني عن المرء شيئا فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ولا تغتر باصحاب الاموال والجاه.

والاشارة ان من رزق شيئا من علم الكتاب ظاهرا و لم يرزق اسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون في دين الله حرصا على الدنيا وطمعا في المال والجاه وحبا للرياسة والقبول (يشترون الضلالة) وهي المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا (ويريدون ان تضلوا السبيل) يا معشر العلماء الاتقياء وورثة الانبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح واظهار المحبة (والله اعلم باعدائكم) فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق غير الله واطيعوا امر الله تعالى فيما امركم به.

واعلم انك لا ترى حالا اسوأ ولا اقبح ممن جمع بين هذين الامرين اعني الضلال والاضلال واكثر ما يكونان في العلماء يطمعون فيما في ايدي الخلق فيداهنون فيضلون فسبب زوال المداهنة قطع الطمع روي عن بعض المشايخ انه كان

له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل واخرج السنور اولا ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد اليوم لسنورك شيئا فقال ما احتسب عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك فهو كما قال فمن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة. فعلى العاقل ان يزكي نفسه عن الاخلاق الرديئة ويطهرها من الخصال الذميمة.

چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست * نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) خبر مبتدأ محذوف أي من الذين هادوا قوم (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) الكلم اسم جنس ولذا ذكر الضمير في مواضع وجمع المواضع لتكرره في التوراة في مواضع بحسب الجنس أي يزيلون لانهم لما غيروه ووضعوا مكانه غيره فقد ازالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وامالوه عنها. والتحريف نوعان. احدهما صرف الكلام إلى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم. والثاني تبديل الكلمة باخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم في نعت النبي صلّى الله عليه وسلّم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (وَيَقُولُونَ) في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي عليه السلام ام لا بلسان المقال والحال (سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) امرك عنادا وتحقيقا للمخالفة (وَاسْمَعْ) أي قولنا (غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين. احدهما المدح بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها. والثاني الذم بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع فكأنهم قالوا ذلك تمنيا لاجابة دعوتهم عليه كانوا يخاطبون به النبي عليه السلام مظهرين له ارادة المعنى الاول وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاخير مطمئنون به (وَرَاعِنَا) كلمة ذات جهتين

ايضا. محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا واصرف سمعك إلى كلامنا نكلمك. وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحمق أو باجرائها مجرى شبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا كانوا يخاطبون به النبي صلّى الله عليه وسلّم ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام.

فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه عليه السلام وخوفا من بطش المؤمنين (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) انتصابه على العلية أي يقولون ذلك للفتل بها ولصرف الكلام عن نهجه إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا استمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا أو فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير (وَطَعْنًا فِي الدِّينِ) أي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية (وَلَوْ أَنَّهُمْ) عندما سمعوا شيئا من اوامر الله ونواهيه (قَالُوا) بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وبدل قولهم واسمع غير مسمع (وَاسْمَعْ) ولا يلحقون به غير مسمع وبدل قولهم راعنا (وَانْظُرْنَا) و لم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا أي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال (لَكَانَ) قولهم ذلك (خَيْرًا لَهُمْ) مما قالوا (وَأَقْوَمَ) أي اعدل واسد في نفسه واصوب من القيم أي المستقيم قالوا لما لم يكن في الذي اختاروه خيرا اصلا فلم جعل هذا خيرا من ذلك وجوابه انه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله (الله خير ام ما يشركون) (وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ) أي ولكن قالوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وابعدهم عن الهدي بسبب كفرهم ذلك (فَلاَ يُؤْمِنُونَ) بعد ذلك (إِلاَّ قَلِيلاً) استثناء من ضمير المفعول في لعنهم أي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما وهو استثناء من ضمير لا يؤمنون أي لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد

عليهما السلام. والاشارة ان العلماء السوء من هذه الامة (يحرفون الكلم عن مواضعه) بالفعال لا بالمقال كما كان أهل الكتاب يحرفونه بالمقال (ويقولون سمعنا) بالمقال فيما امر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن ايثار الآخرة على الاولى والانقطاع عن الخلق في طلب المولى (وعصينا) بالفعال اذ لا يشمون روائح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات وينكرون على أهل هذه الكرامات ويستهزؤن بانواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة الا قليلا منها بان يكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالايمان الحقيقي الذي هو من نتائج الارادة والصدق في طلب الحق والاخلاص في العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود في طلب المعبود: قال العطار قدس سره.[١]

مشو مغرور اين نطق مزور * بنادانى مكن خودرا تو سرور

اگر علم همه عالم بخوانى * چو بى عشقى ازو حروفى ندانى

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة)** أي ريحها. قال الشيخ الشاذلي[٢] العلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله. قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العلوم كالدنانير والدراهم ان شاء نفعك بها وان شاء اضرك معها والعلم ان قارنته الخشية فلك اجره وثوابه وحصول النفع به والا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان: قال الشيخ السعدي قدس سره:

دعوى كنى كه برترم از ديگران بعلم * چون كبر كردى از همه دونان فروترى

شاخ درخت علم ندانم بجز عمل * تا علم با عمل نكنى شاخ بى برى

علم آدميتست وجوانمردى وادب * ور نه بدى بصورت انسان برابرى

---

(١) محمد فريد الدين العطار توفي سنة ٤٢٧ هـ. [١٢٣٠ م.]

(٢) ابو الحسن علي الشاذلي المالكي توفي سنة ٦٥٤ هـ. [١٢٥٦ م.] في مكة المكرمة

ترك هواست كشتئ درياى معرفت * عارف بذات شو نه بدين قلندرى

هر علم را كه كار نه بندى چه فائده * چشم از براى آن بود آخر كه بنگرى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي التوراة (آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) من القرآن حال كونه (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) من التوراة ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراآ من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم بالاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم (**لو كان موسى حيا لما وسعه الاّ اتباعي**) (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا) الطمس محو الآثار وازالة الاعلام أي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب وانف وفم (فَنَرُدَّهَا على أَدْبَارِهَا) فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب أي بان نردها على ادبارها أو ننكسها بعد الطمس فنردها إلى موضع الاقفاء والاقفاء إلى موضعها على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر طمسها ثم ردها على ادبارها (أو نَلْعَنَهُمْ) أو نخزي اصحاب الوجوه بالمسخ (كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ) مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد مشروط بالايمان ومعلق به وجودا وعدما بمعنى ان وجد منهم الايمان لم يقع والا وقع وقد وجد الايمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ) أي عذابه (مَفْعُولاً) كائنا لا محالة وهذا وعيد شديد لهم يعني انتم تعلمون انه كان تهديد الله في الامم السالفة واقعا لا محالة فكونوا على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر إلى الايمان والاقرار بالتوبة والاستغفار.

اعلم ان المسخ قد وقع في هذه الامة ايضا. ومنه ما روي عن ابي علقمة انه

قال كنت في قافلة عظيمة فامرنا رجلا نرتحل بامره ونتزل بامره فتزلنا متزلا وهو يشتم ابا بكر وعمر فقلنا له في ذلك فلم يجب الينا بشيء فلما اصبحنا واوقرنا واصلحنا الراحلة لم يناد مناديه فجئنا ننظر ما حاله وما يصنع فاذا هو متربع وقد غطي رجليه بكساء له فكشفنا عنهما فاذا هو قد صار رجلاه كرجلي الخنازير فهيأنا راحتله وحملناه اليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات صيحة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خترير حتى لا يعرفه منا احدا كذا في روضة العلماء وروي ان واحدا من رواة الاحاديث تحول رأسه رأس حمار لإنكار وقوع مضمون حديث صحيح ورد في حق المقتدي بالامام الرافع رأسه قبله أو واضعه وحاصل الحديث ان من رفع رأسه قبل الامام أو وضعه كيف لا يخاف من ان يصير رأسه رأس حمار فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة ومسخ المعنى اشد واصعب منه فان اعمى الصورة مثلا يمكن ان يكون في الآخرة بصيرا ولكن من كان في هذه اعمى يعني بالقلب فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وفضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة.

فعلى السالك ان يجتهد حتى لا يرد وجهه الناطق إلى الله تعالى على الدنيا واتباع الهوى ولا يمسخ صفاته الانسانية بالسبعة والشيطانية: قال الشيخ السعدى.[١]

با تو ترسم نشود شاهد روحانى دوست * كالتماس تو بجز عالم جسمانى نيست

سعى كن تا ز مقام حيوان دركذرى * كاهنست آينه مادامكه نورانى نيست

خفتكانرا چه خبر زمزمهٔ مرغ سحر * حيوانرا خبر از عالم انسانى نيست

قال الامام في تفسير الآية وتحقيق القول فيها ان الانسان في مبدأ خلقته الف هذا العالم المحسوس ثم انه عند الفكر والعبودية كأنه يسافر من عالم المحسوسات إلى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم المحسوسات فالمخذول هو الذي يرد من قدامه إلى خلفه كما قال تعالى في وصفهم (ناكسوا رؤسهم) انتهى فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير.

---

(١) الشيخ سعدي الشيرازي توفي سنة ٦٩١ هـ. [١٢٩١ م.]

عن عبد الله بن احمد المؤذن قال كنت اطوف حول البيت واذا انا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم اخرجني من الدنيا مسلما لا يزيد على ذلك شيئا فقلت له لم لا تزيد على هذا الدعاء فقال لو علمت قصتي كنت تعذرني فقلت وما قصتك قال كان لي اخوان وكان الاكبر منهما مؤذنا اذن أربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا ان يتبرك به فاخذه بيده واشهد على نفسه من حضر انه بريء مما فيه ثم تحول إلى دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن اذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الآخر فمات على النصرانية واني اخاف على نفسي ان اصير مثلهما فادعو الله تعالى ان يحفظ على ديني فقلت ما كان ديدنهما فقال كان يتتبعان عورات النساء وينظران إلى المردان فهذا من آثار الرد واللعن والمسخ فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لتزكية النفس واصلاحها ويختم عاقبتنا بالخير.

خدايا بحب بنى فاطمه * كه بر قول ايمان كنم خاتمه

(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) أي لا يغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي إلى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ) أي ويغفر ما دون الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل (لِمَنْ يَشَاءُ) ان يغفر له ممن اتصف به فقط أي لا بما فوقه. قال شيخنا السيد الثاني سمى جامع القرآن وهم المؤمنون الذين اتقوا من الاشراك بالله تعالى فيغفر لهم ما دون الاشراك من الصغائر والكبائر لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الاشراك ايضا لاشراكهم به فكما ان اشراكهم لا يغفر فكذلك ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه كذلك وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَي إِثْمًا عَظِيمًا) أي من افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه

جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا. وهذه الآية من اجل الآيات التي كانت خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت واعظمها لانها تؤذن بان ما دون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الانجاز خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من المحمديين كما قال لهم (ان الله يغفر الذنوب جميعا) روي ان وحشيا قاتل حمزة عم النبي عليه السلام كتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اني اريد ان اسلم ولكن يمنعني من الإسلام آية في القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) واني قد فعلت هذه الاشياء الثلاثة فهل لي من توبة فنزلت هذه الآية (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيأتهم حسنات) فكتب ان في الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا ادري انا اقدر على العمل الصالح ام لا فنزل قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فكتب بذلك إلى وحشي فكتب اليه ان في الآية شرطا فلا ادري أيشاء ان يغفر لي ام لا فنزل قوله تعالى (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) فكتب إلى وحشي فلم يجد الشرط فقدم المدينة واسلم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(من مات ولم يشرك بالله شيئا دخل الجنة)** ورأى ابو العباس شريح في مرض موته كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول **(اين العلماء)** فجاؤا فقال **(ماذا عملتم فيما علمتم)** فقلنا يا رب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فكأنه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال الله تعالى **(اذهبوا فقد غفرت لكم)** ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى.

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب. فمراتب الشرك ثلاث الجلي والخفي والاخفى. وكذلك مراتب المغفرة. فالشرك الجلي بالاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شيء من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر الا

بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية. والشرك الخفي بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات إلى غير الربوبية في العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد بالواحد. والشرك الاخفي وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أي لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما أي جعل بينه وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهي اعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) خطاب للنبي عليه السلام على وجه التعجب أي ألم تنظر إلى اليهود الذين يطهرون نفوسهم من الذنوب وألسنتهم ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وبقولهم نحن كالاولاد الصغار فهل عليهم ذنب أي انظر اليهم وتعجب من حالهم وادعائهم انهم ازكياء عند الله مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم واللفظ عام يشتمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من اعجاب المرء بعمله (بَلِ اللهُ) يعني هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله (يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ) تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح (وَلاَ يُظْلَمُونَ) أي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب (فَتِيلاً) أي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة والظلم في حق المعاقب الزيادة على حقه وفي حق المثاب النقصان منه. (يَسْأَلُكَ أهل الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ) نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه

السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما نزلت التوراة (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ) جواب شرط مقدر أي ان استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه واعظم وهذا السؤال وان صدر عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالتهم (فَقَالُوا) الفاء تفسيرية (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) أي ارناه جهرة أي عيانا. والجهر حقيقة في ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئي بحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه ان يروا ربهم رؤية يدركونها بابصارهم في الدنيا (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) نار جاءت من السماء فاحرقتهم (بِظُلْمِهِمْ) أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا.

وفي التأويلات النجمية (فقالوا ارنا الله جهرة) وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم أو على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق أو الم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال (رب ارني انظر اليك) ولعل خرة موسى في جواب (لن تراني) كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء ادب هذا السؤال لئلا يطمعوا في مطلوب لم يعطه نبيهم فما اتعظوا بحال نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى ادركتهم الشقاوة الازلية (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) بان طمعوا في فضيلة وكرامة ما كانوا مستحقيها ومن طبع كافرا ولو يرى الله جهرة فانه لا يؤمن به ومن طبع مؤمنا عند رشاش النور باصابته فانه يؤمن بنبي لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة أو بينة كما كان الصديق رضي الله عنه حين قال النبي صلّى الله عليه وسلّم له (**بعثت**) فقال صدقت وكما كان حال اويس القرني[١] فانه لم ير النبي عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) أي عبدوه

---

(١) اويس القرني توفي سنة ٣٧ هـ. [٦٥٧ م.]

واتخذوه الها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) أي المعجزات التي اظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد وهذه هي الجناية الثانية التي اقترفها أيضا اوائلهم (فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ) أي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به. قيل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم. ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وانه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفي هذا منع من القنوط (وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) أي تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم فاحتبأوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين.

(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ) الباء سببية متعلقة بالرفع. والمعنى لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبرائيل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم (وَقُلْنَا لَهُمُ) على لسان موسى والطور مشرف عليهم (ادْخُلُوا الْبَابَ) أي باب القرية وهي اريحا على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى (سُجَّدًا) أي متطامنين منحنين شكرا على اخراجهم من التيه فدخلوها زحفا وبدلوا ما قيل لهم (وَقُلْنَا لَهُمْ) على لسان داود (لاَ تَعْدُوا) أي لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدوا واعداء وعدوانا أي ظلم وجاوز الحد والاصل لا تعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تفعوا (فِي) يوم (السَّبْتِ) وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدي فيه اناس منهم فاشتغلوا بالصيد (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ) على الامتثال بما كلفوه (مِيثَاقًا غَلِيظًا) أي عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا واطعنا قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأي انواع العذاب اراد.

(فَبِمَا) ما مزيدة للتأكيد (نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على اعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف (وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ) أي بالقرآن أو بما في كتابهم عندهم (وَقَتْلِهِمُ ٱلأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) كزكريا ويحيى عليهما السلام (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع اغلف أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ولا تفقه ما يقوله أو هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف أي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) كلام معترض بين المعطوفين جيىء به على وجه الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم (فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) منهم كعبد الله ابن سلام واضرابه أو ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه وهو ايمانهم ببعض الرسل والكتب دون بعض أو بالايمان الغير المعتبر لا يجب ان يسموا مؤمنين فهم كافرون حقا.

واعلم ان نقض الميثاق صار سببا لغضب الخلاق فعلى المؤمن ان يراعي احكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال اقبل علينا رسول الله فقال (**يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا ابتليتم بهن واعوذ بالله ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الاّ فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت في اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في ايديهم وما لم يحكم ائمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم**) قال في المثنوي:[١]

(١) صاحب المثنوي جلال الدين محمد الرومي توفي سنة ٦٧٢ هـــ. [١٢٧٣ م.] في قونيه

سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو[١]

نقض ميثاق وعهود از بندگيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست[٢]

جرعه بر خاك وفا آنكس كه ريخت * كى تواند صيد دولت زو گريخت[٣]

(وَبِكُفْرِهِمْ) عطف على قولهم أي عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب كفرهم بعيسى ايضا (وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) يعني نسبتها إلى الزنى وبهتانا منصوب على انه مفعول به نحو قال شعرا أو على المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فان القول قد يكون بهتانا وغير بهتان. (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ) وصفهم له عليه الصلاة والسلام برسول الله انما هو بطريق الاستهزاء به كما في قوله تعالى (يا ايها الذي نزل عليه الذكر) فانهم على عداوته وقتله فكيف يقولون في حقه انه رسول الله ونظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبي والاستهزاء به (وَمَا) أي والحال انهم ما (قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) أي وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول فالفعل مسند إلى الجار والمجرور نحو خيل اليه وليس عليه روي ان رهطا من اليهود سبوه بان قالوا هو الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عليه الصلاة والسلام ذلك دعا عليهم فقال [اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني و لم آتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن من سبني وسب امي] فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس القوم واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته عليه ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فاخبره بانه يرفعه إلى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضي بان يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل

---

(١) در أواخر دفتر دوم در ميان قصهٔ منافقان ومسجد ضرار شاختن ايشان

(٢) در أوائل دفتر پنجم در بيان معنى آية لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الخ

(٣) لم اجد بعينه في المثنوي لكن المذكور في أواسط دفتر پنجم در بيان مائدهٔ عيسى كه الخ: نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت بود ور انتها

منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب. وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذ وقتل ثم صلب وامثال هذه الخوارق لا يستبعد في عصر النبوة. وقال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لما كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز ان يقال ان الله تعالى يلقي شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة حيث يجوز ان يقال اذا رأينا زيدا لعله ليس بزيد ولكنه شخص آخر القي شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهي إلى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا في تفسير الامام الرازي[١] (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) أي في شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس.

فقال بعضهم ان كان هذا المقتول عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى. وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان الله تعالى لما القى شبه عيسى على المقتول القاه على وجهه دون جسده وقال من سمع منه ان الله يرفعني إلى السماء انه رفع إلى السماء. وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم انه ما قتل وما صلب بل رفعه الله السماء. وقال قوم منهم ان اليهود قتلوه فزعمت النسطورية ان المسيح صلب من جهة ناسوته أي جسمه وهيكله المحسوس لا من جهة لاهوته أي نفسه وروحه. واكثر الحكماء يختارون ما يقرب من هذا القول قالوا لانه

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي الشافعي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم لطيف في هذا البدن واما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل واما النفس التي هي في الحقيقة عيسى فالقتل ما ورد عليها. لا يقال كل انسان كذلك فما وجه التخصيص لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الآلهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هناك ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم إلى قيام الساعة. وزعمت الملكانية من النصارى ان القتل والصلب وصل إلى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة. وزعمت اليعقوبية منهم ان القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) أي لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن (وَمَا قَتَلُوهُ) قتلا (يَقِينًا) كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح فيقينا نعت مصدر محذوف على ان يكون فعيلا بمعنى المفعول وهو المتيقن. (بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ) رد وإنكار لقتله واثبات لرفعه. قال الحسن البصري أي إلى السماء التي هي محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجري فيها حكم احد سواه فكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن ان يجري عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله) وكانت الهجرة إلى المدينة وقوله (اني ذاهب إلى ربي) أي إلى موضع لا يمنعني احد من عبادة ربي والحكمة في الرفع انه تعالى اراد به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لانه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم ابي البشر من تعلم الاسماء والعلم وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر في الآية. وقيل رفع إلى السماء لما لم

يكن دخوله إلى الوجود الدنيوي من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) لا يغالب فيما يريده فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه السلام إلى السموات وان كان متعذرا بالنسبة إلى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة إلى قدرة الله تعالى لا يغلبه عليه احد (حَكِيمًا) في جميع افعاله فيدخل فيها تدبير انه تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا ولما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش والبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا. قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين.

فان قيل لم لم يرد الله تعالى عيسى إلى الدنيا بعد رفعه إلى السماء قيل اخر رده ليكون علما للساعة وخاتما للولاية العامة لانه ليس بعده ولي يختم الله به الدورة المحمدية تشريفا لهم بختم نبي مرسل يكون على شريعة محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد النبوة على الامة ويخدمه المهدي واصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون في امة محمد عليه السلام وخاتم اوليائه ووارثيه من جهة الولاية.

واجمع السيوطي[١] في تفسير الدر المنثور في سورة الكهف عن ابن شاهين[٢] اربعة من الانبياء احياء اثنان في السماء عيسى وادريس واثنان في الارض الخضر والياس فاما الخضر فانه في البحر واما صاحبه فانه في البر. قال الامام السخاوي رحمه الله حديث (**اخي الخضر لو كان حيا لزارني**) من كلام بعض السلف ممن انكر حياة الخضر.

واعلم ان الارواح المهيمة التي من العقل الاول كلها صف واحد حصل من الله ليس بعضها بواسطة بعض وان كانت الصفوف الباقية من الارواح بواسطة العقل الاول كما اشار صلّى الله عليه وسلّم: (**انا ابو الارواح وانا من نور الله**

---

(١) عبد الرحمن السيوطي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في القاهرة

(٢) عمر ابن شاهين توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٤ م.]

والمؤمنون فيض نوري) فاقرب الارواح في الصف الاول إلى الروح الاول والعقل الاول روح عيسوي لهذا السر شاركه بالمعراج الجسماني إلى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوي مظهر الاسم الاعظم وفائض من الحضرة الآلهية في مقام الجمع بلا واسطة اسم من الاسماء وروح من الارواح فهو مظهر الاسم الجامع الآلهي وراثة اولية ونبينا عليه السلام اصالة كذا في شرح الفصوص.

ثم اعلم ان قوما قالوا على مريم فرموها بالزنى وآخرين جاوزوا الحد في تعظيمها فقالوا ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا في الضلال. ويقال مريم كانت ولية الله فشقي بها فرقتان أهل الافراط وأهل التفريط وكذلك كل ولي له تعالى فمنكرهم شقي بترك احترامهم وطلب اذيتهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة في اعظامهم وعلى هذه الجملة درج الاكثرون من الاكابر كذا في التأويلات النجمية: وفي المثنوي:

نازنينى تو ولى در حد خويش * الله الله پا منه در حد پيش[١]

جمله عالم زين سبب گمراه شد * كم كسى زابدال حق آگاه شد[٢]

دير بايد تا كة سر آدمى * آشكارا گردد از بيش وكمى[٣]

زير ديوار بدن كنجست يا * خانهٔ مارست و مورو اژدها

(وَإِنْ مِنْ أهل الْكِتَابِ) أي ما من اليهود والنصارى احد (إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) أي بعيسى (قَبْلَ مَوْتِهِ) أي قبل موت ذلك الاحد من أهل الكتاب يعني اذا عاين اليهودي امر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وتقول للنصراني اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه هو الله وابن الله

---

(١) در أواخر دفتر يكم در بيان دعا كردن بلعم باعورا كه الخ

(٢) در أوائل دفتر يكم در بيان حكايت مرد بقال الخ

(٣) در أواسط دفتر يكم در بيان مغرون شدن مريدان الخ

فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه قالوا لا يموت يهودي ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو اكله سبع أو أي ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضي الله عنهما لو خر من بيته قال يتكلم به في الهواء قيل أرأيت لو ضرب عنق احدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم. وقيل الضميران لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء احد الا ليؤمنن به قبل موته روي عن النبي عليه السلام انه قال (**انا اولى الناس بعيسى لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك انه ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض وكان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب الصخرة ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير ملة الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى احد من أهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به وتقع الأمنة في زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لا يؤذي بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه**) وفي الحديث (**ان المسيح جائ فمن لقيه فليقرئه مني السلام**) (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ) أي عيسى عليه السلام (عَلَيْهِمْ) أي على أهل الكتاب (شَهِيدًا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله. (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عن اليهود (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم كلحوم الابل وألبانها والشحوم.

وفي التأويلات النجمية نكتة قال لهم (حرمنا عليهم طيبات) وقال لنا (ويحل

لهم الطيبات) وقال (كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) فلم يحرم علينا شيئا بذنوبنا وكما آمنا من تحريم الطيبات في هذه الآية نرجو ان نؤمننا في الآخرة من العذاب الاليم لانه جمع بينها في الذكر في هذه الآية. وقال أهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات وانا اقول الاسراف في ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام التأويلات: قال السعدى:

مرد در پى هر چه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت

(وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) أي بسبب منعهم عن دين الله وهو الإسلام ناسا (كَثِيرًا) أو صدا كثيرا. (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ) أي والحال انهم قد (نُهُوا عَنْهُ) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا. وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وَأَعْتَدْنَا) أي خلقنا وهيأنا (لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ) أي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم (عَذَابًا أَلِيمًا) وجيعا يخلص وجعه إلى قلوبهم سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم. (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ) أي التائبون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وسماهم راسخين في العلم لثباتهم في العلم وتجردهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الارض (وَالْمُؤْمِنُونَ) أي من غير أهل الكتاب من المهاجرين والانصار (يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه.

قال في التأويلات النجمية كان عبد الله بن سلام عالما بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبي عليه السلام فلما كان راسخا في العلم اتصل علم قراءته بعلم المعرفة فقال لما رأيت وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عرفت انه ليس بوجه كذاب فآمن به ولما لم يكن للاحبار رسوخ في العلم وان قرأوا صفة النبي عليه السلام في التوراة فلما رأوا النبي عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل في حق الشرفاء:

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخطر

(وَ) اعني (الْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ) فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة (وَ) هم (الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) فرفعه على المدح ايضا وكذا رفع قوله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) أي ثوابا وافرا في الجنة على جمعهم بين الايمان والعمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله تعالى.

ومن افاضل الاعمال الصلوات الخمس واقامتها وفي الحديث (**من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان واينما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع في اول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن اجر شهيد**). (يَا أهل الْكِتَابِ) الخطاب للنصارى خاصة (لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) أي لا تتجاوزوا الحد في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى وادعاء الوهيته والغلو مجاوزة الحد.

واعلم ان الغلو والمبالغة في الدين والمذهب حتى يجاوز حده غير مرضي كما ان كثيرا من هذه الامة غلوا في مذهبهم فمن ذلك مذهب الغلاة من الشيعة في امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا الهيته وكذلك المعتزلة غلوا في التتزيه حتى نفوا صفات الله وكذا المشبهة غلوا في اثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولدفع الغلو كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم**) أي لا تتجاوزوا عن الحد في مدحي كما بالغ النصارى في مدح عيسى حتى ضلوا وقالوا انه ولد الله (وقولوا عبد الله ورسوله) أي قولوا في حقي انه عبد الله ورسوله وفي تقديم العبد على الرسول كما في التحيات ايضا نفي لقول اليهود والنصارى فان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله فنحن نقوله عبده ورسوله والغلو من العصبية وهي من صفات النفس المذمومة والنفس هي امارة بالسوء لا تأمر الاّ بالباطل.

مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديگرست

(وَلاَ تَقُولُوا على اللهِ إلاَّ الْحَقَّ) أي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك. قوله الا الحق استثناء مفرغ ونصبه على انه مفعول به نحو قلت خطبة أو نعت مصدر محذوف أي الا القول الحق وهو قريب من المعنى الاول (إِنَّمَا الْمَسِيحُ) مبتدأ وهو لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك (عِيسَى) بدل منه معرب من ايشوع (ابْنُ مَرْيَمَ) صفة مفيدة لبطلان ما وصفوه به من نبوته له تعالى. ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوبا إلى امه تدعى الناس يوم القيامة باسماء امهاتهم ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال يا فلان ابن فلانة وفي النسبة إلى الامهات ستر منه تعالى للعباد ايضا (رَسُولُ اللهِ) خبر للمبتدأ أي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وهذا هو القول الحق (وَكَلِمَتُهُ) عطف على رسول الله أي تكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة فان تكوين الخلق كله وان كان بكلمة كن له ولكن بالوسائط فان تعلق كن بتكوين الآباء قبل تعلقه بتكوين الابناء فلما كان تعلق امر كن بعيسى في رحم مريم من غير تعلقه بتكوين اب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هي كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله وكلمته القاها إلى مريم يدل عليه قوله انه مثل عيسى عند الله يعني في التكوين كمثل آدم خلقه من تراب يعني سوى جسمه من تراب ثم قال له يعني عند بعث روحه إلى القالب كن فيكون وانما ضرب مثله بآدم في التكوين لانه ايضا تكون بكلمة كن من غير واسطة اب (أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ) أي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام (وَرُوحٌ مِنْهُ) عطف على كلمته ومنه صفة لروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزي على الله تعالى وروي انه كان لهارون الرشيد[١] طبيب

---

(١) هارون الرشيد خليفة من العباسيين توفي سنة ١٩٣ هـ. [٨٠٩ م.] في طوس

نصراني وكان غلاما حسن الوجه جدا وكان كامل الادب جامعا للخصال التي يتوصل بها إلى الملوك وكان الرشيد مولعا بان يسلم وهو يمتنع وكان الرشيد يمنيه الاماني ان اسلم فأبى فقال له ذات يوم ما لك لا تؤمن قال ان في كتابكم حجة على من انتحله قال وما هي قال قوله تعالى (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) فعني بهذا ان عيسى عليه السلام جزء منه فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له علي بن الحسين بن واقد من أهل مرو وهو امام في علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب في الوقت وقال قد علم الله يا امير المؤمنين في سابق علمه ان هذا الخبيث يسألني في مجلسك هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرني الآن ولله على ان لا اطعم ولا اشرب حتى اؤدي الذي يجب من الحق ان شاء الله تعالى ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع في قراءة القرآن حتى بلغ من سورة الجاثية (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) فصاح باعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدي الرشيد وقال ان كان قوله وروح منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب ان يكون ما في السموات وما في الارض بعضا منه فانقطع النصراني واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل علي بن الحسين[١] الواقدي المروزي بصلة جيدة فلما عاد علي بن الحسين إلى مرو صنف كتابا سماه كتاب النظائر في القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب. قيل معنى كونه روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوي الارواح الاّ انه تعالى اضاف روحه إلى نفسه تشريفا. وقيل المراد بالروح هو الذي نفخ جبرائيل عليه في درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت باذن الله من ذلك النفخ سمي النفخ روحا لانه كان ريحا يخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل إلى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان

---

(١) علي بن حسين المروزي توفي سنة ٤٥٢ هـ. [١٠٦٠ م.]

باذن الله تعالى وامره فهو منه.

وعن ابي بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم ثم ردهم إلى صلبه امسك عنده روح عيسى إلى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح إلى مريم فدخل في فيها فكان منه عيسى عليه السلام. قيل خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لا من احدهما فقط وهو الاصح عند المحققين. قيل خرج في ساعة النفخ. وقيل بعد المدة الكاملة بعد ثمانية اشهر والاول هو الأصح.

وفي التأويلات النجمية ان شرف الروح على الاشياء بانه ايضا كعيسى تكون بامر كن بلا واسطة شيء آخر فلما تكون الروح بامر كن وتكون عيسى بامر كن سمي روحا منه لان الامر منه تعالى كما قال (قل الروح من امر ربي) فكما ان احياء الاجسام الميتة من شأن الروح اذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص بإذن الله وكذلك كان ينفخ في الطين فيكون طيرا باذن الله تعالى.

واعلم ان هذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان وخلق منه أي من الامر وانما اظهره الله في عيسى من غير تكلف منه في السعي لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لان روحه لم يركز في اصلاب الآباء وارحام الامهات كارواحنا فكان جوهره ظاهرا في معدن جسمه غير مخفي ببشرية اب وجوهرنا مخفي في معدن جسمنا ببشرية آبائنا إلى آدم فمن ظهور انوار جوهر روحه كان الله تعالى يظهر عليه انواع المعجزات في بدء طفوليته ونحن نحتاج في استخراج الجوهر الروحاني من المعدن الجسماني إلى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الآباء والامهات عن معادننا باوامر استاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبي عليه السلام كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وانسانيته يكون عيسى وقته فيحيى الله بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به اذانا صما وعيونا عميا فيكون في قومه كالنبي في امته فافهم جدا: وفي المثنوي:

عيسى اندر مهد دارد صد نفير * كه جوان نا كشته ما شيخيم وپير[١]

پير پير عقل بايد أى پسر * نى سفيدى موى اندر ريش وسر[٢]

چون گرفتى پيرهين تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر شو[٣]

دست را مسپار جز در دست پير * حق شدست آن دست اورا دستگير

چون بدارى دست خود در دست پير * پير حكمت گو عليم است وخبير[٤]

ثم اعلم انه لما كان النافخ جبرائيل والولد سرّ ابيه كان الواجب ان يظهر عيسى على صورة الروحانيين والجواب انه انما كان على صورة البشر و لم يظهر على صورة الروحانيين لان الماء المحقق عند التمثل كان في امه وهي بشر ولاجل تمثل جبريل ايضا عند النفخ بالصورة البشرية لانها اكمل الصور كما اشار صلّى الله تعالى عليه وسلّم في تجلي الربوبية بصورة شاب قطط وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التي تشهدها الام وتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد حتى قيل ونقل في الاخبار ان امرأة ولدت ولدا صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها اخبرت انها رأت حية عند المواقعة.

وسمع ان امرأة ولدت ولدا له اعين اربع ورجلاه كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهي ناظرة إلى دبين كان عند زوجها ولله اسرار في تكوين الاجساد كيف يشاء وهو على كل شيء قدير كذا في حل الرموز (فَآمِنُوا بِاللهِ) وخصوه بالالوهية (وَرُسُلِهِ) اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية يعني ان عيسى من رسله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها (وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ) أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى (ءانت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين من دون الله) أو الله ثلاثة ان صح انهم

---

(١) در اوائل دفتر دوم در بيان دعوت كردن نوح عليه السلام الخ

(٢) در اواسط دفتر چهارم در بيان كردن رسول صلّى الله عليه وسلّم سبب تفضيل واختيار كردن آن جوان الخ

(٣) در اواخر دفتر يكم در بيان وصيت كردن رسول خدا مر علي را الخ

(٤) در اوائل دفتر پنجم در بيان آنكه ما سوى الله همه آكل ومأكولند

يقولون الله ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة (انْتَهُوا) أي عن التثليث (خَيْرًا لَكُمْ) أي انتهاء خيرا لكم أو ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث (اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) أي واحد بالذات متره عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت أي منفرد في آلهيته (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) أي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد أو سبحوه تسبيحا من ذلك فانه يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع من الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا أهل الجنان فمن كان نشأته وتكوّنه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا ذا امثال فبالاولى ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلي متره عن الامثال والاشباه: وفي المثنوي:

لم يلد لم يولد است او از قدم * نه پدر دارد نه فرزند ونه عم

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ) مستأنفة مسوقة لتعليل التتريه وتقريره أي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى.

قال ابن الشيخ في حواشيه انه تعالى في كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر ان جميع ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة إلى ان ما زعمه المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له لكونه من جملة ما في السموات وما في الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولدا له وزوجة (وَكَفَي بِاللهِ وَكِيلاً) اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فأنى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم أو يعينهم دلت الآية على التوحيد.

كل شيء ذاته لي شاهد * انما الله اله واحد

ومطلب أهل التوحيد اعلى المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم حكي ان وليا يقال له سكري بابا يكون له في بعض الاوقات استغراق اياما حتى

يظنونه ميتا ويضعون على فمه فداما فانتبه يوما فاراد ان يطلق زوجته ويترك اولاده وقال كنت في مجلس النبي عليه السلام في الملكوت مع الارواح وكان النبي عليه السلام يفسر قوله تعالى (وآلهكم اله واحد) يتكلم في مراتب التوحيد على كرسي قوائمه اربع من الانوار الاربعة على حسب المراتب الاربع أي من النور الاسود في مرتبة الطبيعة ومن النور الاحمر في مرتبة النفس ومن النور الاخضر في مرتبة الروح ومن النور الابيض في مرتبة السر فقيل لي في العرش ارسلوا سكري بابا فان اولاده يبكون فلاجل ذلك اريد ان اترك الكل فتضرعوا وحلفوا بان لا يفعلوا مثل ذلك ابدا ففرغ ووجه التسمية بذلك انه كان يعطي سكر الكل من يطلبه حتى طلبوا في الحمام امتحانا له فضرب برجله رخام الحمام قال خذوه فانقلب سكرا فاعتقدوه وزالت شبهتهم.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي[١] الملكوت ليس في الفوق بل الملك والملكوت عندك هنا فان الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم اينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها إلى الله وإلى الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك اذا وصل إلى الفناء الكلي واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففي ذلك المقام لا يرى السالك ما سوى الله تعالى كمن احاطه نور لا يرى الظلمة ألا يرى ان من نظر إلى الشمس لا يرى غيرها وتلك الرؤية ليس بحاسة البصر ولا كرؤية الاجسام بل كما ذكر العلماء وكمل الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين والموحد اذا كان موحدا يوصله التوحيد إلى الملكوت والجبروت واللاهوت اعني الموحد يتخلص من الاثنينية ومن التقيد بالاكوان والاجسام والارواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى (انما الله اله واحد) اللهم اجعلنا من الواصلين.

(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ) في اساس البلاغة استنكف منه ونكف امتنع وانقبض انفا وحمية (أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّهِ) أي من ان يكون عبدا له تعالى فان عبوديته شرف يتباهى بها وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول

(١) افتاده افندى توفي سنة ٩٨٩ هـ. [١٥٨١ م.] في بروسه

الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم تعيب صاحبنا قال (**ومن صاحبكم**) قالوا عيسى قال (**وأي شيء اقول**) قالوا تقول انه عبد الله قال (**انه ليس بعار ان يكون عبد الله**) قالوا بلى بعار فنزلت (وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا والمراد بهم الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ) أي يترفع (عَنْ عِبَادَتِهِ) أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى (وَيَسْتَكْبِرْ) الاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق (فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ) أي فسيجمعهم اليه يوم القيامة (جَمِيعًا) المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم.

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) أي ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا) أي عن عبادته تعالى (وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ) بسبب استنكافهم واستكبارهم (عَذَابًا أَلِيمًا) وجيعا لا يحيط به الوصف (وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أي غيره تعالى (وَلِيًّا) يلي امورهم ويدبر مصالحهم (وَلاَ نَصِيرًا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون اعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام. واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من

المغيبات ومقامهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا في الارشاد.

قال في التأويلات النجمية عند قوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) ما ذكرهم للفضيلة على عيسى وانما ذكرهم لان بعض الكفار قالوا (الملائكة بنات الله) كما قالت النصارى (المسيح ابن الله) قال تعالى (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى) بل فضل الله المسيح عليهم بتقديم الذكر لان المسيح نسب اليه بالبنوة ونسبت الملائكة اليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الاناث كقوله تعالى (للذكر مثل حظ الانثيين) فقدم الله الذكر على الانثى وجعل له سهمين وللانثى واحدا فكما ان للذكر فضيلة على الانثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة اكبر واعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قال (**لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان**) وانا اقول ومن فضيلة عيسى على الملائكة انه اجتمع فيه ما كان شرفا لآدم لانه من ذريته من قبل الأم وما كان شرفا للملائكة اذ قال له ايضا كن فكان فقد وجد في عيسى ما لم يوجد في الملائكة ولم يوجد في الملائكة شيء لا يوجد في عيسى فافهم جدا انتهى كلام التأويلات.

واعلم ان اعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك والاعراض عن توحيده كما ان اصل الاعمال التوحيد والايمان ثم ان الكبر من اكبر السيآت ولذا ورد في بعض الاحاديث مقابلا للايمان قال عليه السلام (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان**) قال السعدي قدس سره:

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون در كند وچو جان در جسد

گر اين دشمنان تقويت يافتند * سر از حكم ورأى تو بر تافتند

حكي ان قاضيا جاء إلى ابي يزيد البسطامي[١] رحمه الله يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاه في عنقك ثم ناد في البلد كل من يلطمني ادفع له جوزة حتى لا يبقى منه شيء فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضي فقال ابو يزيد قد اذنبت لاني اذكر ما يخلصك من كبر نفسك وانت تستغفر منه: قال السعدي:

كسى راكه پندار در سر بود * مپندار هر كزكه حق بشنود

زعلمش ملال آيد از وعظ ننك * شقايق بباران نرويد ز سنك

فعلى العاقل ان يتواضع فان الرفعة في التواضع وهو من افضل العبادة. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) خطاب لعامة المكلفين (قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ) كائن (مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) بواسطة النبي عليه السلام (نُورًا مُبِينًا) عني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة. والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمى القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان في القلوب ولانه تتبين به الاحكام كما تتبين بالنور الاعيان. (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ) حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم (وَاعْتَصَمُوا بِهِ) أي امتنعوا به عن اتباع النفس الامارة وتسويلات الشيطان (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ) ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وَفَضْلٍ) احسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ) أي إلى الله (صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وهو مفعول ثان ليهدي لانه يتعدي إلى مفعولين بنفسه كما يتعدي إلى الثاني بإلى يقال هديته الطريق وهديته إلى الطريق ويكون اليه حالا منه مقدما عليه ولو اخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم إلى صراط الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى مؤديا ومنتهيا اليه تعالى.

والاشارة في الآية ان الله تعالى اعطى لكل نبي آية وبرهانا ليقيم به الحجة على

---

(١) ابو يزيد طيفور البسطامي توفي سنة ٢٦١ هـ. [٨٧٥ م.]

الامة وجعل نفس النبي عليه السلام برهانا منه وذلك لان برهان الانبياء كان في الاشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه وفي الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وكان نفس النبي عليه السلام برهانا بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام (**لا تستبقوني بالركوع والسجود فاني اراكم من خلفي كما اراكم من امامى**) وبرهان بصره (ما زاغ البصر وما طغى) وبرهان انفه قال (**اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن**) وبرهان لسانه (ما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحي يوحى) وبرهان بصاقه ما قال جابر رضي الله عنه انه امر يوم الخندف لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجيىء فجاء فبصق في العجين وبارك ثم بصق في البرمة وبارك فاقسم بالله انهم لأكلوا وهم الف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط أي تغلي وان عجيننا ليخبز كما هو. وبرهان تفله انه تفل في عين علي كرم الله وجهه وهي ترمد فبرئ باذن الله يوم خيبر. وبرهان يده ما قال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وانه سبح الحصى في يده. قال العطاري:

داعئ ذرات بود آن باك ذات * دركفش تسبيح ازان گفتى حصاد

وبرهان اصبعه انه اشار باصبعه إلى القمر فانشق فلقتين حتى رؤي حراء بينهما.

ماه را انگشت او بشكافته * مهر از فرمانش از بس تافته

وبرهان ما بين اصابعه انه كان الماء ينبع من بين اصابعه حتى شرب منه ورفعه خلق عظيم. وبرهان صدره انه كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء. وبرهان قلبه انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وقال (ألم نشرح لك صدرك) وقال (نزل به الروح الأمين على قلبك) وامثال هذه البراهين كثيرة فمن اعظمها انه عرج به إلى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ أو ادنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما اعطي نبي قبله مثله قط وكان بعد ان اوحي اليه افصح العرب والعجم وكان من قبل اميا لا يدري ما الكتاب ولا الايمان وأي برهان اقوى واظهر واوضح من هذا والله اكرم هذه الامة به ومن عليهم فمن آمن به ايمانا

حقيقيا بنور الله لا بالتقليد فتجذبه العناية وتدخله في عالم الصفات فان رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة التخلق بخلقه إلى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم إلى حضرة الله الكريم ولا بد للعبد من الاعتمال والاكتساب في البداية اتباعا للاوامر الواردة في الكتب الالهية والسنن النبوية حتى ينتهي إلى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف في اموره ولذلك كان النبي عليه السلام يقول: (**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا اقل من ذلك**) وقد قال بعض الكبار المريد من لا مذهب له يعني يتمسك باشق الاقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلا وان كان شافعيا ومن المس وان كان حنفيا وتنوير الباطن لا يحصل الا بانوار الذكر والعبادة والمعرفة وتعين على ذلك العبادة الخالصة اذا اديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بازالة خبث الشهوات والاخلاق المذمومات والتوحيد افضل الاعمال الموصلة إلى السعادة وفي الحديث (**ان الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون**) وفي الحديث (**ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد الله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور**).

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) لا غير كما يقال الكرم هو التقوى نزلت في نصارى نجران وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين أو في روحه (قُلْ) يا محمد تبكيتا لهم ان كان الامر كما تزعمون (فَمَنْ) استفهامية إنكارية (يَمْلِكُ) الملك الضبط والحفظ التام عن حزم أي يمنع (مِنَ اللهِ) أي من قدرته وارادته (شَيْئًا) وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها (إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية وكيف يكون آلها من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا عن

غيره والمراد بالأهلاك الامانة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب ولعل انظم امه في سلك من فرض ارادة أهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض وقد أهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين (وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات وهو تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة إلى كون البعض أي من في الارض كذلك أي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشيء من اصل ليس من جنس كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء أو انثى وحدها كخلق عيسى أو منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فينسب كل اليه تعالى لا إلى من اجرى ذلك على يده (وَاللّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وفي المثنوي:

دامن أو كير أى يار دلير * كو متره باشد از بالا وزير[١]

نى چو عيسى سوى كردون برشود * نى چو قارون در زمين اندر رود

---

(١) در اوائل دفتر سوم در بيان جمع آمدن أهل آفت هر صباحى بر در صومعهٔ عيسى عليه السلام

ربي الاعلاست ورد آن مهان * رب ادنى در خور اين ابلهان[١]

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال (**من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل**). وعن الحارث الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**ان الله تعالى اوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فكأنه ابطأ بهن فاتاه عيسى فقال ان الله امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تخبرهم واما ان اخبرهم فقال يا اخي لا تفعل فاني اخاف ان سبقتني بهن ان يخسف بي أو اعذب قال فجمع بني اسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم فقال ان الله اوحى إليّ بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن. اولاهن ان لا تشركوا بالله شيئا فان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ثم اسكنه دارا فقال اعمل وارفع إليّ فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى ان يكون عبده كذلك فان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئا واذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت. وآمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة من مسك كلهم يحب ان يجد ريحها وان الصيام عند الله اطيب من ريح المسك. وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فاوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول هل لكم ان افدي نفسي منكم فجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه. وآمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اسره حتى اتى حصنا حصينا فاحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان الذي هو اكبر الاعداء الا بذكر الله**) قال في المثنوي:

---

(١) در اواسط دفتر سوم در بيان آنكه حق تعالى ملوك را سبب مسخر كردن جباران الخ

ذكر حق كن بانكه غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز[١]

ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد * رخت بر بندد برون آيد پليد[٢]

مى گريزد ضدها از ضدها * شب گريزد چون بر افروزد ضيا

چون در آيد نام پاك اندر دهان * نى پليدى ماند ونى آن دهان

قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**وانا آمركم بخمس الله امرني بهن بالسمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه الاّ ان يراجع**) والربقة بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة واحدة الربق وهي عرى في حبل يشد به اليهم وتستعار لغيره .

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنصارى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) أي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك أو المعنى نحن من الله بمترلة الابناء للآباء وقربنا من الله كقرب الوالد لولده وحبنا اياه كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد اذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت آخر وبالجملة الهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (قُلْ) الزاما لهم وتبكيتا (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) أي ان صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسح وقد اعترفتم بانه سيعذبكم في الآخرة اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع (بَلْ) أي لستم كذلك (أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) أي من جنس ما خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) ان يغفر له من اولئكم المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله (وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

([١]) در اوائل دفتر دوم در بيان تمثيل بر حقيقت سخن الخ

([٢]) در اوائل دفتر سوم در بيان امر كردن حق تعالى بموسى عليه السلام

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من الموجودات لا ينتمي اليه تعالى شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والكل تحت مملوكيته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيىء بما يستدعيه عمله من غير مانع يمنعه وليست المحبة بالدعوى بل لها علامات ولله در من قال:

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

والله تعالى لا يحب من خالف شيئا من شريعة النبي عليه السلام من سننها وفروضها وحلالها وحرامها وانما يحب من اطاع امره ولا فوق بين الناس من حيث الصورة البشرية وانما تفاوقم من حيث العلم والعمل والتقرب إلى الله تعالى: قال السعدي قدس سره:

ره راست بايد نه بالاى راست * كه كافر هم از روى صورت چو ماست

وانما يظهر التفاوت في الآخرة لانها دار الجزاء فطوبى لعبد تفكر في حاله ومصيره فرغب في الزهد والطاعة قبل مضي الوقت قال في المثنوي:

گر بيني ميل خود سوى سما * پر دولت بر كشا همچون هما

ور بيني ميل خود سوى زمين * نوحه ميكن هيچ منشين از حنين

عاقلان خود نوحها پيشين كنند * جاهلان آخر بسر بر مى زنند

ز ابتداء كار آخر را ببين * تا نباشى تو پشيمان روز دين

وحكي ان رجلا جاء إلى صائغ يسأل منه الميزان ليزن رضاض ذهب له فقال الصائغ اذهب فانه ليس لي غربال فقال الرجل لا تسخر بي آت الميزان فقال الصائغ ليس لي مكنسة ثم قال اطلب منك الميزان ايها الصائغ وانت تجيبني بما يضحك منه فقال انما قلت ما قلت لانك شيخ مرتعش فعند الوزن يتفرق رضاضك من يدك بسبب ارتعاشك ويسقط إلى التراب فتحتاج إلى المكنسة والغربال للتخليص فبسبب

فكري لعاقبة امرك قلت ما قلت:

من ز اول ديدم آخر را تمام * جاى ديگر رو ازينجا والسلام

واعلم ان احباء الله هم اولياء الله على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم. فمنهم عوام. ومنهم خواص. ومنهم اخص ولكل منهم مقام معلوم من المحبة.

ورأى بعضهم معروفا الكرخي[١] تحت العرش وقد قال الله تعالى لملائكته من هذا فقالوا انت اعلم يا رب فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يليق الا للقائي وكمال الحب انما يحصل بعد تزكية النفس فان النفس اذا كانت مغضوبة لا تتم الرحمة في حقها وصاحبها انما يحب الله تعالى من وراء حجاب اللهم اجعلنا ممن يحبك حبا شديدا ويسلك في محبتك طريقا سديدا. (يَا أهل الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) حال كونه (يُبَيِّنُ لَكُمْ) الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد (على فَتْرَةٍ) كائنة (مِنَ الرُّسُلِ) مبتدأة من جهتهم وعلى متعلق بجاءكم على الظرفية أي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان الشرائع والاحكام الدينية يقال فتر الشيء يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع ونبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت متواترة بعضها في اثر بعض إلى وقت رفع عيسى عليه السلام (أَنْ تَقُولُوا) تعليل لمجيئ الرسول بالبيان على حذف المضاف أي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ) يبشرنا بالجنة (وَلاَ نَذِيرٍ) يخوفنا بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) متعلق بمحذوف تنبيء عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير أي نذير على ان التنوين للتفخيم.

وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا

(١) معروف الكرخي توفي سنة ٢٠٠ هـ. [٨١٥ م.] في بغداد

احوج ما يكون اليه (وَاللّٰهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وتسعون سنة أو خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي[١] ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يتعللوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم كذا في الارشاد.

وفي الحديث (**انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فانه ليس بيني وبينه نبي**) قال ابن الملك بطل بهذا قول من قال الحواريون كانوا انبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى ومعنى قوله نبي أي نبي داع للخلق إلى الله وشرعه واما خالد بن سنان فان اظهر بدعواه الانباء عن البرزخ الذي بعد الموت وما اظهر نبوته في الدنيا.

وقصته انه كان مع قومه يسكنون بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فأهلكت الزرع والضرع فالتجأ اليه قومه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه إلى المغارة التي خرجت منها ثم قال لاولاده اني ادخل المغارة خلف النار لاطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبل ثلاثة ايام فهو يخرج ويموت وان صبروا ثلاثة ايام يخرج سالما فلما دخل صبروا يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا فظنوا انه هلك فصاحوا به فخرج خالد من المغارة وعلى رأسه ألم حصل من صياحهم فقال ضيعتموني واضعتم قولي ووصيتي واخبرهم بموته وامرهم ان يقبروه ويرقبوه اربعين يوما فانه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمه حمار ابتر مقطوع

---

(١) محمد الكلبي توفي سنة ١٤٦ هـ. [٧٦٤ م.] في بغداد

الذنب فاذا حاذى قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فانه يقوم ويخبرهم باحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية فانتظروا اربعين يوما فجاء القطيع وتقدمه حمار ابتر فوقف حذاء قبره فهمّ مؤمنوا قومه قومه ان ينبشوا عليه فابى اولاده خوفا من العار لئلا يقال لهم اولاد المنبوش قبره فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته واضاعوه فلما بعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم جاءته بنت خالد فقال عليه السلام: (مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه) وانما امر خالد ان ينبش عليه ليسأل ويخبر ان الحكم في البرزخ على صورة الحياة الدنيا فيعلم بذلك الاخبار صدق الرسل كلهم بما اخبروا به في حياتهم الدنيا فكان غرض خالد عليه السلام ايمان العالم كله بما جاءت به الرسل من احوال القبر والمواطن والمقامات البرزخية ليكون رحمة للجميع فانه تشرف بقرب نبوته من نبوة محمد عليه السلام وعلم خالد ان الله ارسله رحمة للعالمين ولم يكن خالد برسول فاراد ان يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمدية على حظ اوفر ولم يؤمر بالتبليغ فاراد ان يحطي في البرزخ بذلك التبليغ من مقام الرسالة ليكون اقوى في العلم في حق الخلق أي ليعلم قوة علمه باحوال الخلائق في البرزخ فاضاعه قومه وانما وصف النبي قومه بانهم اضاعوا نبيهم أي وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من اخباره احوال القبر كذا في الفصوص وشروحه.

واتفق العلماء على انه صلّى الله عليه وسلّم ولد بمكة عام الفيل في عاشر شهر ربيع الاول في ليلة يوم الاثنين منه فلما تشرف العالم وجوده الشريف وعنصره اللطيف اضاءت قلوب الخلق واستنارت فهداهم الله به عليه السلام فابصره من ابصر وعمي من عمي وبقي في الكفر والضلال.

دركار خانهٔ عشق از كفر نا گزيرست * آتش كرا بسوزد گر بولهب نباشد

وانما اضاف تعالى الرسول إلى نفسه وقال رسولنا وما اضاف اليهم لان فائدة رسالته لم تكن راجعة اليهم ولما خاطب هذه الامة واخبرهم عن مجيء الرسول ما اضافه إلى نفسه وانما جعله من انفسهم فقال (لقد جاءكم رسول من انفسكم) ان

فائدة رسالته كانت راجعة إلى انفسهم كما في التأويلات النجمية.

فعلى المؤمن ان يقتفي اثر الرسول صلّى الله عليه وسلّم ويتفكر في الوعد والوعيد فقد جاء البشير والنذير بحيث لم يبق للاعتذار مجال اصلا وروي ان جبير بن مطعم قال كنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم بالجحفة فقال (**أليس تشهدون ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله وان القرآن جاء من عند الله**) فقلنا بلى قال (**فابشروا فان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده ابدا**).

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) نزلت في نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم المار يعقوبية قالوا ان الله حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وَقَالَ الْمَسِيحُ) أي قالوا ذلك والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا الله خالقي وخالقكم (إِنَّهُ) أي الشأن (مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ) أي شيئا في عبادته أو فيما يخص به من الصفات والافعال (فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه إلى المحرم فانها دار الموحدين (وَمَأْوَاهُ النَّارُ) فانها هي المعدة للمشركين (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالاشراك (مِنْ أَنْصَارٍ) أي من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة وهو من تمام كلام عيسى. ثم حكي ما قاله النسطورية والملكانية من النصارى فقال: (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أي احد ثلاثة آلهة والالهية مشتركة بينهم وهم الله وعيسى ومريم (وما من اله الا اله واحد) أي والحال ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الآلهية موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة (وان لم ينتهوا عما يقولون) عن مقالتهم الاولى والثانية ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم) أي والله ليمسنهم ووضع الموصول موضع الضمير لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن بيانية حال من الذين (عذاب اليم) نوع شديد الالم من العذاب يخلص وجعه إلى قلوبهم.

(أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى اللهِ) أي أيصرون فلا يتوبون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة وهمزة الاستفهام لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم وتحضيض على التوبة (وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) بالتوحيد والتتريه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة يغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله. (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) أي ما هو الا مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها كالرسل الماضية من قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر شؤونه وافعاله (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) أي ما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أي صدق الاقوال في المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاحوال في المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة (كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الأَيَاتِ) الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال (ثُمَّ انْظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ) أي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها. وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت أي ان بياننا الآيات امر بديع في بابه واعراضهم عنها مع تعاضد ما يوجب قبولها ابدع.

(قُلْ) يا محمد الزاما لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم من اتخاذ غير الله الها (أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أي متجاوزين اياه (مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا) يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما مع ان اصله ان يطلق على غير العاقل نظرا إلى ما هو عليه في ذاته فانه عليه الصلاة والسلام في اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشيء من الفضائل فكيف يكون الها (وَاللهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو حال من فاعل تعبدون. (قُلْ يَا أهل الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ) أي غلوا باطلا فترفعوا عيسى إلى ان تدعوا له الالوهية كما ادعته النصارى أو تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة كما زعمته اليهود (وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ) يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم (وَأَضَلُّوا كَثِيرًا) أي من تابعهم على بدعهم وضلالهم (وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وحسدوه.

قال الشيخ نجم الدين[١] في تأويلاته ان النصارى لما ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم الفعل وينظروا إلى احوال الانبياء بنظر العقل تاهوا في اودية الشبهات وانقطعوا في بوادي الهلكات جل جناب القدس عن ادراك عقول الانس هيهات هيهات وهذا حال من يحذو حذوهم ويقفوا اثرهم فاطرت النصارى عيسى عليه السلام اذ نظروا بالعقل في امره فوجدوه مولودا من ام بلا اب فحكم عقلهم ان لا يكون مولود بلا اب فينبغي ان يكون هو ابن الله واستدلوا على ذلك بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ويبريء الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويخبر عما يأكلون في بيوقم وما يدخرون وهذا من صفات الله تعالى ولو لم يكن المسيح ابن الله لما امكنه هذا وانما امكنه لان الولد سر ابيه وقال بعضهم ان المسيح لما استكمل تزكية النفس عن صفات الناسوتية حل لاهوتية الحق في مكان ناسوتيته فصار هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم اعلم ان امة محمد لما سلكوا طريق الحق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية اسقط عنهم كلفة الاستدلال ببراهين الوصول والوصال كما كان حال الشبلي حين غسل كتبه بالماء وكان يقول نعم الدليل انتم ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال وفي المثنوي:

---

(١) أحمد نجم الدين الكبرى توفي سنة ٦١٨ هـ. [١٢٢١ م.]

چون شدى بر بامهاى آسمان * سرد باشد جست وجوى نردبان

آينه روشنكه شد صاف وجلى * جهل باشد بر نهادن صيقلى

پيش سلطان خوش نشسته در قبول * جهل باشد جستن نامه ورسول

فهؤلاء القوم بعدما وصلوا إلى سرادقات حضرة الجلال شاهدوا بانوار صفات الجمال ان الانسان هو الذي حمل امانة الحق من بين سائر المخلوقات وهي نور فيض الالوهية بواسطة الانبياء فهم مخصوصون باحسن التقويم في قبول هذا الكمال فتحقق لهم ان عيسى عليه السلام صار قابلا بعد التزكية للتخلية بفيض الخالقية والمحبية كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ويبريء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لا باذنه اعني كان صورة الفعل منه ومنشأ صفة الخالقية حضرة الالوهية وهذا كما ان لكرة البلور المخروط استعدادا في قبول فيض الشمس اذا كانت في محاذاتها فتقبل الفيض وتحرق المحلوج المحاذي لها بذلك الفيض فمصدر الفعل المحرق من الكرة ظاهرا ومنشأ الصفة المحرقية حضرة الشمس حقيقة فصار للكرة بحسن الاستعداد قابلية لفيض الشمس وظهر منها صفات الشمس وما جلت الشمس في كرة البلور تفهم ان شاء الله وتغتنم فكذلك حال الانبياء في المعجزات وكبار الاولياء في الكرامات والفرق ان الانبياء مستقلون بهذا المقام والاولياء متبعون.

قال الامام الغزإلى في قول ابي يزيد انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو اذ من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها لا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله واذا لم يحل في القلب الا جلال الله وجماله صار مستغرقا كأنه هو لا انه هو تحقيقا.

وقوله ايضا سبحاني ما اعظم شأني يحمل على انه قد شاهد كمال حظه من صفة القدس فقال سبحاني ورأى عظيم شأنه بالاضافة إلى شأن عموم الخلق فقال ما اعظم شأني وهو مع ذلك يعلم قدسه وعظم شأنه بالاضافة إلى الخلق ولا نسبة له إلى قدس الرب وعظم شأنه وقول من قال من الصوفية انا الحق فوارد على سبيل التجوز

ايضا كما يقول الشاعر: أنا من اهوى ومن اهوى أنا

وذلك متأول عند الشاعر فانه لا يعني به انه هو تحقيقا بل كأنه هو فانه مستغرق بالهم به كما يكون مستغرق الهم بنفسه فيعتبر هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز.

قال الشيخ ابو القاسم الجرجاني ان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل.

فإن قلت ما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر إلى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر إلى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولا لا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداءة واما النهاية فان ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول وفي المثنوي:

كاركاه كنج حق در نيستيست * غرهٔ هستى چه دانى نيست چيست[١]

آب كوزه چون در آب جو شود * محو گردد در وى وجو او شود[٢]

(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) أي اذكروا ايها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى ابن مريم وهو يوم القيامة (اذْكُرْ نِعْمَتِي) أي انعامي (عَلَيْكَ وَعلى وَالِدَتِكَ) وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم تكليف الشكر اذ قد مضى وقته في الدنيا بل ليكون حجة على من كفر حيث اظهر الله على يده معجزات كثيرة فكذبته طائفة وسموه ساحرا وغلا آخرون فاتخذوه الها فيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم القيامة والفائدة في ذكر امه ان الناس تكلموا فيها ما تكلموا ثم عد الله

---

(١) در أواخر دفتر سوم در بيان تفسير خبر (**لا تفضلوني على يونس بن متى الخ**)

(٢) در اواخر دفتر سوم در بيان جواب گفتن عاشق عادلانرا وتهديد كنندگانرا

تعالى عليه نعمة نعمة فقال (إِذْ أَيَّدْتُكَ) ظرف لنعمتي أي اذكر انعامي عليكما وقت تأييدي لك (بِرُوحِ الْقُدُسِ) أي بجبريل الطاهر على ان القدس الطهور واضيف اليه الروح مدحا له بكمال اختصاصه بالطهر كما في رجل صدق ومعنى تأييده به ان جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة مقررة (تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً) استئناف مبين لتأييده عليه السلام والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء أي من غير ان يوجد تفاوت بين كلامه طفلا وبين كلامه كهلا في كونه صادرا عن كمال العقل وموافقا لكمال الانبياء والحكماء فانه تكلم حال كونه في المهد أي في حجر الام أو الذي يربي فيه الطفل بقوله (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا) وتكلم كهلا بالوحي والنبوة فتكلمه في تينك الحالتين على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت معجزة عظيمة حصلت له وما حصلت لاحد من الانبياء قبله ولا بعده وكل معجزة ظهرت منه كما انها نعمة في حقه فكذلك هي نعمة في حق امه لانها تدل على براءة ساحتها مما نسبوها اليه واتهموها به وحمل مريم ما كان من الرجال كسائر النساء وانما كان بروح منه كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) فهذه نعمة خاصة بمريم وكذلك ولادة عيسى وخلقته ما كانت من نطف الرجال وانما كانت كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فهذه نعمة خاصة بعيسى. والكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب أي خالطه وقيل المراد بتكلمه كهلا ان يكلم الناس بعد ان ينزل من السماء في آخر الزمان بناء على انه رفع قبل ان اكهل فيكون قوله تعالى (وكهلا) دليلا على نزوله وروي ان الله تعالى ارسله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه وينزل على هذا السن ثم يكهل (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجيل) أي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر مع دخولهما في الجنس اظهارا لشرفهما والمراد بالحكمة العلم والفهم لمعاني

الكتب المنزلة واسرارها وقيل هي استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (بِإِذْنِي) ان بتسهيلي وتيسيري (فَتَنْفُخُ فِيهَا) أي في الهيئة المصورة (فَتَكُونُ) أي تلك الهيئة (طَيْرًا بِإِذْنِي) فالخلق حقيقة لله تعالى ظاهر على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب كما ان النفخ في مريم كان من جبريل والخلق من الله تعالى سألوا منه عليه السلام على وجه التعنت فقالوا له اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا ان كنت صادقا في مقالتك فاخذ طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض وانما طلبوا منه خلق خفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا هذا سحر (وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) الاكمه الذي ولد اعمى والابرص هو الذي به برص أي بياض في الجلد ولو كان بحيث اذا غرز بابرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج ولذا خصا بالذكر وكلاهما مما اعيى الاطباء وفي المثنوي:

صومعهٔ عيسى است خوان أهل دل * هان وهان أى مبتلا اين در مهل[١]

جمع كشتندى زهر اطراف خلق * از ضرير وشل ولنك وأهل دلق

او چو فارغ گشتى از اوراد خويش * جا كشتكه بيرون شدى آن خوب كيش

پس دعا كردى وگفتى از خدا * حاجت ومقصود جمله شد روا

خوش روان وشادمانه سوى خان * از دعاى أو شدندى پا روان

آزمودى تو بسى آفات خويش * يافتى صحت ازين شاهان كيش

چند آن لنگئ تو رهوار شد * چند جانت بى عم و آزار شد

(١) در اوائل دفتر سوم در بيان جمع آمدن اهل آفت هر صباحى بر در صومعهٔ عيسى عليه السلام الخ

(وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي) أي تحيي الموتى وتخرجهم من قبورهم احياء قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية كما سبق تفصيله في سورة آل عمران.

قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بيا حي ويا قيوم وهو الاسم الاعظم عند العلماء المحققين (وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ) أي منعت اليهود الذي ارادوا لك السوء عن التعرض لك (إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الواضحة ظرف لكففت (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ) أي ما هذا الذي جئت به الا سحر ظاهر ردا وإنكارا فبقوا على مرض الكفر و لم يعالجوا بعلاج الايمان على يد الحكيم الالهي الحاذق حكي عن الشبلي[١] انه اعتل فحمل إلى البيمارستان وكتب علي بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك فارسل الخليفة اليه مقدم الاطباء ليداويه فما انجحت مداواته قال الطبيب للشبلي والله لو علمت ان مداواتك في قطعة لحم من جسدي ما عسر عليّ ذلك قال الشبلي دوائي فيما دون ذلك قال الطبيب وما هو قال بقطعك الزنار فقال الطبيب اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيبا إلى مريض وما علمنا انا نفذنا مريضا إلى طبيب. قال اليافعي هذا هو الطبيب الحاذق وحكمته من الحكمة التي بها العلل تزول وفيه اقول:

اذا ما طبيب القلب اصبح جسمه * عليلا فمن ذا للطبيب طبيب

فقل هم اولوا علم لدني وحكمة * الهية يشفي بذاك قلوب

وكل مرشد كامل فهو عيسى وقته. فان قلت ان اولياء الله هم الاطباء حقيقة ومن شأن الطبيب ان يعالج ويبريء دون ان يهلك ويمرض فما شأن ابراهيم الخواص اشار باصبعيه إلى عيني رجل في برية اراد ان يسلب منه ثيابه فسقطتا قلت انما دعا ابراهيم على اللص بالعمي ودعا ابراهيم بن ادهم على الذي ضربه بالجنة لان الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الا بعد العقوبة فرأى العقوبة اصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة

---

(١) محمد الشبلي مريد جنيد البغدادي توفي سنة ٣٣٤ هـ. [٩٤٥ م.]

الظالم في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء فتوة منه وكرما فحصلت البركة والخير بدعائه للظالم فجاءه مستغفرا معتذرا فقال له ابراهيم الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ وقد كان الانبياء يدعون مطلقا بحسب الاحوال والمصالح وكل ذلك باذن الله تعالى فهم في دعائهم فانون عن انانيات وجودهم لا يصدر من لسانهم الا حق مطابق للواقع والحكمة والاولياء تلو لهم في ذلك ولكن الناس لا يعلمون وفي المثنوي:

چون بباطن بنكرى دعوى كجاست * او ودعوى پيش آن سلطان فناست

مات زيد زيد اگر فاعل بود * ليك فاعل نيست كو عاطل بود

او ز روى لفظ نحرى فاعلست * ور نه أو مفعول و موتش قاتلست

(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إلى الْحَوَارِيِّينَ) جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وكان بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين اذكر يا محمد وقت ان امرتهم على ألسنة رسلي أو الهمت اياهم والقيت في قلوبهم (أَنْ) مفسرة لما في الايحاء من معنى القول (آَمِنُوا بِي) أي بوحدانيتي في الربوبية والالوهية (وَبِرَسُولِي) أي وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا (قَالُوا) كأنه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا (آَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) أي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله أي اخلص. (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ) أي اذكر يا محمد للناس وقت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته تعالى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ) مفعول ثان للاتخاذ (مِنْ دُونِ اللهِ) حال من فاعل اتخذوني كأنه قيل صيروني وامي آلهين أي معبودين متجاوزين عن الوهية الله تعالى ومعبوديته والمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) لان احدا منهم لم يذهب إلى القول بالهية عيسى ومريم مع القول

بنفي الهية الله تعالى ولما لم يكن المقصود إنكار نفس القول بل قصد توبيخ من قال به ولي حرف الاستفهام المبتدأ و لم يقل كذا لانه يفيد إنكار نفس القول.

قال المولى ابو السعود رحمه الله ليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى (ءانت فعلت هذا بآلهتنا) ونظاهره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام أو من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى (ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) انتهى.

قال في التأويلات النجمية الاثبات بعد الاستفهام نفي كما ان النفي بعد الاستفهام اثبات كقوله (ألست بربكم) أي انا ربكم ونظير النفي في الاثبات قوله تعالى (ءاله مع الله) أي ليس مع الله اله فمعناه ما قلت انت للناس اتخذوني وامي آلهين من دون الله ولكنهم بجهلهم قد بالغوا في تعظيمك حتى اطروك وجاوزوا حدك في المدح ولهذا قال النبي عليه السلام (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم**) انتهى.

فان قيل ما وجه هذا السؤال مع علمه تعالى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقله قيل ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة.

قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع عيسى ولكن كان حقيقة مع الامة لان سنة الله ان لا يكلم الكفار يوم القيامة ولا ينظر اليهم (قَالَ) كأنه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول (سُبْحَانَكَ) علم للتسبيح أي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك أو من ان يقال في حقك ذلك (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ) أي هذا القول (فَقَدْ عَلِمْتَهُ) لاني لا اقدر على هذا القول الا بان توجده فيّ وتكونه بقولك كن فصدوره عني مستلزم لعلمك به قطعا فحيث انتفى العلم انتفى الصدور حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم (تَعْلَمُ مَا

فِي نَفْسِي) أي ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه (وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) أي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك فعبر عما يخفيه الله من معلوماته بقوله ما في نفسك للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله تعلم ما في نفسي فان معلومات الانسان مختفية في نفسه بمعنى كون صورها مرتسمة فيها بخلاف معلومات الله تعالى فان علمه تعالى حضوري لا تنقطع صورة شيء منها في ذاته فلا يصح ان يحمل النفس على المعنى المتبادر (إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَمُ الْغُيُوبِ) ما كان وما يكون.

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أي ما امرتهم الا ما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) تفسير للضمير في به وفي امرت معنى القول وليس تفسيرا لما في قوله ما امرتني لانه مفعول لصريح القول والتقدير الا ما امرتني به بلفظ هو قولك ان اعبدوا الله ربي وربكم (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (مَا دُمْتُ فِيهِمْ) أي مدة دوامي فيما بينهم (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) أي قبضتني اليك من بينهم ورفعتني إلى السماء (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) أي انت لا غيرك كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب لها فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا (وَأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) مطلع عليه مراقب له فعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة.

(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) أي فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه. وفيه تنبيه على انهم استحقوا التعذيب حيث عبدوا غيره تعالى (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي فلا عجز ولا استقباح فانك القادر والقوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل.

فان قلت مغفرة المشرك قطعية الانتفاء بحسب الوجود وتعذيبه قطعي الوجود فما معنى أنّ المستعمل فيما كان كل واحد من جانبي وجوده وعدمه جائزا محتمل الوقوع قلت كون غفران المشرك قطعي الانتفاء بحسب الوجود لا ينافي كونه جائز الوجود بحسب العقل فصح استعمال كلمة ان فيهما لانه يكفي في صحة استعمالها مجرد الامكان الذاتي والجواز وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى ان تعذبهم أي من كفر منهم وان تغفر لهم أي من آمن منهم روي انه لما نزلت هذه الآية احيى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها ليلته وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال (**امتي امتي يا رب**) فبكى فترل جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرئك السلام ويقول لك إنّا سنرضيك في امتك ولا نسوؤك.

(قَالَ اللهُ) أي يقول الله تعالى يوم القيامة عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم (هَذَا) أي يوم القيامة وهو مبتدأ وخبره ما بعده (يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) المراد الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف فالجاني المعترف يوم القيامة بجنايته لا ينفعه اعترافه وصدقه وكذا الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه فانه ليس المراد كل من صدق في أي شيء كان بل في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون إلى ذلك والامم المصدقون لهم المعتقدون بهم عقدا وعملا (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وهو الفوز الكبير. قوله ابدا أي إلى الابد تأكيد للخلود يعني بالفارسية [زمان بود ايشان نهايت ندارد] (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بالطاعة (وَرَضُوا عَنْهُ) بنيل الكرامة والرضوان فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ولذلك قال تعالى (ذَلِكَ) أي نيل الرضوان (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أي النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد وانما عظم الفوز لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وهو الرضي الذي لا

مطلب وراءه اصلا. (لِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه أي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واحياء وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك (وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) بالغ في القدرة متره عن العجز والضعف ومقدس تبارك وتعالى وتقدس. (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ) يقرأ بالتنوين على ان عزيز مبتدأ وابن خبره و لم يحذف التنوين ايذانا بان الاول مبتدأ وان ما بعده خبره وليس بصفة [وعزير بن شرحيا از نسل يعقوبست از سبط لاوى وبچهارده پشت بهارون بن عمران ميرسد] وهو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بإنكار اليهود.

وفي البحر وتذم طائفة أو تمدح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم -روي- ان بختنصر البابلي لما ظهر على بني اسرائيل قتل علماءهم و لم يبق فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله وذهب به إلى بابل مع جملة من اخذه سبايا بني اسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل يدير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها قال (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) قالها تعجبا لا شكا في البعث فالقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعدما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر هو ايضا الناس ومنازله فتتبع أهله وقومه فوجد ابنا له شيخا ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فوجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة اتي عليها مائة وعشرون سنة كانت امة لهم وقد كان خرج عزير عنهم هي

بنت عشرين سنة فقال لهم أنا عزير كان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد إليّ بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحت واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق رجلها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابي شامة مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير.

قال السدي[١] والكلبي لما رجع عزير إلى قومه وقد احرق بختنصر التوراة و لم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فقال لبني اسرائيل يا قوم ان الله بعثني اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم كذا فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله (وَقَالَتِ النصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا أب أو لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذَلِكَ) اشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين (قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) أي ليس فيه برهان ولا حجة وانما هو قول بالفم فقط كالمهمل.

قال الحدادي معناه انهم لا يتجاوزون في هذا القول عن العبارة إلى المعنى اذ لا برهان لهم لانهم يعترفون ان الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون ان له ولدا (يُضَاهِئُونَ) أي يضاهي ويشابه قولهم في الكفر والشناعة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا (قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) أي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله أو اللات والعزى بنات الله (قَاتَلَهُمُ اللهُ)

---

(١) صاحب تفسير السدي توفي سنة ١٢٧ هـــ. [٧٤٤ م.]

دعا عليهم جميعا بالأهلاك فان من قاتله الله هلك فهو من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم لتعذر ارادة الحقيقة ويجوز ان يكون تعجبا من شناعة قولهم من قطع النظر عن العلاقة المصححة للانتقال من المعنى الاصلي إلى المعنى المراد (أَنَّي يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون من الحق إلى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا والاستفهام بطريق التعجب.

(اتَّخَذُوا) أي اليهود (أَحْبَارَهُمْ) أي علماءهم جمع حبر بالكسر هو افصح وسمي العالم حبرا لكثرة كتابته بالحبر أو لتحبره المعاني أو بالبيان الحسن وغلب في علماء اليهود من اولاد هارون (وَرُهْبَانَهُمْ) اي اتخذوا النصارى علماءهم جمع راهب وهو الذي تمكنت الرهبة والخشية في قلبه وظهرت آثارها في وجهه ولسانه وهيئته وغلب في عباد النصارى واصحاب الصوامع منهم (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ) أي كالارباب فهو من باب التشبيه البليغ. والمعنى اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم به طاعة العبيد للارباب فحرموا ما احل الله وحللوا ما حرم الله وفي الحديث (**ان محرم الحلال كمحلل الحرام**) أي ان عقوبة محرم الحلال كعقوبة محلل الحرام وذلك كفر محض ومثاله ان من اعتقد ان اللبن حرام يكون كمن اعتقد ان الخمر حلال ومن اعتقد ان لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد ان لحم الختزير حلال (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) عطف على رهبانهم أي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وجمع اليهود والنصارى في ضمير اتخذوا لا من اللبس (وَمَا أُمِرُوا) أي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في التوراة والإنجيل وبادئ العقل (إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) عظيم الشأن هو الله تعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته بان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة واما اطاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله تعالى (لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) صفة ثانية لا لها (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ما مصدرية أي تنزيها له عن الاشراك به في العبادة والطاعة.

(يُرِيدُونَ) أي يريد أهل الكتابين (أَنْ يُطْفِئُوا) يخمدوا (نُورَ اللهِ) أي يردوا

القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتتره عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة (بِأَفْوَاهِهِمْ) باقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه واصل تستند اليه حسبما حكي عنهم (وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) انما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي أي لا يريد الله شيئا من الاشياء الا اتمام نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الإسلام (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة كلتاهما في موقع الحال أي لا يريد الله الا اتمام نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك بل ولو كرهوا أي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى.

چراغى را كه ايزد بر فروزد * كسى كش پف كند سبلت بسوزد

(هُوَ الَّذِي) أي الذي لا يريد شيئا الا اتمام نوره ودينه هو الذي (أَرْسَلَ رَسُولَهُ) ملتبسا (بِالْهُدَى) أي القرآن الذي هو هدى للمتقين (وَدِينِ الْحَقِّ) أي الدين الحق وهو دين الإسلام (لِيُظْهِرَهُ) أي ليغلب الرسول (على الدِّينِ كُلِّهِ) أي على أهل الاديان كلهم فالمضاف محذوف أو ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة واللام في ليظهره لاثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة. فترل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له مترلة ترتب الغرض على ما هو غرض له (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك الاظهار ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على الهم ضموا الكفر بالرسول إلى الكفر بالله.

قال ابن الشيخ وغلبة دين الحق على سائر الاديان تكون على التزايد ابدا وتتم عند نزول عيسى عليه السلام لما روي ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في

نزول عيسى ويهلك في زمانه الملل كلها الا الإسلام وقيل ذلك عند خروج المهدي فانه حينئذ لا يبقي احد الا دخل في الإسلام والتزم اداء الخراج وفي الحديث (**لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم**) ومعناه لا يكون احد صاحب المهدي الا عيسى بن مريم فانه يترل لنصرته وصحبته والمهدي الذي من عترة النبي عليه السلام امام عادل ليس بنبي ولا رسول والفرق بينهما أن عيسى هو المهدي المرسل الموحى إليه والمهدي ليس بنبي موحى اليه وايضا ان عيسى خاتم الولاية المطلقة والمهدي خاتم الخلافة المطلقة وكل منهما يخدم هذا الدين الذي هو خير الاديان واحبها إلى الله تعالى.

تُحْفَةُ الْعُشَّاقِ

بمراقبة فكري القاصر قد شاهدت ما في هذه الرسالة الأنيقة
من المطالب التي هي بالقبول حقيقة مما تبتهج به القلوب الصافية
وتعيه الأذن الواعية وتربط بسمط لئاليها رابطة الفؤاد
إلاّ من تاه عن منهج السداد شكر الله تعالى مساعي
مؤلفها بحسن القبول وافاض علينا وعليه
من لطفه المشمول وأنا الفقير حيدري
زاده السيد ابراهيم فصيح البغدادي
عن أعضاء مجلس المعارف
العمومية
توفي ببغداد سنة ١٢٩٩ هـ. [١٨٨٢ م.]

تحفة العشّاق

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ذي العزة والجلال الذي تنزهت ذاته وصفاته عن الشبيه والمثال والصلاة والسلام على عبده وحبيبه ورسوله محمد المختار وعلى آله واصحابه ذوي الهدى والاخيار (**أمّا بعد**) فهذه رسالة حريّة ان تسمى مجموعة كتبتها في اثبات الرّابطة التي هي من اعظم اركان الطريقة الصوفية ومدار امرهم قدس الله اسرارهم ونفعنا بعلومهم. مقتصرا فيها على بيان الادلة الشرعية الدالة على وجودها في السنة النبوية غير متعرّض للبحث عن حقائقها واسرارها الباطنية. اذ هي مما يعرف بالذوق والسلوك ولا تفي لذلك طاقة هذا الضعيف المملوك. كيف وهي من اسرار الملوك في السلوك. ايّ ملوك وايّ ملوك. وأنا اسأل الله تعالى ان يحفظني عن الخطإ والغلط. ومن الوقوع في الزلة والسقط. فأقول وبالله التوفيق انّ من جملة الادلة الواضحة فيها قوله تعالى (**إِنَّ اللهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** * الأحزاب: ٥٦) الآية قال الشيخ العارف ابو عبد الرّحمن السلّميّ[١] قدس الله روحه في تفسيره المسمى بالحقائق سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا القاسم البزاز يقول بمصر يذكر عن ابن عطاء رحمة الله عليهم قال الصلاة من الله (وصلة) ومن الملائكة (رفعة) ومن الامة (متابعة ومحبة) حكي عن الواسطي[٢] رحمة الله عليه أنه قال صلّ عليه بالوقار ولا تجعل لها في قلبك مقدارا سألت عبد الواحد السيّاريّ عن هذه اللفظة وكأني استقبحتها فقال لا تجعل لصلاتك عليه في قلبك مقدارا تظن انك تقضي به من حقه شيئا بصلاتك عليه فانك تقضي به حق نفسك اذ حقه اجلّ من ان تقضيه امته اجمع اذ هو في صلوات الله عليه بقوله ان الله

---

(١) محمد السلمي توفي سنة ٤١٢ هــ. [١٠٢١ م.]

(٢) ابوبكر محمد الواسطي توفي سنة ٣٢٠ هــ. [٩٣٢ م.]

وملائكته يصلون على النبي فصلاتك عليه استجلال رحمة على نفسك به (انتهى نقلا بعبارته. وقال القاضي عياض) في الباب الرابع من القسم الثاني في الشفاء نقلا عن ابي بكر القشيري أنه قال (الصلاة من الله لمن دون النبي رحمة) قال الشارح الشهاب اي طلب أنْ يرحمه الله وامّا النبي فمرحوم باعلى انواع الرحمة فهو غير محتاج لان يُدْعىَ له بها (وللنبي صلّى الله عليه وسلّم تشريف وزيادة مكرمة) انتهى بعبارتهما فاعلم ان الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنيّة والمعارف الالهيّة من روح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سواء كانت في حياته او بعد وفاته تتوقّف على حصول المناسبة الروحانيّة بينه وبين المستفيض اذ هي امور روحانيّة فلابدّ من حصولها بينهما بخلاف ما يتعلق بظواهر الشرع وعلم الاحكام فانه يؤخذ من اقواله وافعاله الظاهريّة بمجرد السماع والرؤية فلا حاجة فيه اليها ثم ان تلك المناسبة الروحانيّة لّما لم يتيسّر حصولها الاّ بالتوجه اليه وربط القلب بنور نبوته بالمحبة الكاملة والاتباع التام مع المجاهدات والرياضات الشرعيّة المعينة على تلطيف الطبيعة البشرية وترقيقها المعلومة بتعليمه عليه السلام ارشد الله تعالى عباده الى طريق تحصيلها فامرهم بالصلاة والتسليم عليه لتكونا وسيلة لتوجههم إليه وربط قلوبهم به حتى تحصل لهم تلك المناسبة لاجل استفاضتهم واستمدادهم منه في تكميل نفوسهم لا لاستفادته من دعائهم له اذ هو من حيث كونه مظهر التجليات الرحمانية ومطلع انوار المعارف الربانية ومآخذ علوم الانبياء والأولياء بلا شك ولا شبهة غنيّ بصلوات الله عليه عن صلاة الأمّة ومرحوم باعلى أنواع الرحمة كما عرفت آنفا من اقوال الأئمة (فذلك) هو سرّ تشريع الصلاة والتسليم عليه فان الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبّر معناهما والتفكر في انه على من يصلي ويسلم تسلتلزم التوجه اليه وتصوره وربط القلب به لا محالة وهذا كالبديهيّ عند كل من له ذوق سليم وعقل مستقيم الاّ أنْ يكون القارئ جاهلا غبيّا او غافلا متلهّيا لا يفهم ما يقول ولا يعرف في ايّ ميدان يجول ولا يعطي باله نحو الرسول فهذا تكون صلاته

وسلامه كهذيان النائم او كهجر المريض الهائم فليس لنا فيه كلام (وامّا) على الاعتبار الاوّل فلا بد من التوجه والتصور فاذا تحققا فقد تحققت الرابطة وحصلت اذ هي عبارة عنهما فيحنئذ قد دلّت الآية التزاما على وجودها وثبوتها في السنّة النبوّية وكون الامّة مأمورة بها. مع انّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا عارفين بشخصه الكريم وحِلْيَتِه الشريفة بالمشاهدة على الدوام وعالمين بمعنى اللغة والكلام فهل يتصور منهم ان يصلوا ويسلموا عليه غافلين عنه من غير مطالعة جماله واستحضاره في قلوبهم وهو قرّة عيونهم هذا لعمرك من قبل المحال فاذا قد ثبت وجود الرابطة في السنة النبويّة بلا شكّ ولا جدال والله أعلم بالصواب.

وقال اهل النظر الطلب بلا تصور محال لأنه توجه النفس نحو المجهول وهو محال فالطلب بلا تصور محال وهذا القياس يجري في الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم والمحبة له اذ فيهما من معنى الطلب ما هو غنيّ عن البيان (وإن) قيل يمكن ان يؤوّل ذلك التصور بوجه ما (قلنا) وهذا القدر ايضا كاف في اثبات المدّعى لأن الكلام ههنا في نفس التصور وقد وجد ولو بوجه ما على ان هذا التأويل بالنسبة إلى من لم يتشرف برؤيته اصلا وامّا بالنسبة إلى الصحابة فلا حاجة اليه كما لا يخفى (وقال الفاسيّ)[١] في أوائل شرح دلائل الخيرات عند تحقيق معنى قوله تعالى (**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**) الآية والصلاة اصلها الانحناء والانعطاف مأخوذ من الصَّلَوَيْنِ وهما عِرْقان في الظهر في جانبي الذَنَبِ إلى الفخذين وعظمان ينحنيان في الركوع والسجود قالوا ولهذا كتب في المصحف بالواو وقال السَّهْليّ بعد قوله انها مأخوذة من الصَّلَوَيْن ثم قالوا صلّى عليه اي انْحَنَا عليه رحمة وتعطفا ثم سمّوا الرحمة حنوا وصلاة اذا ارادوا المبالغة فيها فقولك صلّى الله على محمد هو ارقّ وابلغ من قولك رحم الله محمدا في الحنوّ والعطف الى آخره. ويؤيّد هذا ما قاله صاحب تفسير المدارك[٢] عند قوله تعالى

---

(١) محمد مهدي الفاسي توفي سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.]

(٢) مؤلف المدارك عبد الله النسفي توفي سنة ٧٠١ هـ. [١٣٠١ م.]

(**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَئِكَتُهُ** * الأحزاب: ٤٣) الآية لما كان من شأن المصلّي ان ينعطف في ركوعه وسجوده اُسْتُعِيرَ لمن ينعطف على غيره حُنُوّا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلّى الله عليك اي ترحّم عليك وترأفَ (انتهى بعبارته) فهذه العبارات اتم واوضح دلالة عليها مما سبق كما لا تخفى على من تأملها (وقال الفاسيّ) ايضا في شرح الدلائل مصرّحا بالرابطة عند قوله صلّى الله عليه وسلّم (**ان اولى الناس بيّ اكثرهم عليّ صلاة**) الحديث ثم انما كان المكثر من الصلاة عليه أولى الناس به والله أعلم لتقربه واتخاذه عنده يدًا بذلك كما قال عليه السلام لعليّ بن الموفّق[١] رضي الله عنه لما حج عنه حججا فرآه في المنام (هذه يدك عندي اكافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب) ولأن كثرة صلاته عليه تدل على شدة حبه لان من أحب شيئا اكثر من ذكره والمرء مع من أحبّ وشدة محبته له تدل على قوّة متابعته له (انّ المحبّ لمن يحبّ مطيع) ومن كان بهذه المثابة من كثرة الصلاة والمحبة والمتابعة قربت روحه من روحه صلّى الله عليه وسلّم وحصل بينهما التعارف والايتلاف والارتباط والمناسبة فكان من اولى الناس به يوم القيامة لاستمداد نوره من نوره ومتابعته فيه (قال) ثم اطلعت على قول الشيخ ابي عبد الله السّاحليّ[٢] رضي الله عنه في بغية السالك ان من اعظم الثمرات واجلّ الفوائد المكتسبات بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم (انطباع صورته الكريمة) في النفس انطباعا ثابتا متأصّلا متصلا وذلك بالمداومة على الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم باخلاص القصد وتحصيل الشروط والآداب وتدبر المعاني حتى يتمكن حبه من الباطن تمكنا صادقا خالصا يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي صلّى الله عليه وسلّم ويؤلف

---

(١) علي بن الموفق رجل من اولياء الله كان من قدماء مشايخ العراق وصحب ذا النون قيل إنّه حج اربعا وسبعين حجة فاحرم في عدة حجاته بدلا عن النبي عليه السلام واهدى ثوابها إليه فرآه في المنام فقال له هذه يدك عندي اي احسانك الذي اصطنعته عليّ الخ قوله بغية السالك اسم كتاب له

(٢) محمد الأندلسي الساحلي توفي سنة ٨٠٣ هـ. [١٤٠٠ م.]

بينهما في محل القرب والصفاء تأليفا بحسب تمكن حبه من النفس فالمرء مع من احب والحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالوصال قال الله تعالى عزّ وجلّ (**وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩) الآية والارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف انتهى من شرح الدلائل بعبارته).

ومما يدل على وجودها في السنة النبوية قول المصلي في داخل الصلوات في التشهد (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) فإنّ المتكلم بهذا الكلام اذا كان يعلم معناه ويتذكر ان الكاف موضوعة لخطاب الحاضر وكلمة ايها كذلك لنداء الحاضر ثم يتأمل لمن يخاطب وينادي وعلى من يسلّم ويرحم ويبارك كيف يجوّز العقل ان لا يستحضره في ذهنه ولا يتصوره في خياله هذا كالمحال عند كل عاقل متدين منصف فحينئذ قد طلعت شمس الرابطة واشرقت في آفاق القلوب انوارها الساطعة (وقد صرّح) بها الامام حجة الاسلام الغزالي قدّس سره العالي في كتاب اسرار الصلاة من احياء العلوم بقوله (واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدّبا وصرّح بانّ جميع ما تدلّى[١] به من الصلوات والطيّبات اي من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات (واحضر في قلبك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وشخصه الكريم) وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انّه يبلغه ويردّ عليك ما هو اوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين الى آخره (وكذلك) قال الشيخ العارف شهاب الدين[٢] ابو نصر عمر السهرورديّ قدّس سرّه في الباب السابع والثلاثين من عوارف المعارف عند تكلمه على آداب التحيات (ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ويمثّله بين عيني قلبه ويسلّم على عباد الله الصالحين الى آخره (وقال الشيخ) الامام العارف تاج الدين ابو العباس احمد بن عطاء الله

(١) قوله ما تدلّى به اي ما تتقرب به واصله تتدلى كتصدى وتلهى بتائين ثم حذف احداهما قوله من الاخلاق الطاهرة تنبيه على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وهو الأخلاق قوله وليصدق املك اي ليكن رجاؤك صادقا

(٢) شهاب الدين عمر السهروردي الشافعي توفي سنة ٦٣٢ هـ. [١٢٣٤ م.]

الأسكندري[١] في رسالته المشهورة بتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس اذا دخلت في الصلاة فانك تناجي الله سبحانه وتعالى وتكلم رسوله صلّى الله عليه وسلّم لأنّك تقول السلام عليك ايّها النبي ورحمة الله وبركاته ولا يقال ايها الرجل عند العرب الاّ لمن يكون حاضرا انتهى كلامه) وإن قيل هذا التفكر يلزم ايضا عند قراءة قوله تعالى في الفاتحة (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) بملاحظة معنى ضمير الخطاب (قلنا) نعم يلزم ذلك بل عند الذكر وتلاوة القرآن مطلقا كذلك لكن نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن التكلف والتوغّل فيه وامر بالتفكر في آلائه تعالى بقوله (**تفكّروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته**) الحديث فإنّ التفكر فيه تعالى يؤدي الى التصوّر والتخيّل وهو سبحانه وتعالى متزّه عنهما وعن كل ما يخطر بالبال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فاذا غلب على الذاكر هذا التفكر يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه (فهذه من جملة فوائد الرابطة ولها فوائد جليلة اخرى لا تعرف الاّ بالذوق والوجدان (ثم اذا كان التفكر في آلاء الله وفي خلق السموات والأرض مطلقا جائزا ومرغّبا فيه بالحديث المذكور وبقوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) الآية (فكيف لا يجوز ذلك في افضل خلق الله واشرف آلائه واعظم نعمائه محمد رسول الله وحبيبه الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم وبه علّمنا التوحيد والتتريه وخلّصنا من الشرك والعذاب الأليم (وفي خلفائه واتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين فلا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم.

ومما يدل على كونها مسنونة ومرغّبا فيها ما روي في اوّل دلائل الخيرات (إنه قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من آل محمد الذين امرنا بحبهم واكرامهم والبرور بهم فقال أهل الصفاء والوفاء من آمن بي واخلص فقيل له وما علاماتهم فقال ايثار محبتي على كل محبوب (واشتغال الباطن بذكري) بعد ذكر الله وفي رواية اخرى ادمان ذكري والإكثار من الصلاة عليّ (وأيضا) قيل له صلّى الله عليه وسلّم نرى

---

(١) أحمد بن عطاء الله المالكي الشاذلي توفي سنة ٧٠٩ هـ. [١٣٠٩ م.]

مؤمنا يخشع ومؤمنا لا يخشع ما السبب في ذلك فقال من وجد لايمانه حلاوة خشع ومن لم يجدها لم يخشع فقيل بم توجد او بم تنال وتكتسب قال بصدق الحب في الله فقيل وبم يوجد حب الله او بم يكتسب فقال بحب رسوله فالتمسوا رضاء الله ورضاء رسوله في حبهما الحديث (فانظر كيف بيّن كون حبّه سببا ووسيلة لوجود حبّ الله وكسبه وقد قال الله تعالى وابتغو اليه الوسلة وجاهدوا في سبيله (الآية فهل من وسيلة افضل واعلى من محبّة هذا المحبوب الكريم (وعن أنس)[١] رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**لا يؤمن احدكم حتى اكون احبّ اليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين**) (ففي هذه) الأحاديث الشريفة اشارة واضحة بل دلالة صريحة لكون الرابطة والتوجه اليه مسنونة ومرغّبا فيها (وذلك) لأن العشق والمحبة الكاملة البالغة إلى هذه المرتبة تستدعي توجه القلب نحو المحبوب ضرورة فيتصوّره المحبّ في ذهنه متوجها اليه بكلّيته بحيث لا يغفل عنه ساعة ولا ينساه ابدا (فعلى) هذا يكون الترغيب في المحبة ترغيبا في التوجه والرابطة بلا شك كما يدل عليه قوله عليه السلام واشتغال الباطن بذكري صراحة (فلذا[٢] عدل في جواب الشرط الى اتباعه صلّى الله عليه وسلّم في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لم يقل فالله يحببكم بل جعل اتباعه واسطة بينه وبينهم لانه تعالى متره عن التصور والتخيل والنبي عليه السلام نائبه تعالى (كيف) وقد قال له ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايدهم الآية فانابه عنه في المحبة كما انابه عنه في المبايعة (قال) مولانا قدس سره في اوائل المثنوي:

(چون خدا اندر نيايد در عيان * نائب حقند اين پيغمبران)

(وإنما اشار) إلى التوجه بالمحبّة تنبيها على ان التوجه اليه بلا محبة او بالبغض والعداوة والانكار عليه لا يجدي نفعا بل يزيد في المنافرة والمباعدة بخلاف العشق

---

(١) أنس بن مالك بن نضر الانصاري توفي سنة ٩٠ هـ. [٧٠٨ م.]

(٢) قوله فلذا اي للزوم التوجه والتصور في المحبة الكاملة

والمحبة فانه تقرب بذلك روح المستفيض من روح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ويحصل الايتلاف والتعارف والمناسبة بينهما فيستعدّ لقبول الفيض والمعارف الالهية منه عليه السلام فذكر الملزوم الذي هو المحبة واراد لازمها اعني التوجه ليكون ابلغ واشمل في افادة المرام (وقيل) أشار اليه بالمحبة لكونه من قبيل المتشابهات ودفعا لمطاعن أهل الشرك والضلالات بحكم الوقت والزمان لان عصره عليه السلام كان بداية الاسلام قريبا من عصر الجاهلية مع وجود المنافقين بين الامة فلو امر بالتوجه اليه صراحة لاتهمه أهل الشرك والنفاق بمقتضى جهلهم بحقيقة الأمر ولكونهم عميا وبكما وصما مأواهم النار بدعوى الألوهية واستعباد الناس لنفسه (وحاشاه) الله عن ذلك (وقد) أشار الى مثل هذا المحذور الأمام زين العابدين[١] علي بن الحسين بن عليّ كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين بقوله:

إني لأكتم من علمي جواهره * كي لا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا

لقد تقدّم في هذا ابو حسن * الى الحسين ووصّى قبله الحسنا

يا ربّ جوهر علم لو ابوح به * لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمي * يرون اقبح ما يأتونه حسنا

(روى) هذه الابيات عنه حجة الإسلام الغزالي في اوائل منهاج العابدين (والشيخ) محيي الدين بن العربي[٢] في الباب الثلاثين من الفتوحات المكية وقال بعدها فنبه بقوله الوثنا على مقصوده (يعني على الرابطة) ومع ذلك قد علم عليه السلام بأن خلفاءه يبرزونها بعد تمكّن الإسلام ورسوخ الاقدام في التوحيد كالشمس في وسط النهار غير مشتبهة على اولي الأبصار (ومهما) كان فقد حصل المطلوب بحكم العشق والمحبة ضرورة وما مسّت الحاجة الى التصريح لأن احوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين مع النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يكن اقلّ مما قاله القائل:

---

(١) زين العابدين علي توفي سنة ٩٤ هـــ. [٧١٣ م.]

(٢) محيي الدين بن العربي توفي سنة ٦٣٨ هـــ. [١٢٤٠ م.] في الشام

يا منية المتمني شغلتني بك عنّي * ادنيتني بك حتّى ظننت انّي انتا

كما يتبيّن ذلك مما نقله القاضي في الباب الثاني من القسم الثاني من الشفاء (حيث) قال روي ان رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله لأنت احبّ إليّ من اهلي ومالي وإني لاذكرك فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى (**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩) الآية فدعا به وقرأها عليه وفي (حديث) آخر كان رجل عند النبي صلّى الله عليه وسلّم ينظر اليه لا يطرف فقال عليه السلام (**ما بالك**) قال بابي وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية انتهى.

فهل يحتاج الى الامر والتنبيه بصريح المقال من حصل له مثل هذه الحال هكذا كانت احوال الصحابة معه صلّى الله عليه وسلّم حتى اثمرت لهم المحبة القلبية المعيّة الرّوحانيّة التي هي سرّ الصحبة في الحقيقة الذي اشار اليه عليه السلام بقوله (من احبني كان معي في الجنة) فذاقوا به حلاوة الصحبة والايمان ودخلوا جنة المشاهدة والعيان وبه عرفوا قدر الاسلام (وكذلك) كانت احوال التابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين معه بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم (فكلّهم كانوا متوجّهين الى الحضرة النبوية وعاشقين له ورابطين به قلوبهم بالمحبة الكاملة ومستمدّين ومستفيضين من روحانيته العلية بمطالعة جماله وشمائله الشريفة السنية صلّى الله عليه وسلّم غدوة وعشية وان شئت الاطلاع على نبذة من احوالهم (فعليك) بالمراجعة الى الباب الثاني من القسم الثاني من الشفاء لعلك تجد لداء الشك فيه شفاء (فكذلك) يجب ان تكون احوال امته معه بعد وفاته عليه السلام حتى يفوزوا بالسعادات كهؤلاء السادات (وقد ورد) في الحديث المرويّ في الدلائل انه قيل له صلّى الله عليه وسلّم أرأيت صلاة المصلين عليك ممن غاب عنك ومن يأتي بعدك ما حالهما عندك (فقال) (**اسمع**

صلاة اهل محبّتي واعرفهم وتُعْرَضُ عليّ صلاة غيرهم عرضا) وفي الحديث المرويّ في الشفاء[١] عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (قال) **(ما من أحد يسلّم عليّ الاّ ردّ الله عليّ روحي حتى اردّ عليه السلام)** (انتهى) وامثالهما من الاخبار كثيرة فاعتبر ان كنت من اهل البصيرة.

فقد تلخّص من المقالات السابقة (ان الرابطة) كانت تحصل للصحابة رضي الله عنهم اجمعين من شدّة محبتهم وكمال اتباعهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (وكذلك) كان حصولها للتابعين واتباعهم من صحبة الخلفاء الراشدين والأئمة المرشدين (ولما تمادى الزمان وتكدّرت بالاشتغال الدنيوية قلوب الانام وفترت عزايمهم في المحبة بالاخلاص التام احتاجوا الى التنبيه عليها والتصريح بها فامر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتلقيح ارواحهم بارواحهم وتأليفها لاجل الاستفاضة منهم ثم عبّروا عن هذه المحبّة الروحانية الدينية (بالرابطة) لانّ العشق والمحبّة يربط قلب المحبّ بالمحبوب ويقيّده به فيحصل الارتباط الروحانيّ بينهما (وقد يسمّونها نسبة لانتسابه واضافته بها اليهم فصارت اصطلاحا شايعا فيما بينهم كما ان لكل قوم اصطلاحا (ولما كانت الرابطة من اخص اوصافهم واعظم اركان طريقتهم ومدار امرهم (اشتهروا بها بين الناس حتى سمّوهم مرابطين فلم يزالوا يسمونهم في بلاد العرب بهذا الاسم الى يومنا هذا فيعنون به الصوفية المقربين والاولياء العارفين قدس الله اسرارهم (وكذلك) سمّيت طريقتهم طريق العشق والمحبة لأن مدار الامر والعمدة فيها كما عرفت هو المحبة الدينية للرفيق الديني الواصل الموصل الى الله العارف باسرار السلوك في سبيل الله لله وفي الله وفي تحصيل رضاء الله لا لغرض مما سواه (وفي مثل) هذه المحبة يقول الله عزّ وجل في الحديث القدسي المروي في مشارق الأنوار[٢] **(اين المتحابّون بجلالي اليوم اظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ الاّ ظلّي)** الحديث

---

(١) مؤلف الشفاء القاضي عياض المالكي توفي سنة ٥٤٤ هـــ. [١١٥٠ م.] في المراكش

(٢) مؤلف مشارق الأنوار القاضي عياض

(ونقل في الباب الثالث والخمسين من العوارف عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**المتحابّون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون الف غرفة مشرفو على اهل الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابّين في الله عزّ وجلّ فاذا اشرفوا عليهم اضاء حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابّون في الله عزّ وجلّ**) (وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (يقول الله عزّ وجلّ حقّت محبتي للمتحابّين فيّ والمتزوارين فيّ والمتباذلين فيّ والمتصادقين فيّ انتهى منه.

وفي تفسير ابي السعود[١] عند قوله تعالى (**اَلآ اِنَّ اَوْلِيَآءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * يونس: ٦٢) الآية (روي) عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (**انّ من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء الله ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى**) قالوا يا رسول الله خبّرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبّهم قال (**هم قوم تحابّوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فو الله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس**) (الحديث) وفيها اخبار كثيرة اخرى يطول ذكرها فليطلب من مواضعها (وهذه) المحبة اختياريّة وعقليّة فإن العاقل اذا تيقّن منفعته وسلامته في شيء يختاره لنفسه بحكم عقله ولو كان خلاف طبعه كشرب المريض الدواء المرّ باختياره بخلاف ما تحبّه النفوس بالميل الطبيعي كالمحبة الكائنة بين الآباء والاولاد او الحاصلة من النظر الى الاشياء العجيبة والصور الجميلة (فانها جبلّيّة واضطرارية (وقد تنقلب المحبة الاختيارية اضطرارية وذلك حين مشاهدة كمالات المحبوب بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما والدخول الى الحرم الخاصّ بفضل الله تعالى.

(ثم ان الرابطة) وإن كانت اصالة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم الاّ انه لا

---

(١) ابو السعود أحمد العمادي شيخ الإسلام مفتي الثقلين توفي سنة ٩٨٢ هـ. [١٥٧٤ م.] في استنبول

شكّ في جوازها ايضا الى اولياء الله العارفين والمشايخ الكملين الذين هم مأمورون بتسليك العباد وارشادهم فانهم اله واتباعه ونوابه وورثته عليه السلام الذين امرنا بحبهم واكرامهم والبرور بهم كما وقع الاشارة في الحديث السابق اليهم فكما جازت الصلاة والتسليم عليهم تبعا للنبي صلّى الله عليه وسلّم جازت الرابطة اليهم ايضا لانها ليست من الخصايص النبوية بل هي من لوازم الدعوة وتتمة الارشاد والتربية وهم يشاركونه فيها وفي لوازمها من حيث كونهم اتباعه ونوابه الى يوم القيامة (فكيف لا الا ترى قوله تعالى (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي اَدْعُوا اِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** * يوسف: ١٠٨) الآية فانظر كيف اشركهم به في الدعوة وكيف عمّمها بينه وبينهم فلا بدّ ان يفعلوا ما كان يفعله سيّدهم في اثناء الدعوة والارشاد امتثالا لقوله تعالى ولكم في رسول الله اسوة حسنة الآية فهم احقّ الناس اقتداء به واتباعا (وتأمل ايضا كيف اوجب لهم الطاعة علينا بقوله (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي اْلاَمْرِ مِنْكُمْ** * النساء: ٥٩) الآية وان لم يكن هؤلاء السادات اولي الامر فمن هو اجدر منهم بهذا المنصب الرفيع لا سيما اثنى عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله (**والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لاقسمنّ لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحبّبون الله الى عباده ويحبّبون عباد الله الى الله ويمشون في الارض بالنصيحة**) (فهذا الذي ذكر في الحديث هو رتبة المشيخة والدعوة الى الله كما قال السهروردي في الباب العاشر من العوارف وسلّم عليهم ايضا في التحية مع نفسه قائلا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا ريب في كونهم اوتاد الدين وسادات المسلمين رضوان الله عليهم اجمعين.

ومما يشير الى وجود الرابطة وجوازها لغير النبي صلّى الله عليه وسلّم وكونها مما يتقرب به الى الله تعالى قوله عليه السلام في حقّ سيد الاولياء وسند الاصفياء علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه (النظر الى وجه علي عبادة) كما رواه ائمة الحديث ونقله على القاري ايضا في شرح الشفاء وكذا ورد في الحديث النظر

الى وجه العالم عبادة (قال الشيخ) زين الدين الخوافي قدس سره[١] في وصاياه عند عدّه وشرحه الشروط الثمانية الجنيدية (والسابع) دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاده (يعني في اعتقاد السالك) ان هذا المظهر هو الذي عينه الحق سبحانه للافاضة عليّ ولا يحصل لي فيض الاّ بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة من المشايخ ومتى ما يكون في باطن المريد تطلّع الى غير شيخه لم ينفتح باطنه الى الحضرة الوحدانية (فالانسان في الجهات وله بدن وروح والله سبحانه متره عن الجهات فحكمته اقتضت لاستفاضة من في الجهة عن الفياض الحق الّذي ليس في الجهة ان عيّن (للبدن) الانساني المركب من الكثرات الكثيرة جهة واحة يكون توجهه من تلك الجهة الواحدة الى الحضرة الواحدية (وهي الكعبة) في عالم الاجسام والابدان وعيّن للروح الانساني الذي هو مهبط انوار الصفات الالهية جهة واحدة يكون من تلك الجهة توجهه اليه تعالى فتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عالم الأرواح (فكما لا تقبل الصلاة الاّ بالتوجه الى الكعبة لا يحصل التوجه الى الله الاّ باتباع رسوله عليه السلام والتسليم له وربط القلب بنبوته وانه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الانبياء وانهم وان كانوا انبياء الله تعالى وكلهم على الحق (ولكن لا يحصل من الله فيض الاّ من ارتباط القلب بمحمد رسول الله عليه الصلاة والسلام فبتوجه البدن الى الجهة الواحدة وبتوجه الروح الى الجهة الواحدة حصل للانسان استعداد الاستفاضة من الحضرة الوحدانية (ومن ههنا تُعْرَفُ ان المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط (وقد ورد في بعض الاحاديث على ما اثبت المشايخ في كتبهم[٢] ان الشيخ في قومه كالنبي في امته (فلا بد للمريد ان يتوجه الى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق ان الفيض لا يجئ الاّ بواسطته وإن كان الاولياء كلهم هادين

(١) زين الدين الخوافي محمد الخلوتي توفي سنة ٨٣٨ هـ. [١٤٣٥ م.]

(٢) ككتاب (كنوز الدقائق) لعبد الرؤف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ. [١٦٢١ م.] في القاهرة

مهديين يعتقد كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاص واستفاضته يكون من روحانية شيخه ويعلم ان استمداده من شيخه استمداده من النبي صلّى الله عليه وسلّم فان شيخه متعلّق مستمد بشيخه وشيخه بشيخه ايضا هكذا الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو مستمدّ بالحقيقة من رسول الله عليه السلام وهو من الحق جل اسمه سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (فالربط) بالقلب مع الشيخ اصل كبير في الاستفاضة بل هو اصل الاصول وهذا بالغ المشايخ قدس الله ارواحهم في رعاية هذا الشرط حتى قال (نجم الدين) الكبرى[١] قدس الله سره انه الاستاد بالنسبة الى الادوات في صنعة المرآة فكما ان المطرقة والسندان والمنفخ والفحم والنار وغيرها من الآلات اذا اجتمعت ولا يكون ثمة استاد يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة كذلك الشرائط السبعة الجنيدية للخلوة لا يتصفى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ وقد جربناها فوجدنا كما قال قدس سره (واكثر المريدين اذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون الاّ من هذه الجهة اعني عدم ربط القلب بالشيخ بالتسليم والاذعان والمحبّة الصادقة والاعتقاد (فالاعتراض يسدّ باب الفيض ولهذا قال المشايخ في ادب المريد ان يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال فالميت هل يعترض على الغسال ان غسل عضوا من اعضائه قبل عضو آخر ام يحركه او يتصرف فيه بما يرى من المصلحة انتهى كلامه نقلا (وقال العارف السهروردي في الباب الحادي والخمسين من العوارف (سمعت ان الشيخ عبد القادر الگيلاني قدس سرّه[٢] كان اذا جاء اليه فقير (اي مريد) زائرا يخبر بالفقير فلا يخرج اليه ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع الى خلوته واذا جاء احد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار من هذه المعاملة فانتهى ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الشيخ (رابطتنا مع الفقير

(١) نجم الدين الكبرى استشهد سنة ٦١٨ هـ. [١٢٢١ م.] في خوارزم

(٢) السيد عبد القادر الگيلاني توفي سنة ٥٦١ هـ. [١١٦٦ م.] في بغداد

رابطة قلبية) وهو اهل وليس عنده اجنبية فنكتفي معه بموافقة القلوب ونقنع من ملاقاة الظاهر بهذا القدر واما من هو من غير الجنس فهو واقف مع العادات الظاهرية فمتى لم نوف حقه من الظاهر استوحش انتهى (وكذلك) ذكرها الملا جامي[١] قدس سرّه في مواضع عديدة من تصانيفه وعلى الخصوص نبّه على شدة لزومها في شرح الرباعيات وفصّل الكلام فيه وقال في رسالته المشهورة بتوجه خواجگان وهيچ طريق ازين اقرب نيست (واليها) يشير مولانا جلال الدين[٢] ايضا في اوائل المثنوي بقوله:

(مهر پاكان در ميان جان نشان * دل مده الاّ بمهر دلخوشان)

وكذلك نبّه عليها في اوائل المجلد الثاني بأبيات كثيرة من جملتها قوله:

(چون خليل آمد خيال يار من * صورتش بت معنى او بت شكن)

(شكر يزدانراكه چون او شد پديد * در خيالش جان خيال خود بديد)

(وقال في المجلد الخامس في قصة طاوس:

من نخواهم لطف حق از واسطه * كه هلاك خلق شد اين رابطه)

اعلم ان المراد من الرابطة المذكورة في هذا البيت هو الاسباب الظاهرية والوسايط الاجنبية التي تكون حجابا بين الطالب والمطلوب كالسحاب الكثيف المعترض بين القمر والناظر اليه فليست شاهدة لما نحن فيه انما عبر عن تلك الوسايط والتعلقات بهذه اللفظة تلميحا الى الرابطة المقصودة التي استثناها منها بقوله (مثنوي):

(يا مگر ابرى كه گيرد خوى ماه * تا نگردد او حجاب روى ماه)

(صورتش بنمايد و در وصف لا * همچو جسم انبيا و اوليا)

(آنچنان ابرى نباشد پرده بند * پرده در باشد بمعنى سودمند)

فالمستثنى المذكور في هذه الابيات هو الشاهد للمطلوب لان مآل الكلام في هذا المقام كأنه يقول كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب الاّ رابطة

---

(١) ملا عبد الرحمن نور الدين الجامي توفي سنة ٨٩٨ هـ. [١٤٩٢ م.]

(٢) محمد جلال الدين الرومي توفي سنة ٦٧٢ هـ. [١٢٧٣ م.] في قونية

الانبياء والاولياء الذين افناهم الله عنهم وابقاهم به وتخلقوا باخلاقه ليست كذلك بل هي خارقة الحجاب وقاطعة التعلقات والاسباب كما بينا في هذه الابيات والله اعلم بالصواب (وقال) ايضا في المجلد السادس مصرحا بكونها معجزة انفسية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم باقية مستمرة الى يوم الدين وكرامة لخلفائه المرشدين الكاملين متجددة في قلوبهم وفي قلوب السالكين كل وقت وحين بقوله:

(معجزاتى و كراماتى خفى * بر زند بر دل زپيران صفى)

(كاندرونشان صد قيامت نقد هست * كمترين آنكه شود همسايه مست)

(پس جليس الله گشت آن نيك بخت * كه به پهلوى سعيدى برد درخت)

(معجزه كان بر جمادى كرد اثر * يا عصا يا بحر يا شق القمر)

(گر اثر بر جان زند بى واسطه * متصل گردد به پنهان رابطه)

إلى أن قال:

(بر زند از جان كامل معجزات * بر ضمير جان طالب چون حيات)

وله فيه ابيات كثيرة اخرى تشير الى هذا المعنى ايضا يعرفها اربابها (وكذلك) ذكرها الشيخ العارف الجليل المشهور باشرف زاده[١] في عدة مواضع من كتابه المسمى بمزكي النفوس وبالغ في التأكيد عليها (وكذا) الشيخ العارف المشهور صاحب التصانيف الجليلة محمد الخادمي[٢] ذكرها في رسالته المعمولة في الطريقة النقشبندية وغيرهم من الاكابر لا يحصى عددهم قدس الله اسرارهم.

(ثم إن قيل كف يتصور النبي صلّى الله عليه وسلّم من لم يره اصلا وكيف يحضره في قلبه (فالجواب) بمطالعة شمائله الشريفة وضبط حليته المنيفة من كتب الاحاديث الصحيحة وقد الف العلماء عدة كتب في هذا الشأن وبينوها فيها باوضح بيان وإن كان ممن تشرف بزيارة قبره عليه السلام فيتصور في نفسه كأنه حاضر في الروضة المطهرة

---

(١) اشرف زاده عبد الله الحنفي القادري توفي سنة ٨٨٩ هـ. [١٤٨٤ م.] في ايزنيك

(٢) محمد الخادمي توفي سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٢ م.] في قونية

ومشغول بزيارته فهذا اسهل من الأوّل (ومن الآداب) المهمّة في هذا المقام الاحتراز من الدعاء والالحاح لطلب ظهوره صلّى الله عليه وسلّم بصورته له عيانا بل ينبغي ان يكتفي بالملاحظة الاجمالية والاستحضار بقدر الامكان من ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة وهذا القدر يكفي في تحصيل المناسبة الروحانيّة وإن لم يُرَاع هذا الادب يُخْشى عليه من تشوّش الحال وغلبة الاستغراق فليحترز منه ثم اذا حصل الاستعداد التام بمحبته واتباعه عليه السلام وترقي الحال والمقام عسى أن تنجلي له روحانيته العلية فيحصل المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو الكريم المِنْعَام.

ومن ههنا قد ظهر وجه الاحتياج الى انتساب المرشد الكامل الحيّ الذي هو نائب الحق والرسول وخليفتهما المأمور بالارشاد (وذلك لأن الرابطة وإن امكن كونها للنبي صلّى الله عليه وسلّم بالوجه المذكور لكن فيه من الصعوبة والمشقّة ما لا يخفى لا سيّما بالنسبة الى السالكين المبتدئين فانهم فضلا عن قلة اقتدارهم وضعف عزائمهم على احضار شخصه عليه السلام بتمامه في قلوبهم وتصوره بحليته الشريفة بكمالها في اذهانهم يحتاجون الى الوعظ والنصيحة وتعليم سائر آداب الطريقة ظاهرا بالمقال كما يحتاجون الى التربية والترقية باطنا بالحال وتحصيل تلك الامور من الحضرة النبوية بالنسبة اليهم متعسرة بل متعذّرة بحسب العادة وحكم حجاب البشرية فتفضل الله سبحانه وتعالى بنصب الخلفاء والنواب المرشدين تسهيلا على عباده المستعدين للسلوك الى جنابه الاقدس وكرمه المقدس (وقد نصّ العارفون في تصانيفهم على ان العالم لا يخلو عنهم ما دامت الشريعة المحمدية باقية وساحة الدين معمورة الى يوم القيام ان شاء الله الرحمن (ولكن الطالب قد لا يتيسّر له الوصول اليهم اما بسبب بُعد المسافة والمكان او لعدم وقوفه واطلاعه عليهم اصلا فحينئذ يسوغ له التوجه الى روحانيته صلّى الله عليه وسلّم على الوجه المذكور مع رعاية الشروط الاتية (وهي ان يتوب الى الله تعالى اوّلا من كل ذنب بالتوبة الصادقة الناصحة عازما على ان لا يعود اليه ابدا (وبعد ان صحح عقيدته على مذهب أهل

السنة والجماعة يتمسك بالشريعة المطهرة على وجه العزيمة قولا وفعلا وعملا واعتقادا (ويراعي التقوى في جميع اموره على حسب الطاقة والامكان قال تعالى (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** * التغابن: ١٦) فان التقوى اصل هذه الطرقية واساسها وسبب ظهور الرابطة وجلاءها فانها تظهر برعايتها وتختفي باخلال شيء فيها فهي في الحقيقة ميزان التقوى ومعيار حصول رضاء الله تعالى (فاذا مهّد هذا الاساس واحكمه وايّده يتوجه إلى الروحانية المقدسة النبوية متوسلا بها ومستشفعا منها لتحصيل رضاء الله تعالى حال كونه مواظبا على تلاوة القرآن العظيم قارئا منه كل يوم مقدار ما تيسر له جهرا بالخشوع والتعظيم الاّ انه لا يقرأ منه اقل من حزب واحد والزيادة لا حدّ لها (وإن لم تكن له قدرة على التلاوة فحينئذ يلازم كلمة التوحيد التي هي زبدة القرآن وخلاصته وافضل الذكر واعظمه فيقرأها كل يوم جهرا أو خفيا قدر ما يسّر الله له نافيا من يمينه ومثبتا الى شماله كما ثبت تلقينها عن الرسول بالخبر المنقول لابن عمه وخليفته زوج فاطمة البتول رضي الله تعالى عنهما (لكنه لا يقرأها اقل من ثلاثمائة مرة واما الزيادة فلا حدّ لها كذلك قال السهروردي قدس سرّه في الباب السابع والعشرين من العوارف ان السالك قد يصل الى مرتبة ذكر الذات التي هي اعلا مراتب الذكر بتلاوة القرآن فقط اذا اكثر من تلاوته واجتهد في مواطأة القلب مع اللسان كما انه يصل اليها بمداومة كلمة التوحيد (وقال ايضا في الباب الاخير منه (ولا بد للمبتدي ان يكون له حظّ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ منه قدر ما تيسّر او جميعه ولا يُصْغِي الى قول من يقول ملازمة ذكر واحد افضل من تلاوة القرآن فانه يجد بالقرآن وبتلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى) ثم فصل فيه الكلام فليراجع للتحقيق اليه (ويقرأ كل يوم بعد صلاة العصر مائة مرة (استغفر الله العظيم) وعقيب هذا مائة مرة (اللّهمّ صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) ويكتفي بما ذكر من التلاوة والاذكار فقط ولا يجوز له الاشتغال بغيرها من الاوراد والأدعية المختلفة اصلا سواء كانت مأثورة او منقولة عن المشايخ الكبار فانها

تشوّش الحال وتخالف ترتيب السلوك (ويجتهد ايضا في تقليل الغداء عن عادته الاصلية شيئا فشيئا بالتدريج فان الجوع غداء الارواح ومفتاح ابواب الملكوت كما ان كثرة الاكل والشبع سدادها ومغلاقها فاقلّ ما يكون يصوم يومين او ثلاثة ايام من كل اسبوع مع رعاية قلة الاكل في الافطار والسحور ولو صام صيام داود عليه السلام لكان احسن كما ورد في الحديث (احبّ الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (وينبغي ان لا يغفل عن احياء الليالي بصلاة التهجد والتلاوة (ولا ينسى صلاة الاشراق والضحي والاوابين ايضا (ولو ترك كثرة الكلام ولازم الوحدة والعزلة عن الانام لكان له احسن من كل الوجوه واتم للمرام وقد قيل الوحدة منية الصديقين وقرة عيون السالكين لانها تصفي القلوب عن الكدورات وعكسها يكدر الاوقات وبها نالوا ما نالته الابدال والاوتاد (وإن استولى الخواطر والوساوس على قلبه فلا يلتفت اليها ولا يشتغل بها بل ينبغي ان يصرف باله نحو الرابطة فيندفع ذلك بعناية الله تعالى وهذه ايضا من جملة فوائدها (ثم يستمرّ على هذه الاعمال بلا فتور وملال ويلازم باب الله بالعجز والافتقار حتى يفتح له باب العطاء والنوال او يموت على هذه الحال قال تعالى (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** * الحجر: ٩٩) وقال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالاِنْسَ اِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** * الذاريات: ٥٦).

(وبهذه) الشروط والآداب بعينها قالوا يجوز ان يتوجه ايضا الى روحانية ولي من الأولياء المشهورين بالارشاد كعبد القادر الگيلاني ومولانا جلال الدين الرومي ومولانا خالد البغدادي[١] وغيرهم قدس الله ارواحهم فيختار واحدا منهم ثم يتوجه الى روحانيته ويتصوره في ذهنه بما يعرفه من اوصافه بقدر الامكان خصوصا عند الذكر وتلاوة القرآن يتخيل في نفسه كأنه حاضر لديه وهو ناظر اليه وإن كان بجوار قبره يلازم الى زيارته ويقرأ الفاتحة والإخلاص والصلاة على النبي صلّى الله عليه

---

(١) خالد البغدادي الشافعي المجدّدي توفي سنة ١٢٤٢ هــ. [١٨٢٦ م.] في الشام

وسلّم ويُهدي ثوابها اليه فيسترشد ويستمدّ منه في تحصيل رضاء الله تعالى (فبهذه الطرقية يمكن ان تحصل المناسبة الروحانية بينهما ويصل إلى المطلوب (ويقال) لمن تربّى من الروحانية اويسي نسبة له الى اويس بن عامر القرني رضي الله عنه فانه ادرك النبي صلّى الله عليه وسلّم و لم يره فتربى من روحانيته في الحياة وبعد الوفاة وقد تربّى بهذه الطريقة جمّ غفير من الأولياء كأبي يزيد البسطامي وابي الحسن الخرقاني[١] والشيخ عطار واسماعيل التلوي والشيخ احمد نامقي[٢] وغيرهم على ما ذكر وهم في طبقاتهم ومناقبهم قدس الله اسرارهم. (وهذه المسألة) تُشبه مسألة التيمّم فكما ان المحدث اذا اراد اقامة الصلاة و لم يجد الماء فيتيمّم ويصلي به حتى يصل الى الماء ولا يترك الصلاة والعبادة كذلك الطالب الصادق اذا اراد السلوك في طريق اولياء الله تعالى و لم يجد مرشدا كاملا حيا فلا يتعطل عن الاعمال والمجاهدة بل يتوجه الى روحانيتهم ويستمد ويستفيض منهم ولا يشك في امدادهم وارشادهم له وافاضتهم عليه فان تصرفاتهم في عالم البرزخ باقية كما في الحياة الدنيوية بل اعلى واقوى منها قال تعالى (**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** * يونس: ٦٤) الآية وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار**) (وقال) ملا جامى در بهارستان (بيت):

تن بود چون غلاف وجان شمشير * كار شمشير ميكند نه غلاف

ثم اذا سهل الله له الوصول الى مرشد كامل حيّ فحينئذ ينبغي ان يسلّم اليه اموره ويعمل برأيه ولا يخالفه في حكمه. فاما تعريف المرشد وبيان اوصافه وعلاماته (فذلك مذكور في المفصلات من كتب التصوف وعلى الخصوص في مزكي النفوس فليراجع للتحقيق اليها والله أعلم بالصواب.

(إخطار) قد ذكر الشيخ الاكبر في الفتوحات المكيّة كيفية العمل قبل وجود

---

(١) أبو الحسن الخرقاني علي توفي سنة ٤٢٥ هـ. [١٠٣٤ م.]

(٢) أحمد نامقي الجامي توفي سنة ٥٣٦ هـ. [١١٤٢ م.]

المرشد حيث (قال الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من وظايف الأعمال قبل وجود الشيخ (الى آخره) (وكذلك) الشيخ اشرف زاده قدس سره ذكرها قريبا من اواخر مزكي النفوس بقدر عشرة اوراق منه بعد مائتين كيفية دخول الخلوة وفوائد الرابطة وفضائل الذكر حيث (قال) بو ديدكلرم اول وقتدر كم مرشد كامله ألى ايرشميه بو ديدكلرم گبى مشغول اوله ثم اشار الى الصحبة الروحانية وذكر سبب ورود قوله عليه السلام المؤمنون لا يموتون الحديث الى آخره (وكذا) الشيخ اسماعيل الحقي قد ذكرها وبينها في عدة تصانيفه وعلى الخصوص في اواخر التحفة الوسيميّة عند بيانه اقسام الصحبة (فمن) اراد الاطلاع على هذه المسألة فليراجع الى تلك الكتب والله الموفق (قال) حافظ الشيرازي[١] قدس سرّه:

(عاشقكه شدكه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وگر نه طبيب هست)

وقال كمال الخجندي[٢] قدس سرّه في قصيدته:

(مريدان طالب پيرند وپيران ظاهر وپيدا * دريغا تشنه لب خواهند مردن بر لب دريا

مكو اصحاب دل رفتند وشهر عشق شد خالى

جهان پرشمش تبر بزست مردى كو چو مولانا)

(فائدة) قال الامام فخر الدين الرازي[٣] رحمه الله في كتابه المسمى بالمطالب العالية سألني بعض اكابر الملوك بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور وهو الملك محمد[٤] بن سام بن الحسين الغوري وكان رجلا حسن السيرة مرضي الطريقة شديد الميل إلى العلماء قويّ الرغبة في مجالسة اهل الدين والعقل فكتبت له فيه رسالة وأنا اذكر ههنا ملخّص ذلك الكلام فنقول الكلام فيه مبني على مقدمات (المقدمة الولى) انا قد دللنا على ان النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الابدان (المقدمة الثانية) ان تلك

---

(١) الحافظ الشيرازي محمد توفي سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.]

(٢) كمال مسعود الخجندي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٩٠ م.] في تبريز

(٣) الامام فخر الدين الرازي محمد الشافعي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

(٤) السلطان غياث الدين محمد توفي سنة ٥٩٨ هـ. [١٢٠١ م.]

النفوس التي فارقت ابدانها اقوى من هذه النفوس المتعلقة بالابدان من بعض الوجوه وهذه النفوس اقوى من تلك من وجه آخر اما ان النفوس المفارقة اقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه فهو ان تلك النفوس لما فارقت ابدانها فقد زال الغطاء والوطاء وانكشف لها عالم الغيب واسرار منازل الآخرة فصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالابدان ضرورية بعد مفارقة الابدان وكانت تلك النفوس الروحانية حين كانت النفس بدنية تحت غبار وبخار فلما زال البدن اشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت فحصل للنفوس المفارقة عن الابدان بهذا الطريق نوع من الكمال (وأما) ان النفوس المتعلقة بهذه الابدان اقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر فلان آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس فهذه النفوس بواسطة الافكار المتلاحقة والانظار المتعاقبة تستفيد في كل يوم علما جديدا وبحثا زائدا فهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة (المقدمة الثالثة) ان تعلق النفوس بابدانها تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام ولهذا السبب ان كل شيء يطلب تحصيله في الدنيا فإنما يطلب ليتوصّل به الى ايصال الخير والراحة الى هذا البدن (واذا ثبت هذا فاذا مات الانسان وفارقت النفس هذا البدن فذلك الميل يبقى وذلك العشق لا يزول فتبقى تلك النفس عظيمة الميل الى ذلك البدن عظيمة الانجذاب اليه لا سيما على المذهب الذي نصرناه من ان النفوس الناطقة مدركة للجزئيات وانها تبقى موصوفة بهذا الادراك بعد الموت (فاذا) عرفت هذه المقدمات فنقول انّ الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة تأثرت نفسه من تلك التربة وحصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت ان لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة ايضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الاخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والاخلاق الفاضلة من الخضوع لله

تعالى والرضا بقضاء الله ينعكس معه نور الى روح ذلك الانسان الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الانسان الميت من العلوم المشرفة والآثار القوية الكاملة فانه ينعكس منها نور الى نور هذا الزائر الحي (وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور (فهذا) هو السبب الاصلي في شرعية الزيارة ولا يبعد ان يحصل فيها اسرار اخرى ادقّ واحقّ مما ذكرناه وتمام العلم بالحقايق ليس الاّ عند الله تعالى) انتهى كلامه نقلا).

ومن اهم المهمات واعظم الشرائط في هذا الباب اخلاص النية وقصرها على تحصيل رضاء الله تعالى لا غير فان العبادة مع الاخلاص من جملة الفرائض في الدين قال تعالى (**وَمَا أُمِرُوا اِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** * البينة: ٥) وقال سبحانه وتعالى (**اَلاَ لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** * الزمر: ٣) وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إنما الأعمال بالنيات ولكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر اليه**) الحديث (فالواجب) على السالك عند شروعه في هذه الاعمال تصفية النية واخلاصها لله وتفريغ القلب عما سواه اوّلا ثم يقول بلسانه وقلبه (الهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ولا يمزجه كلاما آخر ولا يضمر في قلبه حاجة من الحاجات الدنيوية والاخروية سوى طلب الرضاء واداء وظائف العبودية ولا يقصد حصول كشف وكرامة ولا الاطلاع على المغيّبات حتى لو ظهر له شيء منها بلا قصد لا يلتفت اليه ولا يشتغل به بل ينبغي ان يفر منه إلى الله تعالى خوفا من ان يكون ذلك فتنة واختبارا في الخلاصة ولو اشتغل به وركن اليه ينسد عليه باب الترقي والزيادة في السلوك بل ربما يكون سببا لمردوديته عن الطريقة وخذلانه وخسرانه من حيث لا يشعر فليحترز منها غاية الاحتراز (قال السهروردي في الباب الاخير من العوارف نقلا عن الجنيد قدس الله سرهما انه قال اكثر العوائق والحوائل والمواقع من فساد الابتداء فالمريد في اول سلوك هذا الطريق يحتاج الى اِحكام النية واِحْكام النية تنزيهها من دواعي الهوى وكلّ ما كان

للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى (انتهى) وقال صاحب القاموس[١] في مقدمة البصائر عند تكلمه في الاخلاص ولّما لزم الامام ابو حامد الغزالي الخلوة اربعين يوما رجاء لظهور ينابيع الحكمة من قلبه عملا بما بلغه من الخبر النبوي (**من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**) و لم ير ذلك تعجب من حاله فرأى في منامه انه قيل انك لم تخلص لله انما اخلصت لطلب الحكمة (انتهى) وكذلك لا يقصد باعماله حصول امر من الامور او عدم حصوله فلا يدعو لجلب منفعة او لدفع مضرة سواء كان لنفسه او لغيره بل يفوض الامور الى الله ويسلمها اليه حتى يتصرف في ملكه كيف ما يشاء فانه هو العليم الحكيم يعلم حوايج عباده ويدبرها بمقتضى حكمته ومشيئته قال تعالى (**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** * الطلاق: ٣) وقال (والله يتولى الصالحين) روي في تفسير اللباب[٢] عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان ابراهيم عليه السلام قال حين اوثقوه ليلقوه في النار (لا اله الاّ انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك) ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل عليه السلام فاسأل ربك فقال ابراهيم عليه السلام (حسبي من سؤالي علمه بحالي) انتهى وفي الحديث القسي يقول الله عزّ وجلّ (**من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين**) (ونقل الشيخ اسماعيل الحقي في تفسير روح البيان في سورة الزخرف عند قوله تعالى (**وَسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلْنَا** * الزخرف: ٤٥) الآية عن بعض الكبار (أنه قال لا تطلب مولاك مع شيء من الدنيا والآخرة ولا من الظاهر والباطن ولا من العلم والعرفان ولا من الذوق والوجدان ولا من الشهود والعيان بل اطلبه بلا شيء حتى تكون طالبا خالصا مخلصا له الدين الى آخره وفيه فوائد كثيرة اخرى فليطلب منه (فالواجب) على السالك تفويض الامور

---

(١) محمد فيروزآبادي توفي سنة ٨١٦ هـ. [١٤١٤ م.] في اليمن

(٢) تفسير اللباب او تفسر الخازن الفه علاء الدين علي البغدادي المتوفى سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤٠ م.]

وتسليمها الى الله وتجريد النية والقلب عما سواه وقصرها على تحصيل رضاه لا غير قال تعالى (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ اَحَدًا** * الكهف: ١١٠) الآية (وان قيل قد صدر الدعاء عن الانبياء واكابر الاولياء فكيف يمنع عنه (قلنا) نعم لكنهم يعرفون وقت الدعاء ووقت السكوت عن الدعاء اما بالوحي او بالاشارة والالهام فلا يدعون الاّ بعد الاذن من المولى فان علموا ان مراد الحق منهم الدعاء دعوا عبودية وامتثالا لامر سيدهم من غير ربط القلب بحصول المدعو له او عدم حصوله وان علموا ان المراد منهم الصبر والسكوت وتفويض الامر اليه سكتوا وسلموا الامر اليه ولو احترقوا بنار البلاء والكلام ههنا مع اهل البداية من المريدين المحجوبين فلا يقاس احوالهم باحوالهم وتحقيق هذه المسألة يحتاج لبسط الكلام ولا يساعده المقام. ولكن لا مانع له ان يتشبث بالاسباب الظاهرية ويستعمل جوارحه وسائر قواه في تدبير اموره البشرية ويتخذ وسائل في جلب المنفعة ودفع المضرة مراعيا فيهما الحدود الشرعية بحث لا يشغله شيء منها عن ذكر الله تعالى وعباداته بلا جزع وشكاية إلى الله تعالى كما قال عزّ وجلّ (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ اَمْوَالُكُمْ وَلاَ اَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** * المنافقون: ٩) الآية فانه سبحانه وتعالى لم يخلق تلك القوى في الانسان عبثا بل انما خلقها لأداء وظايف العبودية وتدبير الامور البشرية فيصرفها العبد في محلها مع مراعاة قوانين سيده فيها مجتهدا في اداء شكرها ويعلم ان المعطي والمانع في الحقيقة هو المولى والتوفيق بيده سبحانه وتعالى (فاذا) اصابه فقر أو مرض مثلا يتشبث في دفعهما بالاسباب الظاهرية فيتخذ صنعة أو تجارة ويراجع الاطباء ويستعمل الادوية ثم يصبر عليه من غير جزع وشكاية إلى الله تعالى قال سبحانه وتعالى (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْئٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الاَمْوَالِ وَالاَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ اِذَا اَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا اِنَّا للهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُونَ** * البقرة: ١٥٥-١٥٦) الآية فكما لم يأمر بالدعاء اليه لم يمنع ايضا عن التشبث بالاسباب في دفعها بل انما بشّر الصابرين عليها (وكذلك) اذا

تسلّط عليه عدوّ بالسّلاح مثلا يقابله بمثل ما تسلط عليه ويجتهد في دفع شره وكيده بالاسباب الظاهرية ولكن لا يدعو الله عليه بقراءة الاسماء والاحزاب لئلا ينخرط في سلك الملحدين[١] اللاعبين بأسماء الله ربّ العالمين (بل ينبغي أن يصبر على هذه البلية ويفوض الامر الى الله قال تعالى في اوصاف المؤمنين (**وَالَّذِينَ اِذَآ اَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** * الشورى: ٣٩) اي ينتقمون ممن ظلمهم (**وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَاَصْلَحَ فَاَجْرُهُ عَلَى اللهِ اِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** * الشورى: ٤٠) الآية هذا في الامور الظاهرية (وامّا) في الامور الباطنية فاذا عرض له مثلا قبض في الاحوال او كسل في الأعمال فلا يبادر الى الدعاء لجلب البسط او لتسهيل العمل بل ينبغي ان يفتش احواله ويحاسب نفسه هل صدر عنها ذنب او عمل يخالف الشريعة والتقوى حتى اوجب عليه هذه العقوبات فاذا اطلع على شيء من ذلك يتوب منه الى الله في الحال ويبادر الى اصلاح اعماله وافعاله بالتطبيق والتوفيق الى الشريعة المطهرة فان اندفع يشكر الله على انعامه واحسانه عليه والاّ يصبر عليه ويصرف جهده في ابقاء وظائف عبوديته من غير جزع وشكاية الى المولى حتى يظهر له سر ذلك او تنقضي مدة الابتلاء قال عزّ وجلّ (**وَمَآ اَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ اَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ** * الشورى: ٣٠) الآية وقس عليها غيرها وهذه الامور من دقايق السلوك لا تعرف بمجرد الاقوال تفاصيلها ولكن العبد اذا استقام في مجاهدته بالاخلاص التام مع ملاحظة الرابطة على الدوام يُعَرّفه الحقّ سبحانه وتعالى تلك الدقايق والآداب المتعلّقة بحضرته العلية كما قال (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَاِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** * العنكبوت: ٦٩) وقال تعالى (**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ** * البقرة: ٢٨٢) الآية فحينئذ يأخذ حظا بقدر استعداده من قوله صلّى الله عليه وسلّم (**ادّبني ربي فاحسن تأديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين**) وقد اقتضى القال والحال ههنا ختم الكلام وتفويض الامر الى الملك العلام والسلام.

---

(١) قوله الملحدين اشارة إلى قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه في سورة الاعراف

فهرست الكتاب

الموضوع **رقم الصفحة**

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاِسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب – **دار الحقيقة للنشر والطباعة** – هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ [١٩١١ م] بمنطقة –**أيوب سلطان إستانبول**– وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في –**دار الحقيقة للنشر والطباعة**– وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٦/١٠/٢٠٠١ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
٤٤ – النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم ويليه نبذة من الفتاوى الحديثية ويليهما كتاب جواهر البحار	٣٢٠
٤٥ – تسهيل المنافع وبهامشه الطب النبوي ويليه شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ويليهما فوائد عثمانية ويليها خزينة المعارف	٦٢٤
٤٦ – الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية ويليه المسلمون المعاصرون	٢٧٢
٤٧ – كتاب الصلاة ويليه مواقيت الصلاة ويليهما اهمية الحجاب الشرعي	١٦٠
٤٨ – الصرف والنحو العربي وعوامل والكافية لابن الحاجب	١٧٦
٤٩ – الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة ويليه تطهير الجنان واللسان	٤٨٠
٥٠ – الحقائق الاسلامية في الرد على المزاعم الوهابية	١١٢
٥١ – نور الاسلام تأليف الشيخ عبد الكريم محمد المدرس البغدادي	١٩٢
٥٢ – الصراط المستقيم في رد النصارى ويليه السيف الصقيل ويليهما القول الثبت ويليها خلاصة الكلام للنبهاني	١٢٨
٥٣ – الرد الجميل في رد النصارى ويليه ايها الولد للغزالي	٢٢٤
٥٤ – طريق النجاة ويليه المكتوبات المنتخبة لمحمد معصوم الفاروقي	١٧٦
٥٥ – القول الفصل شرح الفقه الاكبر للامام الاعظم ابي حنيفة	٤٤٨
٥٦ – جالية الاكدار والسيف البتار (لمولانا خالد البغدادي)	٩٦
٥٧ – اعترافات الجاسوس الانگليزي	١٩٢
٥٨ – غاية التحقيق ونهاية التدقيق للشيخ السّندى	١١٢
٥٩ – المعلومات النافعة لأحمد جودت باشا	٥٢٨
٦٠ – مصباح الانام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى ويليه رسالة فيما يتعلق بادلة جواز التوسل بالنبى وزيارته صلّى الله عليه وسلّم	٢٢٤
٦١ – ابتغاء الوصول لحبّ الله بمدح الرسول ويليه البنيان المرصوص	٢٢٤
٦٢ – الإسلام وسائر الأديان	٣٣٦
٦٣ – مختصر تذكرة القرطبي للأستاذ عبد الوهاب الشعراني ويليه قرة العيون للسمرقندي	٣٥٢